المعرفة 115

العدد (١١٥) شوال ١٤٢٥هـ نوفمبر ٢٠٠٤م

داخل العدد

150 ألف ريال بانتظاركم

غير موجودة في السعودية

أكاديميات الموهوبين

البراجماتية ..

الطريق إلى العقلية الأمريكية

حيدر عبدالشافي :

شغلتني أحداث عام ٤٨ عن الزواج !



الأكراد .. أيتام العالم !



الأكراد والفكاهة العراقية

لكل أمة أقلية تضحك وتنكت عليها. فمن أول متطلبات الفكاهة أن تكون هناك ضحية تسخر منها. الضحية العالمية التقليدية هي المرأة. معظم نكاتنا ولا سيما الوسخة تجري على حسابها. على المستوى الوطني، تجد الأكثرية دائماً تنكت على الأقلية. في مصر ينكتون على الصعايدة، في سوريا على الحماصنة، في بريطانيا على الإيرلنديين. العراقيون ينكتون على الأكراد.

يعود هذا أساساً للغة. الإغريق أول من استخدم ذلك. راحوا يضحكون على الأجانب فيقولون إنهم الذين يتكلمون برابرا... ومنها جاءت كلمة بربر وبربري والبربرية. اللغة المكسرة للأجنبي موضوع للاستهزاء في الكوميديا. استخدمه رواد المسرح العربي في السخرية من الأتراك. لاحظنا في العراق أن الكرد عندما يتكلمون العربية لا يميزون المذكر من المؤنث ولا يستطيعون لفظ الذال والضاد. فكنا كأطفال نضحك عليهم في ذلك. سرعان ما اعتبرناها دليلاً على جهلهم وغبائهم. هكذا ولدت النكتة الكردية. والأكراد يعيشون في قرى نائية. وكان القرويون يقعون في مطبات ومشاكل عند مجيئهم للمدن الكبرى. وجدتهم أيضاً من أكثر المسلمين إيماناً وصدقاً، ومن أقل الناس اعتياداً على الكذب والغش. وعندما نواجه صدقهم نعتبره نوعاً من السذاجة والبلاهة.

هكذا أصبحت شخصية الكردي النمطية في الفكاهة العراقية. حيثما تجلس في مقهى بغدادية تسمع الجالسين يتندرون بالنكات الكردية.

أثار هذا حفيظة المواطن الكردي وجرح مشاعره وساهم في تسميم العلاقات معهم ومطالبتهم بالاستقلال واعتماد اللغة الكردية. إنهم لا يريدون أحداً يضحك عليهم عندما يتكلمون. هذه مشكلة عالمية. وفي إطار الصحة السياسية أصبح محظوراً التنكيت على الأقليات والمرأة. وغدا هذا من أسباب الجمود الفكاهي في العالم، كثيراً ما أعاني منه، كما عانى الكوميدي سبايك ملليغن عندما أوقفت البي بي سي سلسلته الكوميدية لأنه كان يضحك فيها على شخصية باكستاني. وكذا أصبح العراقيون يتحاشون الآن النكتة الكردية. وهذه خسارة فلا ينبغي أخذ النكات مأخذ الجد. أنحن جميعاً ننكت على المرأة، فهل توقفنا عن حبها أو الهيام بها؟

خالد القشطيني

الكاتب العراقي: خالد القشطيني



مجلة شهرية تصدر عن
وزارة التربية والتعليم

المملكة العربية السعودية

تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عهد وزير المعارف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز
وأعيد إصدارها عام ١٤١٧ هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

العدد (١١٥) - شوال ١٤٢٥ هـ - نوفمبر ٢٠٠٤م

إدارة النشر

Rawnaa
Specialized Communication
رونـــاء للإعلام المتخصص

ردمد: ١٣١٩-٦٢٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الحصة الأولى

انقضى رمضان شهر الخير والبركات وانطفأت فوانيسه ونواميسه من الشوارع وسكتت لجه، وهناك من لج لسانه وقلبه بذكر الله وهناك من لج صوته ونظره مع هجمة المسلسلات وبطلاتها و«بطلان» بعضها، وراح يتقلب «بريموته» بين تلك المحطة وتلك يقدّ الوقت قدًا في غير موضعه وبغير فوائد تذكر وفي كلا الفسطاطين والحالتين علينا أن ننتظر عامًا كاملاً ليعود هذا الشهر الفضيل بنسائمه ودلالاته وأدلته وولعه بالخير، وفي هذا العام سيتخطفنا «الموت» ويفرقنا وسيعيث في «الحياة» إعمالاً و«موتًا»، والعبرة لذوي العقول والألباب. وهاهي فرحة الصائم الثانية «عيد الفطر» تغدقنا بأضوائها الحثيثة سيرًا بنا نحو الأمل والحبور والبهجة ودوائر مزركشة محفوفة بالورد والشموس وشموع لا تلين من الانتشاء، ويظهر السؤال المعتاد المعضال: لماذا أصبح العيد يمر بجوارنا ولا يعبر نفوسنا؟ لماذا نعيره للأطفال الذين هم لم يتعرضوا للوثة الحياة وآلامها، وخداعها، وصداماتها، ولا نبقيه في حوزة عيوننا ونبضنا؟ لماذا نكبر ولا يكبر العيد معنا؟ أسئلة حامضة تغرز علامات استفهاماتها في القلب كأرماح حاقدة.. هناك في الجهة المقابلة أناس بكوا رمضان كله خوفًا وخشوعًا ورجاءً لا تسألوهم هذه الأسئلة لأنهم سيضحكون، أو اسألوهم حتى تزيد فرحتهم بغباء هذه «الوهميات» السوداء التي جعلتنا نختلف حتى على «الفرحة».. لا نريد شيئًا كثيرًا وكبيرًا نريد «العيد» فقط.. أين هو؟! المعرفة

المراسلات

باسم: رئيس التحرير
ص.ب ٢٣٠٠٠٧ – الرياض ١١٣٢١
هاتف: ٤٠ ٤٠ ٤١٩ فاكس: ٤٧ ٤٧ ٤١٩
فاكس مجاني: ٢٢٧٧ ١٢٤ ٨٠٠
Letters should be sent to:
Editor-in-chief
P.O.Box: 7 Riyadh 11321
Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47
Free Fax: 800 124 2277
info@almarefah.com

الأسعار

السعودية ١٠ريالات، الإمارات ١٠ دراهم،
الكويت ٨٠٠ فلس، قطر ١٠ ريالات،
البحرين ١٠٠٠فلس، سلطنة عمان ١٠٠٠ بيسة،
اليمن ١٢٥ ريالاً، سوريا ٦٥ ليرة،
الأردن ١,٢٥ دينار، لبنان ٣٠٠٠ ليرة،
مصر ٥ جنيهات،السودان ١٥٠ دينارًا ،
المغرب ١٥ درهمًا.

الاشتراكات

سعر الاشتراك داخل السعودية للأفراد (١٠٠) ريال وللمؤسسات (٢٠٠) ريال.
سعر الاشتراك للدول العربية ٥٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.
سعر الاشتراك للدول الأخرى ٦٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.

للاشتراك

الرياض: هاتف: ٤٧٢٧٨٥٨-٤٧٢٧٨٤٦
فاكس مجاني: ٨٠٠١٢٤٢٢٧٧

Subscriptions@rawnaa.com

للإعلان

الرياض:٤٧٢٧٧٩٢ ـ ٤٧٨٥٣٢٢ ـ فاكس: ٤٧٢٧٨١٨
Advertising@rawnaa.com
روناء للإعلان والتسويق
ص . ب ٢٦٤٥٠ الرياض ١١٤٨٦

التوزيع

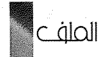


الأكراد أيتام العالم!

الأكراد أمة يتيمة مزقتها أنياب الجغرافيا وطيّرت تاريخها العريق أشلاءً للرياح التي مازالت عاصفة بهم منذ أن سقطت الدولة العثمانية، وتناهبتها الدول الأوروبية فتوزعت كردستان بلاد الأكراد وموطنهم على ست دول، وكل جزء من هذه الأجزاء الستة صار لعبة سياسية تلوح بها الدولة الأم كلما عنت لها الحاجة وفرض عليها المقتضى. فكان الأكراد يتبعون سراب «الوعد» بوطن موحد حتى آخره، وعندما تنتهي مغازي هذه الدول يرمون إلى النسيان والإهمال، وكردستان البلد المقطّع تلقى مثل هذه الوعود من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا لكنه باء بخذلانها وإخلافها، ولم يشفع أربعون مليون كردي مهجر وموزع لأن يتحقق حلم الوطن الواحد. حتى الحركات الثورية الداخلية كانت تُدك في مهدها دكًا وتهلك قبل أن تكبر.

هذا التوزع نال أيضًا من «شخصية» الإنسان الكردي وجعلها متناقضة مع طبيعة بلاده الخلابة، وإمكانات كردستان الطبيعية وثرواتها، فصار موزعًا هو الآخر بين الشفافية والقسوة، بين الغنى والفقر، وهذا التمزق أضر بلغتهم وتقاليدهم الأصيلة وحتى بأزيائهم الخاصة، ولا يجمعهم على ذلك غير عيد «النيروز».. إنها حكاية شعب يئن تحت وطأة التحلل الدولي من مسؤولياته، وأرهقته الوعود الكاذبة التي ظهرت في تاريخه الطويل لمجرد الاستعمال السياسي. إنها حكاية ابن له ست أمهات وهو في حقيقة نفسه يريد أمًا واحدة.. إنها حكاية أطول من ذلك بكثير.. وأوجع من ذلك بكثير. المعرفة





الأكراد بين التاريخ والسياسة

علي العبد الله* . سوريا

* كاتب ومحلل سياسي .

عبر الأكراد في جميع أنحاء العالم عبر النشاطات الثقافية والسياسية عن مشاعرهم الوطنية، ومطالبهم للعيش بحرية وكرامة أسوة بغيرهم من كل شعوب الأرض وأممها. وطالبوا بالاعتراف بهم كأمة متميزة عن بقية الأمم التي يعيشون معها في كيانات سياسية، أمة لها الحقوق والواجبات نفسها التي أقرتها القوانين المحلية والدولية.

لقد فتحت هذه النشاطات ملف القضية الكردية ووضعته على جدول أعمال المجتمع الدولي رسميًا وشعبيًا، مبرزة الأوضاع التعسة التي يعيش فيها الأكراد في ظل دول لا تعترف لهم بهوية قومية، ولا بخصوصية ثقافية، وتقسرهم على الامتثال لإرادتها السياسية. تحدد لهم الأسماء المسموحة واللغة التي يجب أن يتحدثوا بها، حتى الغناء الذي يجب أن يطربوا له.

من هم الأكراد؟

الأكراد شعب آري من مجموعة الشعوب الهندوأوروبية، من العائلة الأوروبية التي تضم الفارسية والأوردية والبلوشية والبشتونية. له لغة خاصة ويعيش على رقعة جغرافية واحدة ومتصلة: كردستانين فارسية وتركية. «إننا نريد أن نحكم أنفسنا بأنفسنا».

الحركة القومية الكردية بين الحربين:

انهارت الدولة العثمانية بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، وانفصلت عنها أغلب الشعوب والقوميات التي كانت خاضعة لها كالعرب والألبان والبلغار واليونان والأرمن إلا الأكراد، لم يثوروا ولم يحصلوا على حقوقهم القومية كأمة، حيث أدى وجودهم، ولعقود طويلة، في قلب الصراع العثماني الصفوي الروسي ومشاركتهم الكبيرة في الدفاع عن أرض السلطنة- دورًا مركزيًا في حضور السلطنة المكثف في مناطقهم، وهذا جعل علاقتهم بالمركز قوية وألغى احتمال انشقاقهم أو انفصالهم عن السلطنة.

انفرط عقد الدولة المشتركة، دولة المسلمين، وقسمت أراضيها بين الدول الاستعمارية الأوروبية التي رعت تشكيل كيانات سياسية جديدة وخرائط جديدة حصلت بموجبها كل الشعوب التي كانت تحت سيادتها على دول خاصة باستثناء الأكراد.

فقد تضمنت معاهدة سيفر ١٩٢٠م إعطاء الأكراد في تركيا حق تقرير المصير، وكان ذلك أول اعتراف دولي بوجود شعب كردي وبحق هذا الشعب في تقرير المصير، وعلى ضوء ذلك نشأت «لجنة الاستقلال الكردي» عام ١٩٢٣م وبدأ الشيخ سعيد بتحريض الأكراد على الوحدة والاستقلال، ومواجهة الأعداء الذين يمنعونهم من الاستقلال، ولكن اتاتورك عاملهم بوحشية وسحق حركتهم بمساعدة فرنسية عام ١٩٢٥م. ولكن ثورات أخرى قامت، في آرارات عام ١٩٣٠م وفي درسيم ١٩٣٦م ولكنها سحقت هي الأخرى.

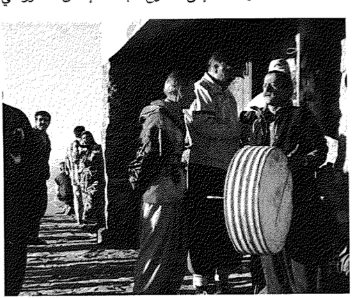
وفي إيران استطاع إسماعيل آغا (سيمكو) أن يقود حركة سياسية كردية بين ١٩٢٣م-١٩٢٥م وأن يسيطر على كل المنطقة الكردية غرب بحيرة أروميا، ونسق مع الشيخ محمود البرزنجي في السليمانية (كردستان العراق) وحققا نجاحات كبيرة أخافت الإنكليز الذين تحركوا ونجحوا في سحق الثورة.

وقد اندلعت ثورة أخرى في عام ١٩٣٠م بقيادة جعفر سلطان، ولكنها ظلت محدودة الأثر والمدة.

وفي عام ١٩٤٤م تشكلت المنظمة الكردية «جمعية الإحياء الكردي»، والتي مهدت لقيام الحزب الديمقراطي الكردستاني في إيران، الذي استطاع إقامة جمهورية «مهاباد» (جمهورية كردستان الديمقراطية) عام ١٩٤٦م (دولة حكم ذاتي داخل إيران). لكن السلطات

الإيرانية رفضت الاعتراف بالجمهورية والتفاوض معها، وتمكنت من استعادة «مهاباد» وبسط سيادتها عليها، بعد تخلي السوفييت عنها في اتفاقية يالطة.

أما في العراق فقد جابه الأكراد بقيادة الشيخ محمود البرزنجي القوات البريطانية الزاحفة على منطقة الموصل عام ١٩١٨م، ولكن القوات البريطانية سحقت القوات الكردية البسيطة التسلح، واعتقلت الشيخ البرزنجي ونفته إلى خارج البلاد، إلا أن التطور في ساحات الحرب العالمية الأولى أجبر البريطانيين على إعادة الشيخ البرزنجي والتفاهم معه على أن يحكم السليمانية، ووعدته بدولة مستقلة للأكراد بعد انتهاء الحرب.



غير أن بريطانيا نكثت بالوعد وأتت بالملك فيصل بن الشريف حسين لحكم العراق بعد أن ضمت السليمانية والموصل (منطقة الأكراد) إلى بغداد والبصرة وكونت منها مملكة جديدة بحكم عربي وراثي.

ثار الأكراد مجددًا بقيادة الشيخ محمود البرزنجي في عام ١٩٢٣م، ولكن بريطانيا استخدمت الطائرات في قصف المدن والقرى الكردية، وانتهت الثورة عام ١٩٢٤م.

وفي عام ١٩٣٠م تجمع الاكراد أمام سرايا الحكومة في السليمانية احتجاجًا على ما آلت إليه الأمور، وتحول التجمع إلى حركة شعبية شاملة، ضمت المثقفين والطلبة والحرفيين والفلاحين ورجال الدين ورؤساء العشائر.

مع انقلاب بكر صدقي (الكردي) عام ١٩٣٧م عاد الشعور القومي الكردي إلى التصاعد، فتشكل حزب «الأمل» عام١٩٣٩م وهدفه المطالبة بالحكم الذاتي في إطار الدولة العراقية. بقي هذا الحزب متماسكًا حتى عام ١٩٤٣م حيث اختلف قادته على التحالف الخارجي مع الاتحاد السوفييتي أم مع بريطانيا فانقسم

الأكراد.. ألف ثورة وألف حسرة!

الأكراد هم أيتام العالم بامتياز، فعمر مظلمتهم يزيد على القرن: وزعت أراضيهم بين ٥ دول، وتفرقت قبائلهم، وتم التلاعب بآمالهم وتطلعاتهم من الجميع حتى أصبحوا مثالاً للضحية الذي يصادر حقه، ويظلم جهارًا نهارًا لا يفوقهم في ذلك سوى الفلسطينيين، واستقر ذلك في الوعي الشعبي وتداولته الألسن، حتى إنك تجد في اللغة الدارجة المصرية ما يؤكد هذا الوعي الشعبي فيقال «فلان استكردني» أي ظلمني وهضم حقي وحط من شأني، و«فلان صهين صهين» أي تخابث وتجاهل الحق.

جوهر المشكلة الكردية، هو الأداء السياسي للأكراد أنفسهم، فكل ثورة قام بها الأكراد أعقبتها حسرة حتى سميت بلادهم في العصر الحديث «بلاد الألف ثورة والألف حسرة»، والسبب الرئيس في ذلك أن حليفهم في تلك الثورات كان يستخدمهم أكثر مما يساعدهم، ابتداء من الروس في القرن التاسع عشر الذين وجدوا في الأكراد مدخلاً مناسبًا لإضعاف غريمهم اللدود «الدولة العثمانية»، وانتهاء بالأمريكيين في القرن الحادي والعشرين الذين وجدوا فيهم قطارًا للزحف على بغداد، مرورًا بإسرائيل التي دعمت ثورة الملا مصطفى البرزاني في كردستان العراق. كان زعماء الاكراد دومًا ينظرون إلى أهدافهم دون أهداف من يستخدمهم أو يساعدهم، الملا البرزاني عندما عاتبه الفلسطينيون على علاقته مع إسرائيل أجابهم بقوله: «أنا مثل الشحاذ الأعمى الواقف على باب الجامع الكبير في مدينة السليمانية، والعاجز عن رؤية من يضع في يده الممدودة قطعة نقدية»

المصدر: www.islammemo.cc

عام١٩٤٥م ونشأ عن التيار السوفييتي حزب «الخلاص» الذي تحول فيما بعد إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني بقيادة الملا مصطفى البرزاني عام١٩٤٦م.

لم تسمح الظروف الدولية والإقليمية من جهة، ولا وحشية القوات البريطانية والفرنسية والتركية من جهة ثانية، ولا ضعف الحركة الكردية من جهة ثالثة للأكراد بالتقاط فرصة الاعتراف الدولي بهم والذي تضمنته معاهدة سيفر ١٩٢٠م وتجسيده في كيان سياسي خاص.

الحركة القومية الكردية بعد الحرب العالمية الثانية:

تغير المشهد الدولي، وكرست الاتفاقيات والقوانين الدولية نظامًا دوليًا لا يعترف إلا بالكيانات السياسية، وحصلت الدول القائمة على شرعية دولية وتركت الأكراد في وضع لا يحسدون عليه.

لم يقف الأمر عند هذا الحد من السوء بل تعرض الأكراد إلى أ نواع من الظلم والاضطهاد على أيدي السلطات الحاكمة في الدول التي ألحقوا بها.

ففي تركيا لم يحرموا من الاعتراف بهويتهم الكردية فحسب، بل تعرضوا لعمليات محو الهوية عن طريق منعهم من استخدام اللغة الكردية، وإجبارهم على تغيير أسماء العائلات والقرى (تم تغيير أسماء ٢٣ ألف قرية)، كما تعرضوا إلى عمليات تهجير قسرية.

وهذا أدى إلى تجذر النزعة الانفصالية بين الأكراد، حيث نشأ عام١٩٦٠م الحزب الديمقراطي الكردي معتمدًا خطًا سياسيًا متشددًا: الانفصال عن تركيا. لكن النظام قابل هذا بقسوة ووحشية: إعلان الأحكام العرفية في منطقة شرق تركيا، وتهجير آلاف الأسر إلى غرب تركيا لتخفيض كثافة الأكراد في الشرق.

لم تهدأ المجابهة، حيث عمل بعض الأكراد، لخدمة قضيتهم، عبر الأحزاب والمنظمات التركية، ودخلوا البرلمان والوزارة، لكنهم فصلوا وأدخلوا السجن عندما ألمحوا إلى أصولهم الكردية وإلى وجود قضية كردية في تركيا.

تجددت المجابهة عام ١٩٨٤م بعد إعلان حزب العمال الكردستاني بقيادة عبد الله أوجلان (تأسس عام ١٩٧٩) بدء الكفاح المسلح ضد النظام التركي الذي لا يعترف بالوجود الكردي المتميز داخل تركيا (كلفت الحرب ٣٠ألف قتيل و١٣٠ مليار دولار، ناهيك عن هدم ٣٠٠٠ قرية). ومازالت القضية عالقة رغم التحسينات التي حصلت في أوضاع الأكراد (السماح بتعلم لغة

■ لقد غدا الأكراد أسرى التوازنات الإقليمية والدولية ، التي تفرض عليهم شروطها ، وأصبحوا ، في أحيان كثيرة «مخلب قط» وأداة استنزاف للقوى المحلية ■

كردية، فترة بث محدودة في التلفزيون الرسمي التركي) بضغط أوروبي على خلفية تحسين سجل تركيا في مجال حقوق الإنسان من أجل قبولها في عضوية الاتحاد الأوروبي.

وفي إيران لم يحصلوا على اعتراف بهويتهم القومية وتعرضوا في فترات ١٩٤٦م و١٩٨٠م إلى هجوم دمر قراهم ومدنهم، واستخدمت عام ١٩٨٠م الطائرات في قصف المدن والقرى.

حيث وقعت المجابهة بين الحزب الديمقراطي الكردستاني وقوات الجيش وحراس الثورة الإيرانيين داخل إيران وفي الأراضي العراقية حيث لجأ كوادر هذا الحزب، بعد أن رفضت إيران التفاهم وحل القضية سلميًا، واغتالت قادة الحزب د.عبد الرحمن قاسملو وآخرين بعد أن فشل اجتماع بينهم في فيينا بحضور الوسيط د.فاضل رسول (قتل الوفد الكردي والوسيط بحضور الوفد الإيراني داخل الغرفة نفسها عام١٩٨٩م).

وفي العراق تعرضوا لمذابح جماعية واستخدمت ضدهم الأسلحة الكيماوية (حلبجة ١٩٨٨/٣/١٦م حيث قتل ٥٠٠٠ شخص في لحظات). كما أجبروا على النزوح من قراهم إلى جنوب العراق وإلى مناطق الحدود الدولية والجبال العالية، وإلى تدمير(٤٠٠٠) قرية لمنع السكان من العودة إليها.

استمرت المجابهات العنيفة في الفترة ما بين ١٩٦١م و١٩٩١م، تخللتها فترات هدوء ووقف إطلاق نار، حيث حصل تفاهم بين الأكراد وعبد الكريم قاسم إثر اعتراف دستور ١٩٥٨م بالأكراد وتعريفه للدولة العراقية كدولة

ثنائية القومية. لكن تخلي عبدالكريم قاسم عن الديمقراطية والدستور أعاد إلى المجابهة حرارتها فبدأ القتال من جديد عام١٩٦١م، واستمر متقطعًا إلى عام ١٩٧٠م حيث توقف بعد عقد اتفاق الحكم الذاتي، لكنه لم يدخل حيز التنفيذ فتجدد القتال.

انهارت الحركة الكردية عام١٩٧٥م إثر اتفاق الجزائر بين العراق وإيران، فانقسم الحزب الديمقراطي الكردستاني بخروج جلال طالباني وتشكيله للحزب الوطني الكردستاني، كما نشأت حركات ماركسية تجمعت في الحركة الاشتراكية الكردية، وأخرى إسلامية كردية بقيادة الشيخ عثمان وشقيقه علي ومشاركة إدريس بن الملا مصطفى البرزاني.

وقد قاد فرض منطقة حظر الطيران شمال خط العرض ٣٣، بعد حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١م إلى تكريس كيان كردي مستقل في شمال العراق، وزاد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م فرص الأكراد في الحصول على مكاسب كبيرة في العراق الجديد.

وفي سورية تعرضوا إلى أنواع من الظلم، وإن لم تأخذ شكل مواجهة مسلحة: إبقاء قطاع واسع منهم (٧٠ ألف نسمة) دون جنسية في إحصاء ٥ /١٠/١٩٦٢م (أصبحوا بعد أربعة عقود أكثر من ٢٠٠ ألف نسمة)، وتطبيق فكرة الحزام العربي عام١٩٦٦م بتهجير آلاف الأسر الكردية من أرضها وتوزيعها على أسر عربية نقلت إليها من المنطقة التي غمرتها بحيرة سد الفرات.

القضية الكردية: الواقع والآفاق:

تعقد الوضع وبلغ حدًا خطيرًا بسبب عدة أمور:

* الصراعات الكردية -الكردية.
* التحالفات الكردية مع الدول الإقليمية.
* استغلال القوى الخارجية للقضية الكردية للتدخل في شؤون دول الإقليم خدمة لمصالحها.
* موقف دول الإقليم السلبي من طموحات الشعب الكردي وحقوقه الوطنية المشروعة.

فالخريطة السياسية التي نشأت عن مخططات القوى النافذة في الوضع الدولي في عشرينيات القرن الماضي خلقت وضعًا حرجًا. كل القوى الإقليمية ضد هذه الخريطة، كلٌّ لاعتباراته، مع عدم المساس بها في الوقت نفسه. فالعرب ضد هذه الخريطة لأنها قسمتهم وأفقدتهم أجزاء من أرضهم:

فلسطين، ولواء الإسكندرون، وعربستان. وضد المساس بها خوفًا من خسارة ما. والأتراك ضد الخريطة لأنها انتزعت منهم ولاية الموصل الغنية بالبترول، وضد المساس بها لأن المساس بها قد يفقدهم مساحات لصالح الأكراد والعرب. والإيرانيون ضد الخريطة لأنها أفقدتهم مساحات في شط العرب وضد المساس بها لأن المساس بها قد يفقدهم أراضي لصالح العرب والأكراد.

الأكراد وحدهم ضد الخريطة ومع إعادة النظر فيها كي يأخذوا حقوقهم في أرض ودولة. ولكن إنشاء وطن قومي للأكراد سيكون على حساب دول قائمة، وهذا وحّد هذه الدول لمنع الأكراد من الوصول إلى أهدافهم.

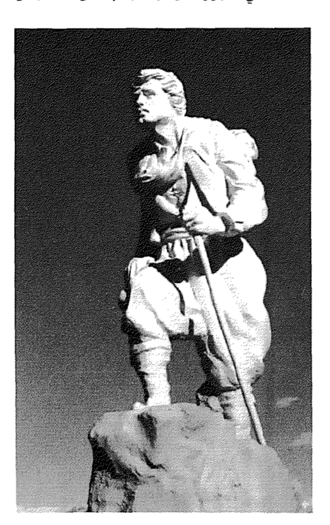
لقد جرت بين هذه الدول اتصالات وعقدت اجتماعات على أعلى المستويات للحيلولة دون التعاون بين الفئات الكردية الفاعلة سياسيًا وعسكريًا وللحيلولة دون إنشاء دولة كردية مستقلة.

وهذا أدخل القضية الكردية في عنق زجاجة، فلا الجماعات الكردية وحدت صفوفها وتوحدت حول قضيتها، ولاهي نجحت في عقد تحالفات تخدم أهدافها، حيث كانت نتيجة كل تحالفاتها في صالح القوى الأخرى الإقليمية والدولية وكانت قذيفة في مدفع الآخرين.

إن إقامة عقد اجتماعي وطني في الدول التي بها أقليات كردية كبيرة، يتأسس على الإقرار بالتعددية القومية والدينية وتكريس نظام سياسي قائم على الحرية والعدالة والمساواة، يكفل لجميع مواطنيه الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويحقق العدالة في توزيع الموارد والخدمات، وترسيخ دولة الحق والقانون خطوة أولية على طريق وقف نزف الإمكانات المادية والبشرية في المنطقة

ولا الدول التي تسيطر على أرض كردستان استطاعت إقناع الأكراد، عبر المعاملة الدستورية والقانونية العادلة، أنها دولهم، وأنهم جزء من شعوبها، لهم كامل الحقوق مثل كل المواطنين مع احترام خصوصيتهم القومية والثقافية وإعطائهم حق التعبير عنها في الممارسة اليومية. ولا القوى الإقليمية والدولية النافذة نظرت إلى القضية الكردية من زاوية المصلحة الكردية وحل النزاعات الإقليمية بتحقيق طموحات شعوب المنطقة في حياة آمنة مستقرة.

لقد غدا الأكراد أسرى التوازنات الإقليمية والدولية، التي تفرض عليهم شروطها، وأصبحوا، في أحيان كثيرة «مخلب قط» وأداة استنزاف للقوى المحلية. فقد وعدوا بدولة من قبل فرنسا (١٩٢١م) وبريطانيا(١٩٢٢م) والولايات المتحدة (١٩٤٤م، روزفلت -١٩٧٣م كيسنجر) ولكن كل ذلك لم يحصل. وغدت دول المنطقة التي بها أقليات كردية كبيرة أسيرة القضية الكردية، تفجرها القوى الخارجية عندما يكون لها مصلحة في تفجيرها، وتتجاهلها بعد أن تحصل من



هذه الدول على تنازلات سياسية واقتصادية.

انقسم الباحثون حول توصيف الوضع الكردي: هل يشكل الأكراد أمة أم جماعة اثنية؟

الذين يعتبرون الأكراد أمة، يرون فيهم رابع أكبر أمة في المنطقة، وأكبر أمة في العالم لم تحصل على دولة خاصة بها، ويطالبون بتأييد حقهم في الحصول على دولة خاصة بهم.

والذين يعتبرون الأكراد مجرد جماعة اثنية ولا يشكلون في رأيهم أمة بالمعنى الحديث، وبالتالي لا يمكن إعطاؤهم دولة خاصة بهم، يرون أنهم حصدوا ما يستحقون. ينظر الأكراد إلى أنفسهم على أنهم أمة مكتملة التكوين وأن من حقهم، أسوة بكل أمم الأرض، تحقيق طموحاتهم القومية.ويختلفون فيما بينهم حول تجسيد هذه الطموحات حيث تبنى بعضهم إقامة دولة (حزب العمال الكردستاني التركي) وتبنى آخرون خيار الفيدرالية القومية (الحزب الديمقراطي الكردستاني والحزب الوطني الكردستاني). بينما طرح آخرون مطالبهم بالتوازي مع حالة ميزان القوى الإقليمي والمحلي والموقف الدولي من هذه المطالب. وهذا دفعهم إلى عدم المطالبة بدولة مستقلة، والمطالبة بحقوق مواطنة كاملة في الدول التي يعيشون فيها وعلى قدم المساواة مع أبناء القومية السائدة في هذه الدول، والمشاركة في اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية.

إن قراءة مدققة في الظروف المحلية والإقليمية والدولية السائدة تقود إلى ترجيح استبعاد قيام دولة كردية مستقلة، واحدة أو في أجزاء من كردستان، وهذا يطرح على دول وشعوب المنطقة ضرورة الخروج من المأزق، وإيجاد قاسم مشترك بين أطراف النزاع المحلية، قاسم مشترك يؤسس لعلاقة عادلة تحق الحقوق المشروعة للجميع، وتقطع الطريق على القوى الخارجية التي تسعى لاستثمار التناقضات القائمة لابتزاز الأطراف المحلية، خصوصًا وأن هذه الأطراف هي من ضحايا المعادلة الدولية.

إن إقامة عقد اجتماعي وطني في الدول

التي بها أقليات كردية كبيرة، يتأسس على الإقرار بالتعددية القومية والدينية وتكريس نظام سياسي قائم على الحرية والعدالة والمساواة، يكفل لجميع مواطنيه الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويحقق العدالة في توزيع الموارد والخدمات، وترسيخ دولة الحق والقانون خطوة أولية على طريق وقف نزف الإمكانات المادية والبشرية في المنطقة، على طريق إقامة نظام ديموقراطي يسمح بانضواء الأكراد كقومية لها ذاتيتها وشخصيتها المتميزة في نطاق هذه الدول، و يقود إلى حل سلمي للمشكلة الكردية قائم على تحديد سقف المطالب الكردية بحسب حجمهم في كل دولة من هذه الدول، مثل القبول بدولة متعددة القوميات أو بحكم ذاتي في إطار دولة العدل والحرية والمساواة مقابل اعتراف هذه الدول بالتعددية القومية والثقافية والدينية في دولها وممارسة المساواة والعدل مع مواطنيها ■



المراجع والهوامش

* يعبر احتفال الأكراد في جميع أماكن وجودهم بعيد النيروز، بإشعال النيران ليلة ٢١ /٣ من كل عام والتجمع في ساحات المدن والقرى للغناء والرقص وتناول الطعام طوال النهار، يعبر عن وحدة ثقافية تعكس الوطنية الكردية.

* زرنوقه د. صلاح سالم : القومية الكردية : المنشأ والعلاقة مع القوميات المجاورة – ص ٨٨ السياسة الدولية المصرية – العدد١٣٥ يناير ١٩٩٩م.

* هكذا وردت في المصدر مع ضرورة التحفظ على الأرقام لأنها ليست رسمية حيث لا مسح للأراضي ولا تعداد للسكان بحسب العرق الذي ينتمون إليه.

* زرنوقه مصدر سابق ص ٨٨.
* عوني، درّية : عرب وأكراد : خصام أم وئام – ص ٢٦ دار الهلال بالقاهرة –١٩٩٣م.
* زرنوقه – مصدر سابق ص ٨٨ وعوني، درية –مصدر سابق ص ٢٩.

* قال البعض أنه كان للأكراد أبجدية خاصة بهم شبيهة بالأبجدية الآشورية والأرمينية وتكتب من اليسار إلى اليمين، تخلوا عنها بعد دخولهم الإسلام وأخذوا يكتبون بالحرف العربي،عوني، درية –مصدر سابق ص ٢٧.

* زرنوقه – مصدر سابق ص٨٨ وعوني، درية – مصدر سابق ص ٢٧.
* زرنوقه د. صلاح سالم : مصدر سابق ص٨٩،
* زرنوقه – مصدر سابق ص ٨٩.
* عوني، درية – مصدر سابق ص٤٣-٤٤-٤٥ .
* درويش، عبد الحميد : لمحة تاريخية عن أكراد الجزيرة – ص ٦+٧ – ١٩٩٦م– دون مكان للنشر.
* ماكدول، ديفيد : تاريخ الأكراد الحديث، ترجمة راج آل محمد، ص٥٩-١٥٠، دار الفارابي بيروت ٢٠٠٤م.

الكيان الكردي

كيف يمكن تحديد «الإطار»؟

عبدالكريم بكار . الرياض

تقدم المسألة الكردية مثالاً نموذجيًا للعقابيل والمشكلات والمآسي التي تترتب على تفكك إمبراطورية من الإمبراطوريات، وقد كانت كردستان إحدى الولايات الخاضعة للدولة العثمانية. وكان حظ الأكراد في إدارة أنفسهم والسيطرة على مواردهم لا يختلف عن حظ أهل أي ولاية من ولايات تلك الدولة. وإذا شعروا بممارسة شيء من الحيف أو القهر السلطوي فإن ذلك أيضًا ربما لا يختلف كثيرًا عما يشعر به أهل الولايات الإسلامية الأخرى. ومن هنا فلم يكن هناك شيء اسمه القضية الكردية.

وكانت كل مشكلات الأكراد عبارة عن جزء من التركة الكبرى لرجل مريض ستوزع تركته وأملاكه وفق مآرب الغرب ورؤاه السياسية والاستراتيجية. في اتفاقية (سايكس بيكو) حدث للأكراد ما لم يحدث لغيرهم، فتم توزيع ولاية (كردستان) والتي تبلغ مساحتها حوالي (نصف مليون كم مربع) على خمس دول هي: إيران، والعراق، وتركيا وسوريا وجنوب روسيا. والآن وبعد تفكك (الاتحاد السوفييتي) صار جزء من الأكراد في أذربيجان وجزء منهم في أرمينيا أي صاروا موزعين على ست دول! وهذا في حد ذاته ومهما كانت معاملة الحكومات لهم يشكل صدمة كبرى، حيث يعاني نحو أربعين مليون كردي - الشعور بالتمزق والتبعية والعجز عن السيطرة على أراضيهم التي استوطنوها منذ آلاف السنين، والعجز عن الاستفادة على نحو عادل من مواردهم الكبيرة والمتمثلة في المياه العذبة والنفط.

وأود هنا أن أعرض لبعض المفاهيم الجوهرية المتعلقة بالمسألة الكردية في النقاط الثلاث الآتية:

* كان العثمانيون على الرغم من كل ما لديهم من أشكال الخطأ والقصور يقدمون صيغة في الحكم والإدارة تتلاءم مع التنوع الكبير لثقافات الشعوب التي كانوا يحكمونها. وتلك الصيغة تقوم في المجمل وفي معظم المراحل على تقديم إطار يتسع لكل الهويات الفرعية التي كانت تحملها الشعوب المنضوية تحت لوائهم؛ وذلك من خلال ابتعاد ذلك الإطار مسافات معينة عن كل لون وطني أو إقليمي من ألوان الخصوصيات الثقافية والعرقية واللغوية لتلك الشعوب، فالسياسات العامة للدولة - الإمبراطورية لم تكن تتطابق مع متطلبات أي قومية أو أي عرق مما كان منضويًا تحت هيمنتها. وقد كان الإسلام بعقيدته وأحكامه وأدبياته هو المرجعية المعلنة - على الأقل – للدولة. كما كان المصدر الذي تستمد منه شرعيتها، وتعتمد عليه في الحصول على درجة من القبول الشعبي لها. وهذه في الحقيقة نقطة مهمة للغاية؛ لأن الثقافات الوطنية في كل أصقاع العالم الإسلامي كانت منذ أمد بعيد قد أفرغت كل طاقاتها وقدراتها على الحث والكف في الثقافة الإسلامية. كما فقدت الكثير من جاذبيتها لصالحها. ولهذا فإن حكم الناس في إطار التعاليم الإسلامية يظل يكتسب القبول والتأييد من قبل السواد الأعظم من المسلمين. أضف إلى هذا أن الإسلام بما هو منطلق للحكم

العثماني ومرجع له قد قدّم قاعدة للمشاعر والآمال والأهداف المشتركة لكل المؤمنين به مهما كانت لغاتهم وأعراقهم. وهذه القاعدة تتمثل في (الأخوة في العقيدة) على نحو يتجاوز أخوة الدم ورابطة الانتماء القبلي والوطني. إن كل مسلم هو مشروع أخوّة قائم، وبالتالي فإن عليه أن يسعى إلى بناء معنى الأخوة الإسلامية بما هي مصدر للتعاون والتضامن والعطاء والتجاوز للأنانية الفردية. وهذه الأخوة كثيرًا ما كانت تساعد على تحمل أعباء السياسات الغاشمة، وتخفف من التوترات التي كانت تنشأ عن احتكاك الأعراف والثقافات المتباينة. وهذا كله ساعد على عدم تشكيل الأكراد مركزًا لإزعاج الدولة العثمانية على ما عرف عنهم من فروسية وبأس وقوة شكيمة.

* نحن نعرف الكثير عن الأسباب - وأحيانًا كل الأسباب - التي تؤدي إلى تفكك إمبراطورية من الإمبراطوريات، لكن الشيء الذي لا نعرفه هو كيفية تضميد الجراح التي تنشأ عن ذلك التفكك، وكيفية العثور على صيغة جديدة للدول التي فقدت الإطار الجامع الذي كانت تتفاعل داخله.

قد انهارت الدولة العثمانية، ولم يكن ذلك الانهيار بسبب الضغوط الاستعمارية من الخارج أو الأخطاء الفادحة التي ارتكبت في الداخل فحسب، وإنما كان هناك شيء جديد بالغ الأهمية في هذه القضية، وهو بروز رباط سياسي جديد ذو جاذبية شديدة، وهذا الرباط وإن كان لا يساعد على بناء إمبراطوريات جديدة أو ترميم إمبراطوريات قائمة، لكنه يُشعر الأفراد بأنه يقدم لهم فرصًا واسعة للمشاركة السياسية، وفرصًا للتخطيط للمستقبل العام لبلادهم على نحو لا يقدمه النموذج التركي المستند إلى آليات تقليدية في الإدارة والعلاقة بالمواطنين. هذا الرباط أو النموذج الجديد يتجسد في (دولة المواطنة). إنه في الوقت الذي بدأ فيه الحكم العثماني - وكل أشكال الحكم التقليدية التي كانت سائدة آنذاك - يظهر وكأنه فقد صلاحيته، وصار عاجزًا عن تحقيق التقدم العمراني والازدهار الاقتصادي ومواجهة التحديات الحضارية الجديدة، وفوق ذلك العجز عن إنتاج روح الأخوة الضرورية للتضامن بين الشعوب المكوّنة للدولة - الإمبراطورية، أقول في ذلك الوقت أخذ نموذج (دولة المواطنة) يؤسس له أرضية ثابتة في العالم الغربي، فبعد مخاض طويل في أوروبا وصراع مرير ومستمر مع سلطة الكنيسة جاءت (دولة المواطنة) لتعيد تأسيس العلاقة بين الشعوب والحكومة على قواعد ومفاهيم جديدة. في دولة المواطنة تتشكل العلاقة بين المواطن والدولة على أساس البرنامج السياسي الذي يقدمه الحزب الحاكم وفي إطار الإنجازات العملية والأهداف المشتركة. في دولة المواطنة ليس هناك أي معنى ذي قيمة - حسب المعلن - لأخوة العقيدة أو وحدة الملة، وليس هناك اهتمام بانخراط المواطنين في مبادئ ومثل واحدة، كما هو الشأن في التربية الاجتماعية والسياسية في الإسلام. وإنما ينصرف الاهتمام كله إلى توليد درجة



عالية من الولاء للقانون ولدولته، بالإضافة إلى تأسيس معنى الحرية على أوسع نطاق بوصفها أصل المواطنة، وتأكيد معنى الأخوة الجديدة والتي تقوم على الاشتراك في الحقوق والواجبات الواحدة والموحدة بقطع النظر عن الانتماء العقدي أو العرقي أو اللغوي... في دولة المواطنة - على مستوى التنظير على الأقل - لا يخضع الفرد ولا الطائفة ولا المجموعة لقوانين ثابتة وأبدية تحدد موقفه الاجتماعي أو السياسي، وإنما يتم إبداع مبدأ المواطنة ومتطلباتها من خلال كل شخص في الدولة دون استثناء أو وصاية من أحد داخل الإطار الاجتماعي.

تداول السلطة وحق كل مواطن في تجاوز التراتبية الاجتماعية التي حتمتها ظروف النشأة - من الأمور الأساسية والمهمة في دولة المواطنة. ومن ثم فإن كل الأفراد والأعراق والشعوب التي كانت تشعر بشيء من هضم حقوقها أو وجود حقائق من أي نوع تحول دون تسنمها قمة الهرم - سارعت إلى العمل على الالتحاق بركب هذه الدولة بوصفها النموذج الذي سيحقق كل الأحلام ويحل كل المشكلات. وبقطع النظر عن جدية كل هذا ومصداقيته فإن الذي يطلع على كتابات كثير من المسلمين وغيرهم في القرن العشرين يدرك بسرعة تشوق الناس إلى الظفر بالنموذج الجديد؛ ولا يستطيع الأكراد أن يشكلوا استثناء من هذا التيار الجارف.

* يمكن القول إن (الهوية) هي مجموع الصفات التي تميز أمة أو شعبًا أو حزبًا أو فردًا عن غيره. ويقدم *الإسلام لأتباعه هوية عامة واسعة، تميز أتباعه* عن غيرهم، وتعرفهم على ذواتهم في *حالة استحضار* خصائص أبناء الديانات الأخرى.

وداخل الهوية الإسلامية هناك طيف من الهويات التي تأسست على أساس الإقليم، أو القبيلة أو اللغة أو المهنة. وينتهي بنا الأمر إلى أن يكون لكل واحد منا هويته الخاصة التي يتميز بها عن أقرب الناس إليه. الهوية أشبه شيء بالصحة، لا نشعر بها إلا إذا أصبحت مهددة. أما في الأحوال العادية فإننا لا نعيرها أي اهتمام. ولا ريب أن للأكراد هويتهم الخاصة داخل إطار الهوية الإسلامية العامة، وتلك الهوية تستمد من عبقرية المكان الذي يعيش فيه الناس.

والآن وبعد كل هذه المقدمات الطويلة يمكننا أن نفهم جوهر المشكلة الكردية على نحو أعمق.

على الأكراد حتى يصلوا إلى حل أو نصف حل لقضيتهم أن يتحلوا بالكثير من الصبر، وأن يقوموا بالكثير من العمل. ويظل العمل السلمي الجاد والدؤوب أقصر الطرق إلى المراد وأكثرها أمنًا وأمانًا

بانفراط عقد الدولة العثمانية، وبالتغيير الجذري الذي طرأ على موقف الحكومة هناك من الارتباط بالإسلام - تهدّم الإطار للدولة التقليدية التي كانت تحكم باسم الإسلام وباسم الهوية العامة للأمة الإسلامية، وتم تقسيم كردستان بين الدول التي أشرنا إليها. ومن الواضح أنه ليس هناك دولة واحدة من الدول التي وزّع الأكراد عليها وألحقوا بها عاملتهم على أساس الهوية الإسلامية الجامعة، فيشعروا أنهم إخوة لأبناء تلك الدولة في العقيدة والدين. ومن الواضح كذلك أن تلك الدول الخمس أو الست لم يتمكن أيٌ منها من تشييد (دولة المواطنة) فيشعر كل من ينضوون تحت لوائها أنهم سواسية في الفرص والحقوق والواجبات والمهمات. إن الذي حدث فعلاً هو *قيام دول على أساس قومي محض، أي إن المظلة الثقافية والقانونية التي كان الجميع يؤون* إليها تقلصت لتظلل بعض السكان، وليجد آخرون وعلى رأسهم الأكراد أنفسهم في العراء مواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة. هذه الوضعية كافية بمفردها لجعل الأكراد يبحثون عن شيء يجدون من خلاله أنفسهم، ويتخذون منه منطلقًا لاسترداد حقوقهم. وكان ذلك الشيء بالطبع هو الهوية الفرعية والتي كانت عبر حكم العثمانيين المديد شيئًا شبه منسي بسبب توفير الهوية الأوسع والأشمل وهي الإسلام. ولاشك أن عماد الهوية الكردية هو اللغة والتاريخ الوطني المحلي بما يشتمل عليه من بطولات وإنجازات، بالإضافة إلى

العادات والتقاليد والرمزيات المحلية. ودخل الأكراد في صراعات دامية مع كل أو معظم الحكومات التي تبسط سيطرتها عليهم وعلى بلادهم. وكان الحس القومي لتلك الحكومات طاغيًا إلى درجة تجاهل الخصوصية الثقافية للأكراد على نحو سافر وفظ. إن التنوع الثقافي لدى كل الأمم والدول هو دائمًا سلاح ذو حدين، فإذا أدير على نحو جيد وبرفق وشفافية فإنه يصبح مصدرًا للثراء والتلاقح والازدهار. أما إذا تم تجاهله، أو عومل بقسوة وعنف فإنه يصبح ذريعة ومنفذًا لتدخل أجنبي. إن ما لا يستطيع غلاة القوميين فهمه هو أنه حين ينتشر الظلم، وحين تستخدم القوة الغاشمة في سياسة الناس، فإن المظلومين يجدون دائمًا المسوغات لاستباحة كل المحرمات؛ حيث لا مقدّس مع الظلم. من السهل والمألوف أن تصل تلك الاستباحة إلى القتل والاغتيال والتدمير والخيانة العظمى. وهذا ما جرى بالنسبة إلى الأكراد. ولا يستطيع أعظم القضاة أن يفصل في هذه القضية، وأن يحدد الجاني الأكبر أو يحدد البادئ بالجناية، حيث تختلط الأوراق، وتندرس المعالم. وهكذا فقد اتهم الأكراد في العديد من المرات بأنهم جعلوا أنفسهم عونًا للأجنبي ضد حكوماتهم. وبناء على ذلك فقد قامت تلك الحكومات أو معظمها بتهجير كثير من الأكراد من أماكنهم وإسكان بعض مواطنيها من غير الأكراد في ديارهم. وارتكبت بعض الحكومات مجازر وحشية ضدهم، وحُرموا من استخدام لغتهم، وعوملوا على أنهم جماعات غير موثوقة. ووصل الاضطهاد بالنسبة إليهم إلى حد عدم إجازة ذكر اسمهم، كما حدث في تركيا حيث كانوا يطلقون عليهم اسم (أتراك الجبل) يمكن بعد هذا أن نقول: إن من غير الممكن للأكراد اليوم أن يستعيدوا وحدة كردستان وإنشاء دولة كردية تحكمها؛ لأن كل الدول النافذة والدول ذات العلاقة بالمسألة الكردية مجمعة على أنه لا يصح لحقائق التاريخ أن تغير حقائق الجغرافيا. ومن الحكمة للمرء ألا يضيع الممكن



في طلب المستحيل. والحكم الذاتي الذي يطالب به الأكراد لا يشكل حلاً استراتيجيًا وناجعًا، وفي ضوء هذا فإني أظن أن الحل الأمثل بالنسبة إليهم يتمثل في العمل مع باقي إخوانهم المسلمين في أوطانهم على إيجاد إطار سياسي يستوحي الإسلام بوصفه مصدر العقيدة والنظام الرمزي للأكراد والفرس والعرب، والعمل على استعادة معنى الأخوة الإسلامية الجامعة، بالإضافة إلى ترسيخ معاني العدل والشورى والنزاهة والاستقامة الإدارية.. وإذا استطاع الأكراد التفكير على هذا المستوى فإنهم يتحولون من شعب مضطهد ومستضعف إلى شعب رائد يقدم الأمل ويرسم ملامح المستقبل والنموذج الأمثل لمئات المسلمين في العالم. وإذا كان هذا الخيار بعيدًا أو مرفوضًا، فالخيار الأخير هو صيغة من الحكم تقوم على أساس المواطنة، كما هو الشأن في أوروبا وأمريكا ودول عديدة أخرى؛ حيث يتم إلى حد بعيد تحييد الاعتبارات الإثنية في معظم الشؤون العامة. وأظن أن على الأكراد حتى يصلوا إلى حل أو نصف حل لقضيتهم أن يتحلوا بالكثير من الصبر، وأن يقوموا بالكثير من العمل. ويظل العمل السلمي الجاد والدؤوب أقصر الطرق إلى المراد وأكثرها أمنًا وأمانًا.

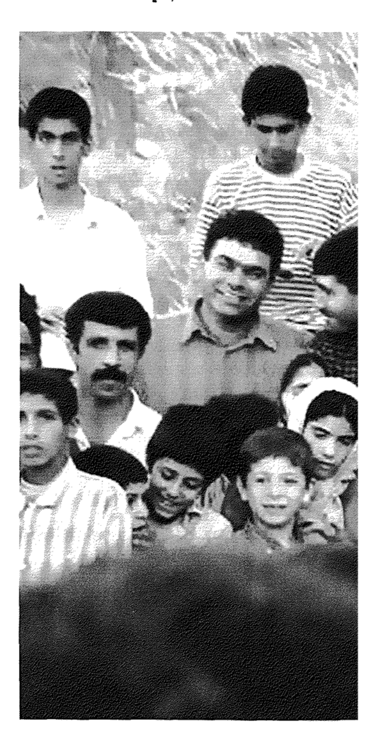
التعليم في كردستان :

تغيير من الغلاف إلى الغلاف!

عمر ابراهيم عزيز* - اربيل

* أستاذ علم النفس التربوي المساعد كلية التربية- جامعة صلاح الدين- أربيل

كانت ولاية الموصل إحدى الولايات الثلاث في العراق، وتضمنت مناطق كردستان (دهوك، أربيل، سليمانية). وعند الحديث عن التعليم في الموصل، فإنه يتضمن الحديث عن التعليم في كردستان العراق.



لعبت المدارس الدينية دورًا كبيرًا في التعليم، حيث تتضمن الدراسة حروف الهجاء وسورة الفاتحة والإخلاص والتحيات، ثم يدرس الطالب جزء عمّ، ويتقدم شيئًا فشيئًا فيكمل قراءة القرآن الكريم. وأما الخط والإملاء فكان «الفقيّ» يقوم بالتدريب عليها ذاتيًا. وعندما يبدأ «الفقيّ» بدراسة الكتب ينتقل إلى القرى الأخرى، ويبلغ عدد الكتب التي تدرس في الكتاتيب (٦٢) كتابًا، وفترة الدراسة تتراوح بين (١٢ سنة و١٦و١٨ سنة) وكانت الشروح والتعليقات على هذه الكتب باللغة الكردية، وكانت الدراسة عبارة عن المطالعة والحفظ والاستذكار. ويطلق على بعض رجال الدين اسم (ذي العلوم الاثني عشر) وذلك لأن «الفقيّ» كان يدرس العلوم الاثني عشر قبل أن يصبح مجازًا في العلوم العربية والدينية. وكانت هناك مراسيم شعبية احتفالية لمنح الشهادة وتتضمن الألعاب والتمثيليات التي كانت تقدم.

ومن أسباب زوال الدراسة الدينية في الكتاتيب غلاء المعيشة، ورفض العديد من طلاب الدراسة الدينية التطفل على جهود الكسبة والفلاحين، وافتتاح المدارس الرسمية في معظم قرى سهل أربيل، وإجراء امتحان صوري وافتتاح دورة تدريبية للمستعدين المتقدمين وتعيينهم بصفة معلمين على ملاك التعليم الابتدائي بعد ثورة ١٤ تموز. (ملاي رقش، ١٩٨٦، ص١٣٩-١٤٠).

المدارس في ولاية الموصل:

إن أول مدرسة ابتدائية حديثة أسست في مدينة الموصل كانت في عهد ولاية كنعان باشا عام ١٨٦١م. وفي البداية ضمت المدرسة صفوفًا ابتدائية وصفوفًا للدراسة الرشدية، وانفصل المكتب الرشدي عن المكتب الابتدائي عام ١٨٩٠م. وفي عام ١٨٩٤م أنشئ مكتب ابتدائي ثانٍ. وازداد عدد المدارس حتى أصبحت ٣٠ مدرسة رسمية في الموصل و٢٠ مدرسة ابتدائية في ألوية كركوك والسليمانية وأربيل والأقضية التابعة لها في عام ١٩١٤م.

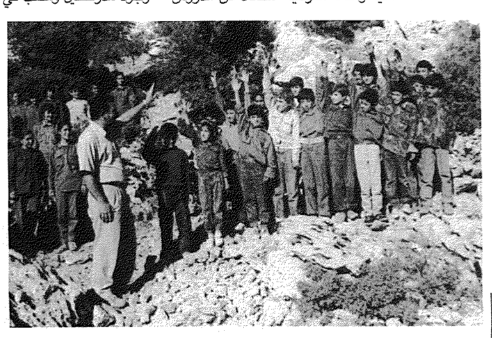
كانت مدة الدراسة في المدارس الابتدائية أربع سنوات، ويقبل الطالب في عمر ست سنوات، وملاك المدرسة يتكون من معلم واحد، ومناهج هذه المدارس احتوت على الألف باء ومبادئ الحساب والهندسة البسيطة وعلم الحال والأشياء والصحة والتاريخ والجغرافيا، وكان معظمها باللغة التركية. وكان التعليم فيها مجانًا، ويساهم الآباء عادة في تقديم بعض الأموال إلى المعلمين (الملالي) الذين يعلمون الأطفال (إسماعيل، ص ٧-٩، ١٩٨٤).

وبالنسبة للتعليم المهني فإن أول مدرسة وهي (مدرسة صنائع الموصل) تأسست عام ١٨٧٢م، وضمت مناهجها التاريخ والجغرافيا العثمانية واللغة التركية، فضلاً عن الدروس العلمية.

وتم افتتاح دار المعلمين في المدينة سنة ١٩٠٠م ويقبل فيها خريجو المدرسة الإعدادية.

وكانت هناك أيضًا إعدادية ملكية ذات خمسة صفوف، ومدرستان أوليتان، وفي الأقضية والنواحي (عقرة، عمادية، زاخو، دهوك، سنجار) كان هناك خمس مدارس رشدية و١٢ أولية، وفي كركوك والسليمانية وأقضيتهما (كويسنجق، رواندوز، رانية، أربيل، كفري، حلبجة، قلعة دزة، بازيان، شهربازار) تسع مدارس رشدية و١٦ أولية، ومدرسة رشدية عسكرية في السليمانية تهيئ خريجيها للدخول في المدرسة الإعدادية العسكرية في بغداد. وازداد عدد المدارس بمرور الزمن.

وقد تأسست مدارس عديدة لأبناء الطوائف غير الإسلامية مثل المدرسة الإعدادية الكلدانية سنة ١٩١٠م ومدرسة (الاليات الإسرائيلي) لأبناء الطائفة اليهودية عام ١٩١١م. وفيما يخص منطقة بادينان، فقد أشارت السالنامات الأولى لولاية الموصل والتي صدرت خلال المدة بين ١٨٩٠ و١٩١٢م عدم وجود مدارس رسمية في هذه المنطقة. وهناك إشارة واحدة في سنة ١٨٩٤م إلى وجود ١١ مكتبًا أهليًا (كتاتيب) لتعليم الصبيان في دهوك: ٧ فيها للمسلمين و٢ للمسيحيين و٢ لليهود، كانت تعلم الصبيان القراءة والكتابة ومبادئ الدين فقط. وإشارة أخرى لاحقة إلى وجود مدرستين ومكتب في زاخو ومدرسة ابتدائية في دهوك عام ١٩٠٧م.



نتبين مما سبق أن الدولة العثمانية لم تول التعليم الاهتمام الكافي، وكانت لغة التدريس هي اللغة التركية، وبعد المطالبة الملحة بتغيير لغة التدريس اضطر الاتحاديون سنة ١٩١١م إلى إدخال اللغة العربية، ثم تراجعوا عن قرارهم وأمروا بتدريس الجغرافيا والتاريخ باللغة التركية. وطالب الأكراد أيضًا في مدينة دهوك

بتطبيق الدراسة باللغة الكردية في كردستان. وهذا دعا الجيش العثماني إلى الهجوم على بارزان في نيسان عام ١٩١٤م.

وإبان الاحتلال البريطاني، تم إغلاق عدد من المدارس العثمانية، ولكن بعد توفر الأعداد المطلوبة من المعلمين تم فتح بعض المدارس في الموصل ودهوك وعقرة وزاخو. ثم فتحت مدارس كانت لغة التعليم فيها كردية.

كان في العراق سنة ١٩١٩م ٧٥ مدرسة ابتدائية وأولية، وكان التعليم باللغة العربية في ٥٦ مدرسة، وباللغة التركية في ١١ مدرسة، وباللغة الكردية في ٧ مدارس.

ولم تشتمل البعثة العلمية الأولى إلى الخارج طلابًا من كردستان، وقد نشرت اللجنة الدولية التي حققت في مشكلة الموصل، في توصيتها ضرورة نشر التعليم في المدارس الكردية باللغة الكردية، واتخذت عصبة الأمم في ١٩٢٥م قرارًا بهذا الشأن بلغ به المندوب السامي البريطاني في بغداد، ولكن الحكومات العربية العراقية المتعاقبة لم تلتزم بذلك.

واستمرت محاولات الأكراد المخلصين لجعل الدراسة باللغة الكردية في مناطق كردستان، ولتوفير ميزانية للتعليم في كردستان مماثلة لميزانيات باقي محافظات العراق.

وكانت نسبة المدارس الكردية قليلة مقارنة بعدد السكان الأكراد في مناطق كركوك والموصل، ولم تكن الدراسة باللغة الكردية في دهوك والعمادية وزاخو وشيخان وعقرة. بينما كانت الدراسة باللغة الكردية في ١٣ مدرسة في هذه الأقضية عام ١٩٢٧م.

ولم توفر الحكومة ميزانية لتوفير المناهج باللغة الكردية ولم تفسح لهم المجال لعمل ذلك.

ورغم مساوئ الانتداب البريطاني من ١٩٢٤إلى١٩٣٢م في السياسة التعليمية لكردستان العراق، فهناك أمور إيجابية يجب ذكرها مثل:

– وضع في هذه الفترة أسس ونظام ومناهج الدراسة الكردية .

– التجاوب مع المطالب الكردية فيما يتعلق باستخدام اللغة الكردية.

– تطور اللغة الكردية كوسيلة للمراسلة والتعليم.

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسة الكردية في كركوك وفي بادينان لم تطبق حتى آذار ١٩٧٠م. (بوتاني، ص٢٧، ٢٠٠٢).

الدراسة الكردية بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م:

حررت الثورة العراق من التبعية الاستعمارية ومن العهد الملكي، وحطمت حلف بغداد، وفتحت الآفاق أمام تحولات اجتماعية واقتصادية وثقافية واسعة للشعب العراقي عربًا وأكرادًا، فقد نص الدستور المؤقت الذي صدر في ٢٧ تموز ١٩٥٨م، ولأول مرة في تاريخ العراق الدستوري على المساواة بين العرب والأكراد في الحقوق، والشراكة في الوطن.

أما بصدد التعليم فقد تشكلت مديرية خاصة في وزارة المعارف لتطوير التعليم في كردستان- العراق، وتهيأت بذلك للأطفال والشباب الأكراد إمكانية التعليم بلغتهم الأم، وفي المؤتمر الثالث للطلبة العراقيين (اتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية) الذي

انعقد في مطلع كانون الثاني ١٩٦٠م ببغداد، قدمت للمؤتمر العديد من التوصيات منها:

- تدريس تاريخ الشعب الكردي في المدارس الكردية خاصة والعراق عامة.
- جعل اللغة الكردية لغة رسمية في كل مدارس كردستان-العراق، والمباشرة بتطبيقها في السنة الدراسية ١٩٦٠م-١٩٦١م.
- فتح بعض المعاهد العالية في كردستان.
- وضع خطة عامة لإيجاد الجامعة الكردية والمباشرة في تهيئة المستلزمات الضرورية لميلادها.
- زيادة عدد الموفدين في البعثات الحكومية من الطلبة الأكراد، وإشراف مديرية المعارف للدراسة الكردية على ذلك.
- تدريس نصوص مترجمة من الأدب الكردي في المدارس العراقية ضمن مناهج المطالعة الأدبية.

تدهورت الدراسة الكردية مع ابتعاد قادة ثورة ١٤ تموز عن النهج الديمقراطي في الحكم منذ مطلع سنة ١٩٦٠م وتوقف سير التعليم الكردي تقريبًا فقد بلغ عدد الذين يسمح لهم عمرهم بدخول المدارس سنة ١٩٦٠م- ١٩٦١ م نحو (٢٧٠) ألف طفل، أما الذين تمكنوا فعلاً من دخول المدارس فكانوا ١٣٦ ألف طفل فقط، أي أن ٣٤٪ من أطفال كردستان ظلوا محرومين من التعليم، وازدادت هذه النسبة في سنوات الثورة الكردية التي اندلعت في ١١ أيلول ١٩٦١م.

وفي المؤتمر الرابع لنقابة المعلمين في الجمهورية العراقية المنعقد في شباط ١٩٦٢م أتت السلطة على البقية الباقية من الدراسة الكردية، فقد قرر المؤتمر وبإيعاز من السلطة، بالنسبة للدراسة الكردية ما يأتي:

- توحيد المناهج في جميع أنحاء العراق باللغة العربية.
- إبدال كلمة (المنطقة الشمالية) بكلمة (كردستان) في الكتب والمناهج.
- تأسيس مكتبات عربية في المناطق الكردية.
- تدريس اللغة العربية بطريقة فنية خاصة في مختلف مراحل الدراسة في (الشمال).
- تشجيع الكتاب الأكراد والمؤلفين على التأليف بالعربية.
- شجب مقررات لجنة الدراسات الكردية في المؤتمر الثالث بتأسيس كلية التربية في كردستان.
- إلغاء مديرية المعارف العامة للدراسة الكردية.
- إلغاء عقد مؤتمرات خاصة بالمعلمين الأكراد لوجود نقابة تمثل الجميع.
- عدم تأسيس مجمع علمي كردي، وشجب مقررات لجنة الدراسات الكردية في المؤتمر الثالث للمعلمين بهذا الصدد.
- إنزال أشد العقوبات في حق المعلمين الذين اشتركوا في (الحركة الانفصالية الرجعية في شمال الجمهورية العراقية).

رفض المعلمون الأكراد المشاركون في المؤتمر القرارات المذكورة أعلاه جملة وتفصيلاً، واستنكروا تبديل اسم كردستان وإطلاق اسم المنطقة الشمالية عليها، وأصروا على تأسيس كلية التربية في كردستان وعلى بقاء مديرية المعارف العامة للدراسة الكردية، وشجبوا التوصية بعدم عقد مؤتمر للمعلمين الأكراد، كما عارضوا توحيد المناهج وتأسيس مكتبات عربية في المناطق الكردية.

وأمام تعنت نقابة المعلمين وإصرارها على مقرراتها الخاصة بالدراسات الكردية، قرر المعلمون الأكراد تشكيل اتحاد خاص بهم باسم





(اتحاد معلمي كردستان) وعقدوا مؤتمرهم الأول في ١٦ أيار ١٩٦٢م. المهم في الأمر، وبفعل انعكاسات تردي الأوضاع السياسية في العراق ازدادت نسبة الأمية في سنوات الثورة الكردية، وبلغت في كردستان سنة ١٩٦٩م أكثر من ٨٠٪، واستمرت الحكومات العراقية المتعاقبة على محاربة الدراسة باللغة الكردية بشتى الطرق، وظلت تتبجح لمنع استعمالها وانتشارها حتى تم الاعتراف بها في ١١ آذار ١٩٧٠م، على الرغم من أنها في التطبيق العملي ظل قسم واسع من الشعب الكردي محرومًا من حق التعلم باللغة الكردية.(بوتاني،٢٠٠٢، ص٤٤-٤٧).

واقع التعليم في كردستان بعد الانتفاضة عام ١٩٩١م:

يمكننا تتبع التطورات التي حدثت في كردستان العراق فيما يخص التعليم بالشكل التالي:

التربية الخاصة في نظام التعليم الابتدائي للأطفال البطيئي التعلّم

بطيء التعلم هو طفل اعتيادي في إطاره العام إلاّ أنه يجد صعوبة لسبب أو لآخر في الوصول إلى المستوى العلمي الذي يصل إليه أقرانه الأسوياء في المعدل، فلا يصنف ضمن فئة المتخلفين عقليًا ولا ضمن المعوقين. فهؤلاء الأطفال يحضرون المدرسة كالأسوياء، ولكن لديهم صعوبة في التعلم بشكل سريع، أو أنهم ليسوا بالمستوى المطلوب. وبما أن وزارة التربية هي المسؤولة عن وضع السياسة التربوية للتعليم الابتدائي وإعداد الخطط لوضع المناهج الدراسية قررت فتح عدة مدارس خاصة بهم كما يأتي:

- مدارس للبنات
- مدارس للبنين
- مدارس مختلطة
- كذلك مدارس (لليافعين واليافعات) يقبل فيها التلاميذ من التاسعة من العمر إلى الرابعة عشرة، وهي مسؤولة أيضًا عن إيجاد حل ضمن نظام التعليم الابتدائي وتعليمات خاصة لهذه الشريحة من الأطفال (بطيئي التعليم) وإنقاذهم من التخلف، وإلحاقهم بعجلة التقدم التربوي. ففتحت هذه الصفوف في محافظة أربيل ابتداء من سنة ١٩٨٠م. وعدد المدارس التي كانت تضم صفوف التربية الخاصة مدرستان فقط، هما (الأيوبية وقدم خير). وفي سنة ١٩٨٦م فتحت شعبة بمدرسة (زانين)، ثم زاد الاهتمام بهذه الصفوف ووفرت فيها وسائل تعليمية خاصة كجهاز أوظر جيد والسبورة المغناطيسية والفانوس السحري وتسهيلات ووسائل أخرى، بالإضافة إلى الأثاث الكامل لكل شعبة. وزاد الاهتمام بهذه الصفوف بعد(الانتفاضة الكبرى) وفي ظل حكومة إقليم كُردستان وخاصة من «الكابنة» الرابعة إلى أن أصبح عدد المدارس التي فيها الصفوف الخاصة (١٢) مدرسة.

دور معاهد إعداد المعلمين في إقليم كردستان العراق

نظرًا لكون المعاهد مؤسسة تربوية تابعة لوزارة التربية، وتعتبر المصدر الأساسي لإعداد كوادر التعليم في المرحلة الابتدائية، وبما أن التقدم الحضاري للمجتمع يستلهم أبحاثه من البنية الأساسية لأي مجتمع، وهي الدراسة الابتدائية إذا ما تم الإعداد اللائق بها وفق المتطلبات والمستويات العصرية فقد تم الاهتمام بالمعاهد بعد الانتفاضة.

عمدت وزارة التربية لإقليم كُردستان بعد تشكيلها مباشرة إلى درء ذلك الخطر المحدق من التربية البعثية والعمل بالاتجاه المعاكس، وإعادة الماء إلى مجراه الحقيقي، وحاولت استئصال الغدة القذرة التي غرسها النظام السابق في السلك التربوي،وكان للمعهد الدور الريادي الفعال من أجل تحقيق هذه الغاية النبيلة بإزالة الشوائب التي تركها النظام في حقل التربية، وذلك بالعمل وفق الآتي:

* تمت إعادة النظر في مناهج المعاهد العلمية وتمحيص موادها الدراسية حسب متطلبات المواقع الكُردستانية، إضافة إلى إعادة طبع العديد من الكتب المنهجية المختلفة.

* تنظيم ملاكات المعاهد ورفدها بالكوادر المؤهلة علميًا وفق أنظمة المعاهد.

* فتح المدارس في جميع القرى والأرياف المهدمة سابقًا والتي أعيد بناؤها من جديد وتعمير المدارس القديمة في القرى والحواضر(المدن).

* العمل على جلب حملة الشهادات العليا والماجستير والدكتوراه إلى المعاهد، وذلك لرفع المستوى العلمي لدى طلبة التعليم الابتدائي، وكمثال هناك أكثر من ١٨من الأساتذة الأفاضل الذين يحملون شهادات عليا(ماجستير-دكتوراه) في معهد المعلمين المركزي/أربيل.

* هناك مقاعد تخصص للمعلمين الذين لم تتح لهم الفرص لإتمام دراستهم في حينه والراغبين في الحصول على شهادة البكالوريوس وبحدود(١٠٠)مقعد دراسي سنويًا في جامعات الإقليم كمبادرة لفسح المجال أمامهم لإكمال الدراسة التخصصية للحصول على تلك الشهادة.

* تم فتح كلية المعلمين في أربيل للعام الدراسي ٢٠٠١/٢٠٠٢م وذلك بالتنسيق بين وزارة التربية ورئاسة جامعة صلاح الدين لرفع مستوى المعلمين والمعلمات .

* على صعيد خدمة طلاب وطالبات المعهد، تم تخصيص مبلغ ١٥٠ دينارًا كمخصصات شهرية لمن هم من خارج المحافظة، ومبلغ ٥٠ دينارًا لمن هم من الداخل، فضلاً عن تأمين الأقسام الداخلية للطلبة الذين يتابعون دراستهم بعيدًا عن ذويهم.

* بالاستفادة من القرار٩٨٦ عملنا من أجل إنشاء أبنية حديثة لعدة معاهد مستقبلاً.

أما بالنسبة للدورات التربوية التأهيلية بعد تعمير كُردستان في الاثنتي عشرة سنة الأخيرة بعد الانتفاضة كما أشير، فقد عمرت أكثرية القرى، وامتدت إليها الخدمات الأساسية، منها فتح مدارسها ورفدها بالكوادر التعليمية، وذلك فضلاً عن تخريج المعاهد لآلاف من المعلمين والمعلمات، إلا أن هذه النسبة لم تكن كافية، لذا دأبت وزارة التربية بمساعدة معاهد المعلمين المركزية على فتح دورات تربوية كثيرة ببرامج مكثفة لخريجي الإعداديات بفرعيها العلمي والأدبي والإعداديات المهنية ضمن محافظتي أربيل ودهوك منذ سنة ١٩٩٦م إلى ٢٠٠٢م، وشملت خريجي المعاهد الفنية أيضًا وفق تعهدات مقدمة من قبل الطلبة بالتعيين في الأماكن المحددة لهم مدة خمس سنوات وفق أطر وأسس مدونة. بهذا الشكل تمت تغطية جميع المدارس الكائنة في المناطق النائية البعيدة، كذلك ومازالت الدراسة مستمرة إلى اليوم.



الدراسة اليزيدية في كردستان العراق

في الأربعينيات من القرن الماضي أقرت دراسة

اليزيدية في بعض مدارس العراق، ولكن كانت تدرس من قبل بعض رجال الدين (المجيو) بدون كتب مقررة، حتى إن قسمًا من رجال الدين المحاضرين كانوا لا يجيدون القراءة والكتابة، وكانت الدراسة نظرية فقط، واستمرت فترة ثم ألغيت.

وبعد انتفاضة عام ١٩٩١م وجدت أجواء من الحرية والديمقراطية جعلت اليزيديين يطالبون بحقوقهم الدينية أسوة بالأديان الأخرى، وقدم مركز لالش الثقافي والاجتماعي الذي أسس في دهوك عام ١٩٩٣م، طلبًا رسميًا إلى برلمان كردستان لتدريس اليزيدية في المناطق ذات الأكثرية اليزيدية. وجاءت موافقة البرلمان وقام السيد خدر ثير سليمان بإعداد كتاب للصفوف الستة الابتدائية معًا باسم (ئيَزدياتي . وانة بؤ قوتابييَن ئيَزديان (١-٦) قوناغا سةرةتاي) أي (اليزيدية. الدروس للتلاميذ اليزيديين (١ـ ٦) المرحلة الابتدائية) وتم تدريس هذا المنهج لمدة سنتين دراسيتين ابتداء من العام الدراسي (١٩٩٥ ـ ١٩٩٦م). وقد ذكر السيد خدر ثير سليمان في مقدمة كتابة «رأينا من الضروري ملء الفراغ وقمنا بإعداد كتاب، وحسب معرفتنا، للصفوف الستة الابتدائية كمشروع أولي».

وفي عام ١٩٩٧م وبعد أن تم تعيين مشرف تربوي لمادة اليزيدية قُدمت مذكرة إلى وزارة التربية لإقليم كردستان العراق طلب فيها تنقيح كتاب (الأيزدياتي) الآنف الذكر، عند ذلك تم تشكيل لجنة من خمسة أعضاء لتنقيح الكتاب. قامت اللجنة بوضع منهاج خاص لكل صف على حدة وأخذت بالاعتبار عمر التلميذ وإدراكه.

وفي العام الدراسي ١٩٩٨ـ ١٩٩٩م كان التلاميذ اليزيديون يدرسون اليزيدية بشكل رسمي وبكل حرية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى التسامح الديني والتعايش الأخوي بين جميع الأديان في كردستان.

ثم تواصلت مطالب اليزيديين بالاستمرار في إعداد المناهج للمراحل الأخرى (المتوسطة والثانوية)، وبدعم من مركز لالش الثقافي والاجتماعي قام المشرف التربوي لليزيدية في المرحلة الابتدائية بتقديم طلب إلى المديرية العامة لتربية دهوك ورفع إلى وزارة التربية لإقليم كردستان وتمت الموافقة على تشكيل لجنة لإعداد مناهج المرحلة المتوسطة.

كان في العراق سنة ١٩١٩م ٧٥ مدرسة ابتدائية وأولية . وكان التعليم باللغة العربية في ٥٦ مدرسة . وباللغة التركية في ١١ مدرسة . وباللغة الكردية في ٧ مدارس

عرضت على المجلس الروحاني اليزيدي أيضًا وبموافقته ومباركته طبع المنهج ودرس في المدارس في بداية السنة الدراسية ٢٠٠٢ ـ٢٠٠٣م. إذًا ولأول مرة في التاريخ فإن الطلاب اليزيديين يدرسون ديانتهم في كل المراحل الدراسية الابتدائية والثانوية، إنها حقًا إنجاز كبير طالما انتظره اليزيديون طويلاً.

التربية المدنية

في إطار الجهود المتواصلة للاستفادة من تقدم تجارب الشعوب، فإن وزارة التربية لإقليم كُردستان بالتنسيق والتعاون مع وزارة حقوق الإنسان، مكبة على تنفيذ عملية تربوية معاصرة، وهي (عملية التربية المدنية). ومن أجل تطبيق التجربة اختارت وزارة التربية أربعة كتب لتدخلها ضمن المناهج الدراسية لأربع مراحل دراسية وتشمل:

- كتاب (التعلم حول المسؤولية) يدرس في الصف الرابع الابتدائي.
- كتاب (التعلم حول الخصوصية) يدرس في الصف الخامس الابتدائي.
- كتاب (التعلم حول العدالة) يدرس في الصف السادس الابتدائي.
- كتاب (التعلم حول السلطة) يدرس في الصف الأول المتوسط.

هذه الكتب الأربعة تدرس ضمن منهاج التربية المدنية في معظم دول العالم التي تهتم بهذا الجانب المهم في مسارها التربوي.

مما يلاحظ في عملية (التربية المدنية) أن فيها محاولة ملموسة للاعتماد على (الحوار) وإعطاء الدور للتلاميذ أنفسهم ليمارسوا المفاهيم بشكل أكثر. وهذه العملية اقترحت على أن تطبق في العام الدراسي ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م بشكل تجريبي في إقليم كُردستان، وفعلاً في الفترة بين ١٣ و٢٣/١٢/٢٠٠٣م نظمت دورة مكثفة في مديرية إعداد وتدريب تربية أربيل شارك فيها ٤٠ معلمًا ومدرسًا من محافظتي أربيل ودهوك و١٠ موظفين من وزارة حقوق الإنسان، بالإضافة إلى ٥ معلمين من محافظة كركوك. وضمن برنامج مكثف قدم البروفيسور (جيَمز نادمؤنز) محاضرات قيمة حول كيفية تعليم الكتب المنهجية الخاصة بالتربية والتي تعتمد أساسًا في طرائق تدريسها على المهارات العملية والمشاركات الفعالة من قبل الطلبة وبمساعدة توجيه المعلم الاختصاصي. (آفاق تربوية، ٢٠٠٤م، ص٥٤).

المناهج الدراسية وتطبيق حقوق الإنسان

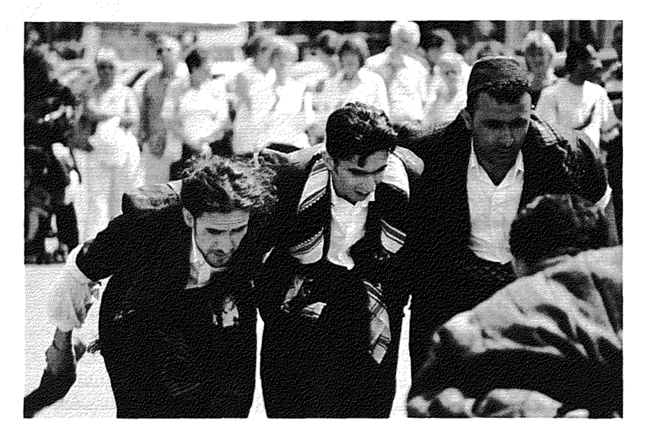
أصبحت حقوق الفرد وحقوق الإنسان وحقوق المرأة جميعها ضحية المناهج في العهد السابق التي سوقت الاستبداد بدءًا من العائلة وانتهاءً بالمدرسة. واستهدفت هذه المناهج إضعاف شخصية الفرد العراقي وإذابته في إطار أشمل هو «إطار مجتمع مجيش» يخدم فلسفة النخبة السلطوية بتوجيهاتها الشوفينية والاستعلائية، ولا يخفى ما في هذا التوجه من سحق كامل لحقوق الإنسان.

وقد استهدف تسييس المناهج من قبل النظام البائد، الترويج للتعصب العرقي والانعزالية وإلغاء الآخر والذي انسحب سلبًا بالخصوص على الخصوصية التنوعية للمجتمع العراقي. وكان الأكراد ضحية عملية الاستلاب المنهجي بالدرجة الأولى من خلال تغييب جميع مفردات التاريخ الكُردي والبيئي من المناهج الدراسية في إهمال مطلق لمبدأ الخصوصية المنصوص عليها في القوانين الدولية.

جاهدت وزارة التربية بعد الانتفاضة لإزالة الآثار السلبية والنتائج المأساوية لهذه المناهج المسيسة لفكر الحزب الحاكم وكانت المهمة صعبة وشاقة. وذلك للعدد الكبير من المناهج الدراسية من كتب مقررة ابتداء من الصف الأول الابتدائي وانتهاء بالمرحلة الإعدادية ووصولاً إلى مناهج معاهد المعلمين والمعلمات وحتى الجامعة. وتمثلت العقبات أيضًا في قلة الموارد المالية. كون المناهج الدراسية في حاجة إلى إمكانيات مالية ضخمة وقلة الكوادر المختصة في هذا المجال مثلت أشكالاً أخرى في هذا المجال؛ لذا بادر المخلصون والمعلمون والمدرسون والمشرفون التربويون والاختصاصيون والخبراء إلى العمل أولاً وضمن الإمكانات المتاحة على حذف - الصياغات المسيسة - من خلال:

- حذف صور الدكتاتور من مقدمة الكتب الواردة من المركز.
- إلغاء وحذف جميع المفردات التي تشير إلى القائد والحزب وتفكير الحزب.
- إلغاء وحذف جميع المفردات المتعلقة بالتعصب العرقي والمذهبي والطائفي.
- إعادة طبع الكتب المقررة في اختصاص الاجتماعيات واللغة الكُردية في مطابع الإقليم بغية





مسايرة المتغيرات.

- إضافة مواد وفقرات لمواكبة مفردات حقوق الإنسان وحقوق الطفل مثل دراسة بنود حقوق الإنسان في الصف الرابع العام وإضافة بعض مواد اتفاقية حقوق الطفل إلى مادة التربية الوطنية للصف السادس الابتدائي.

– حلت مفردات (حقوق الإنسان) و(حقوق المرأة) و(حقوق الطفل) و(الديمقراطية) و(حرية الفرد) و(العدالة) و(الخصوصية) و(المسؤولية) محل مفردات: الرئيس والقائد الضرورة و(الحزب القائد) و(الأمة الرائدة) و(الطلائع) و(الفتوة) و(المقاتل) وجميع المفردات الأخرى المثيرة للحساسيات والتعصب.

- تم إلغاء المفردات المثيرة للعداوات التاريخية من مثل (الفرس المجوس)...إلخ.

إن العملية التربوية في إقليم كردستان خاصةً وفي العراق عمومًا وفي المرحلة الحالية بعد عملية تحرير العراق تستوجب مراجعة كاملة لمجمل العملية التربوية. ومن الممكن للمناطق العراقية الأخرى الاستفادة من تجربة الإقليم في محاولات تكيف مناهج العلوم الإنسانية تحديدًا مع متطلبات حقوق الفرد وحقوق الإنسان من مثل تغيير منهج التربية الوطنية للصف الثالث المتوسط بصورة كلية، حيث شمل المقرر الجديد:

* شرح المصطلحات السياسية، مثل حق تقرير المصير والفدرالية والكونفدرالية.

وأن تتضمن الكتب والمنهاج التأكيد على:

* تنمية شخصية الطفل ومواهبه وقدراته التعليمية والبدنية إلى أقصى حدودها.

* تنمية احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية والمبادئ المكرسة في ميثاق الأمم المتحدة.

*تنمية الاحترام الأبوي للطفل وهويته الثقافية ولغته وقيمه الخاصة والقيم الوطنية للبلد الذي يعيش فيه الطفل والبلد الذي نشأ فيه في الأصل والحضارات المختلفة عن حضاراته.

* إعداد الطفل لحياة تستشعر المسؤولية في مجتمع حرّ بروح من التفاهم والسلم والتسامح والمساواة بين الجنسين.

* تنمية احترام البيئة الطبيعية. (آرام، ٢٠٠٤ م. ص١١٢-١١٥).

مشروع المدرسة الصديقة

بدأت وزارة التربية لأول مرة في كُردستان تطبيق تجربة (المدرسة الصديقة) في عشر مدارس نموذجية أُشترط أن تتمتع هذه المدارس بأجواء هادئة وملائمة ويؤخذ بعين الاعتبار احترام حقوق الطفل، وتكون إمكانية وتعامل ومعرفة المعلم عالية، والمناهج تتوائم مع تقدم العصر، وتتجسد فيها إبداعات المعلمين والتلاميذ.

أهداف التربية الصديقة

* يجب أن تحدد المدرسة حقوق وواجبات التلاميذ وتصونها.

* على المدرسة أن تحترم التلميذ، كفرد يتمتع بشخصيته المستقلة.

* يجري الاهتمام بنظافة التلاميذ وبالناحية الجسدية وتطويرهما، وهذا يعلمهم أن يطبقوها خارج المدرسة.

* أن يتعاون مع التلاميذ من خلال العمل في المكتبة، وصنع بعض وسائل للإيضاح، واستخدام الكومبيوتر وآلة الموسيقا والرياضة (النشاطات المدرسية في داخل وخارج المدرسة).

* على المدرسة أن تعلم التلاميذ حب الحياة، بحيث يتفاءلون تجاهها ويكونون بعيدين عن الكآبة والانطوائية... إلخ.

* تبذل الجهود من أجل تنظيم الندوات والاجتماعات لهم، لكي يعززوا العلاقة الاجتماعية أكثر.

* يراعى الوضع النفسي للإنسان (المساواة في الممارسة، الاحترام، الاهتمام، إتاحة المجال، تقييم التلميذ الذكي ...إلخ).

* أن يكون منهج المدرسة وفق حاجة المجتمع (التلاميذ) حسب متغيرات المجتمع والعصر.

* أن تكون أجواء المدرسة على أساس الحق المشترك والمسؤولية وعدم التمييز بين الذكر والأنثى.

* أن يشجع التلاميذ على الأفكار الجيدة والقيم التربوية على أساس الاحترام والتسامح والتفاهم.

* أن تعمل المدرسة من أجل كشف الإمكانيات المخفية للتلاميذ لتطوير شخصياتهم.

* أن تشجع المدرسة مشاركة التلاميذ في الدرس، لأنها تؤثر في تفكيرهم المنفتح.

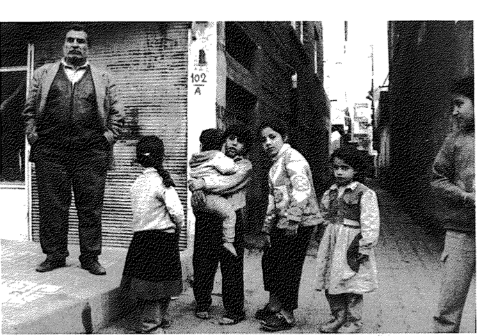
* أن تشجع المدرسة مشاركة الوالدين والمعلمين والمجتمع، وتشعرهم بأن نظافة البيت والهدوء والأمان والسلام والطمأنينة ومتابعة البيت والمدرسة ضرورية.

* أن تكون معاملة التلميذ مع البيئة منتظمة (لا يحرق الأشياء، ولا يرمي الأوساخ على الأرض، لا يقطع الورود...إلخ) وأن يرسم صور الأشجار والأزهار. (عزيز، ٢٠٠٤م، ص٦١-٦٩).

المدرسة المتميزة

تأسست عام ٢٠٠١م ثانوية في مركز محافظة أربيل باسم ثانوية أربيل النموذجية المختلطة.

قررت وزارة التربية لحكومة إقليم كُردستان العراق فتح مدرستين خاصتين للاهتمام بالمتميزين، إحداها في محافظة دهوك باسم (ثانوية ئالا النموذجية المختلطة)، والأخرى في محافظة أربيل باسم (ثانوية أربيل النموذجية المختلطة) من أجل رفع المستوى العلمي للطلبة إلى الحد الذي يستطيعون فيه الإبداع لمواكبة التطورات الحاصلة في ميادين العلم والتكنولوجيا ليكونوا أعضاء نافعين في مجتمع يتطلع إلى غد أفضل، وعلى هذا الأساس تم تحديد عدد الطلبة في الصف الواحد بما لا يزيد على٢٥-٣٠ طالبًا وطالبة حتى يتمكن المدرس من الاهتمام بهم فرديًا



وجماعيًا في أن واحد، كما زودت المدرسة بمكتبة متنوعة تشتمل على الكتب والمراجع وخصص لها مكان مناسب بشكل مؤقت بحيث يتوافر للطالب الهدوء والانفراد بنفسه للقراءة أو الكتابة، كما زودت المدرسة بالمختبرات اللازمة سواء مختبر اللغات أو العلمية وزودت بأجهزة ومعدات من قبل مديرية المختبرات ووفرت فيها ساحات اللعب لتمكين الطلبة من ممارسة ألوان النشاط الرياضي، واختيرت لها بناية ملائمة بشكل مؤقت توافرت فيها الشروط الصحية في محلة روناكي. (سولاقا، ٢٠٠٤م،ص٩٨).

نهضة رياضية مدرسية في إقليم كُردستان العراق

المتتبع للأنشطة الرياضية في إقليم كُردستان العراق بعد انتفاضة آذار ١٩٩١م يلمس بوضوح التقدم الملحوظ لهذا النشاط الحيوي ويدرك بما لا يقبل الشك، أن هناك من يدعم ويساند هذا النشاط من أجل خلق واقع أفضل وأحسن ووفق نهج صحيح وصائب، فبعد سنوات من الإهمال والضياع وهدر الطاقات نتيجة الارتجال والعشوائية والتقصير في هذا النشاط وفي إقليم كُردستان بالذات، جاءت انتفاضة آذار ١٩٩١م لتحمل معها تغييرًا جذريًا في هذا الواقع المرّ، حيث قامت حكومة إقليم كُردستان بعد تشكيل مؤسساتها بدعم مرافق الأنشطة المتنوعة ومن بينها النشاط الرياضي وعلى كل المستويات، وجاءت حصة وزارة التربية من هذا الدعم والرعاية، الكثير من الاهتمام والمتابعة وتوفير كل متطلبات ديمومة هذا النشاط والمتمثل في رعاية وزارة التربية مباشرة.

هذه الطفرة النوعية حصلت بعد الانتفاضة، حيث أخذت هذه الأنشطة منحىً جديدًا من خلال تذليل المعوقات وتوفير الدعم اللامحدود من لدن المسؤولين، والإقبال الكبير لممارسيها، وبالفعل تم رصد مبالغ كبيرة لهذه الأنشطة المدرسية باعتبارها الرافد الحقيقي لرياضة كُردستان. فعلى سبيل المثال، استمرت إقامة المخيمات الرياضية والكشفية على مستوى المحافظات والأقضية وعلى فترتين سنويًا مرة في الربيع ومرة أخرى في الخريف وعلى نحو متكامل وواسع ولكلا الجنسين، ومن ثم إقامة مخيم كبير وثابت يقام سنويًا في مركز إحدى المحافظات ومشاركة رياضيي المدارس لعموم إقليم كُردستان.

قدم مركز لالش الثقافي والاجتماعي الذي أسس في دهوك عام ١٩٩٣م ، طلبًا رسميًا إلى برلمان كردستان لتدريس اليزيدية في المناطق ذات الأكثرية اليزيدية

ولم ينحصر النشاط الرياضي المدرسي في إقليم كُردستان في أثناء فترة الدراسة، بل ونتيجة الاهتمام امتدت الأنشطة إلى العطلة الصيفية وخصوصًا في السنوات الأخيرة، حيث تمت إقامة معسكرات تدريبية للطلبة والكوادر المتخصصة (بنين وبنات) ولمختلف المراحل الدراسية من أجل تهيئة الرياضيين للسباقات المدرسية مع بدء الدراسة، وهي فترة تعتبر بمنزلة استعداد وتهيؤ للدخول في معترك السباقات. واستحدثت وزارة التربية في حكومة إقليم كُردستان وبغية تركيز اهتمامها بهذا القطاع قبل سنوات قليلة ماضية مديرية عامة متخصصة بالنشاط الرياضي والكشفي والفني مهمتها توسيع النشاط الرياضي وتوحيد برامجها وجعلها تحت مظلة واحدة. (كامل، ٢٠٠٤م، ص١٢٦-١٢٧).

مسيرة الصحافة التربوية في إقليم كردستان العراق

مجلة (ئاسۆى ثةروةردةيى) نموذجًا

شهدت الصحافة التربوية في الإقليم تطورًا ملحوظًا في مسيرتها الإعلامية المتزنة، وخصوصًا بعد أن صدر العدد الأول من مجلة (ئاسۆى ثةروةردةيى - آفاق تربوية) في أيلول/٢٠٠٠م. وهي مجلة تربوية ثقافية تصدرها وزارة التربية لإقليم كردستان العراق باللغة الكردية، تحمل بين دفتيها المكونة من ١٢٨ صفحة مواضيع متنوعة يعكس فيها الواقع التربوي والتعليمي في الإقليم، وكذلك

تسعى لنشر الوعي التربوي والثقافي والعلمي في المدرسة والأسرة على حد سواء. وتهتم بالدراسات والبحوث التي تقدم من قبل أساتذة الجامعات والاختصاصين التربويين في الوزارة والخبراء العاملين في المنظمات المحلية. وتقوم المجلة بين فترة وأخرى بإجراء استفتاءات على ما يستجد من تجارب في العملية التعليمية، ومن ثم تحليل نتائجها على ضوء المعادلات المستحصلة للاستفادة منها في التخطيط التربوي. وتقوم المجلة أيضًا بعرض نشاطات المؤسسات التربوية والمنجزات التي تحققها الوزارة، مع الاهتمام بتدوين تاريخ التعليم في كردستان والوقوف عند أعلامه الأفاضل.

من المهام الأساسية الأخرى التي تضعها المجلة ضمن أهدافها، تسليط الضوء على تجارب الدول الأخرى من مختلف القارات في مجال التربية والتعليم، وكل التطورات والحالات التي تطرأ على الساحة التربوية في العالم وتغطية أخبارها قدر المستطاع.

أثبتت (ئاسۆى ثةروةردةيى) خلال عمرها القصير، أنها منبر حر لتبادل الآراء بين الهيئات التعليمية والاختصاصيين التربويين وأصبحت لسان حالهم الأمين في نقد المؤسسات وتقييم المناهج وتشخيص نقاط الضعف في الإدارة من خلال إجراء حوارات مستفيضة وإعداد تحقيقات شاملة ومواضيع متنوعة أخرى.

حلت مفردات حقوق الإنسان وحقوق المرأة وحقوق الطفل والديمقراطية وحرية الفرد والعدالة والخصوصية والمسؤولية محل مفردات: الرئيس والقائد الضرورة ولحزب القائد والأمة الرائدة والطلائع والفتوة والمقاتل

المنهج اللغوي المتعدد اللغات في كردستان العراق.

واقع الدراسة التركمانية في إقليم كُردستان.

بدأ تطبيق لغة القوميات في التعليم، منها اللغة التركمانية في المدارس الابتدائية في المناطق التي توجد فيها كثافة سكانية للتركمان. ففي السنة الدراسية ١٩٩٣ - ١٩٩٤م فتحت ثلاث مدارس باللغة التركمانية وهي:

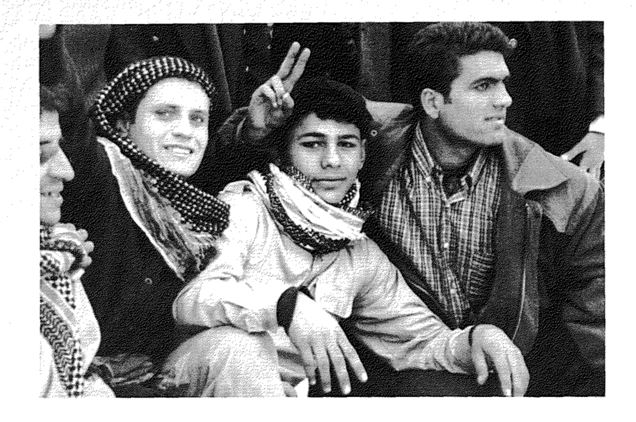
- مدرسة دوغوش الابتدائية المختلطة في أربيل.
- مدرسة فضولي الابتدائية المختلطة في دهوك.
- مدرسة قره أوغلن الابتدائية المختلطة في كفري.

وتم استحداث مديرية للدراسة التركمانية في ديوان الوزارة وقسم خاص في المديرية العامة لتربية أربيل، وفي سنة ١٩٩٦م تم استحداث المديرية العامة للدراسة التركمانية في ديوان الوزارة، وتعيين مدير عام لها وكذلك تعيين مستشار وخبير للدراسة التركمانية ومشرف اختصاصي إداري و٣ مشرفين تربويين، وبذلك اكتملت هيكلية المديرية العامة بموظفيها ولجانها المتخصصة، وباشرت بأعمالها. ومن أجل تأمين ملاكات المدارس ذات الإلمام الكامل باللغة التركمانية تم فتح قسم اللغة التركمانية في المعهد المركزي ومعاهد إعداد المعلمين والمعلمات في محافظة أربيل، وعندما تخرجت الوجبة الأولى تم تعيينهم في مدارس مركز المحافظة استثناء للقاعدة التعليمية بأداء الخدمة لمدة سنتين في المناطق البعيدة والنائية. وتم إعدادهم في دورات تخصصية لجميع المواد الدراسية باللغة التركمانية للمرحلة الابتدائية.

التعليم السرياني

تتواصل جهود لجنة الترجمة والإعداد لمناهج التعليم السرياني في طبع الكتب الخاصة بالمرحلة الإعدادية. حيث أكملت مطابع وزارة التربية في أربيل طبع كتاب الرياضيات للصف الخامس الأدبي والرياضيات للسادس الإعدادي القسم العلمي والأدبي. كذلك الكيمياء والفيزياء للسادس العلمي وبمعدل (١٠٠٠) نسخة لكل كتاب.

من جانب آخر وبعد مراجعة كتاب القراءة السريانية الأول والسادس الابتدائي أعيد طبعهما وبالألوان وبمعدل (١٠٠٠٠) نسخة لكل كتاب بهدف إيصاله إلى جميع المدارس المشمولة بالدراسة السريانية في



محافظات القطر. كما أعيد طبع كتاب العلوم بالسريانية للصف الأول الابتدائي بعد المراجعة التي ترد من خلال تقارير السادة المعلمين والمدرسين في أثناء تطبيقهم للمنهج.

كما أن الاستعدادات جارية لإعادة طبع كتاب العلوم للصفين الثاني والسادس الابتدائي وبالألوان، كذلك الخط السرياني من الأول السادس الابتدائي، والقراءة للصف الثاني الابتدائي والأول المتوسط. (مراد، ٢٠٠٤م ص١١٦-١١٩).

استخدام اللغة الأرمنية في التعليم الأساسي:

أصبحت دمقرطة نظام التربية والتعليم في إقليم كُردستان العراق أمرًا ملموسًا وعملية متطورة تستند إلى أسس ثابتة تتمتع من خلالها جميع القوميات المتعايشة بكامل حقوقها، وهي حرة في اختيار اللغة التي تدرس في المدارس الموجودة في مناطق الكثافة السكانية لهم، وكذلك الطوائف الدينية في تدريس المبادئ الأساسية لدينهم مثل المسيحية واليزيدية، فهناك حسب الإحصاءات الموجودة مدارس تكون الدراسة فيها باللغة العربية أو التركمانية أو السريانية أو الأرمنية في مختلف المراحل من ابتدائية ومتوسطة وإعدادية، وقد أدت الامتحانات العامة (البكالوريا) خلال هذه السنة وهي حالة متطورة من الأداء الإداري والتكنيك التعليمي من حيث وضع المناهج الدراسية وطرائق التدريس وتقويم النتائج.

وقد كان التعليم باللغة الأرمنية مسك ختام هذه التجربة التي تم تطبيقها في منطقة زاخو لوجود نسبة قليلة من القومية الأرمنية فيها. فحسب نسبة كثافة السكان افتتحت مدرستان، إحداهما في مركز قضاء زاخو باسم (ناظاك) الأرمنية الابتدائية. وقد بلغ عدد تلاميذها ٩٨ تلميذًا وعدد المعلمين ٨، والأخرى في قضاء سيميل باسم (آزريك) الأرمنية الابتدائية يداوم فيها ٨٦ تلميذًا وستة معلمين. وتم طبع الكتب المنهجية لهم.

ومن الضروري والمؤمل أن تطبق هذه التجربة في عموم العراق، وتتوسع الآفاق الديمقراطية لتشمل جميع الأطياف التي يتكون منها المجتمع العِراقي في مناطقه الجنوبية والوسطى كافة.

قد يصعب على البعض حتى الآن استيعاب خلفية وحيثيات هذه التجربة لأنها تبدأ من خطوة أولى يمكن أن تكون بداية مسيرة في تحول المنحى السياسي والاقتصادي للبلاد، وقد تكون نتائج تلك التجارب غير مطابقة للوضع المتردي ذي الأسس الجامدة للحكم من مخلفات النظام السابق والمؤسسات الاجتماعية الأخرى على حد سواء، ولكن المؤمل أن تكون البديل الأمثل للتحول المراد ترسيخه في عموم العراق. (آفاق تربوية، ٢٠٠٤، ص٣٤)

المصادر

- إسماعيل، زبير بلال ١٩٨٤م: من التراث الكردي (علماء ومدارس في أربيل) مطبعة الزهراء الحديثة- الموصل.
- أرام، صباح ٢٠٠٤م: «المناهج الدراسية وتطبيق حقوق الإنسان» مجلة آفاق تربوية العدد(٢)، السنة الأولى .
- آفاق تربوية ٢٠٠٣م:«مسيرة الصحافة التربوية في إقليم كردستان»، مجلة ناسوى ثةروةرقيى نموذجًا، مجلة آفاق تربوية العدد(١) السنة الأولى، وزارة التربية إقليم كردستان العراق.
- آفاق تربوية ٢٠٠٤م: «واقع الدراسة التركمانية في إقليم كردستان» مجلة آفاق تربوية العدد (٢) السنة الأولى وزارة التربية في إقليم كردستان العراق.
- آفاق تربوية ٢٠٠٤م: "خطوة نحو تحقيق عملية التربية المدنية"، مجلة آفاق تربوية العدد(٢)، السنة الأولى، وزارة التربية -إقليم كردستان- كانون الثاني.
- آفاق تربوية ٢٠٠٤م:"استخدام اللغة الأرمنية في التعليم الأساسي خطوة أخرى نحو ترسيخ ديمقراطية التربية في الإقليم" مجلة - آفاق العدد ٣ السنة الأولى- أيار، وزارة التربية إقليم كردستان، العراق.
- بطرس، نوري ٢٠٠٣م، "التعليم الوطني في إقليم كردستان" مجلة آفاق تربوية العدد(١)، السنة الأولى، وزارة التربية في إقليم كردستان العراق.
- بوتاني، عبدالفتاح علي ٢٠٠٢م: "مدرسة (١١) آذار أول مدرسة كردية في مدينة الموصل مع نبذة تاريخية عن التعلم في كردستان العراق"، وزارة التربية إقليم كردستان العراق، سلسلة الكتب التربوية(٦).
- سولاقا، صباح بويا ٢٠٠٤م: "ثانوية أربيل للمتميزين في عامها الثالث" مجلة آفاق تربوية، العدد(٢) السنة الأولى، ك٢ وزارة التربية إقليم كردستان العراق.
- صالح، شلير محيي الدين ٢٠٠٣م: "التربية الخاصة مدارس محافظتي أربيل ودهوك" مجلة آفاق تربوية، العدد(١)، السنة الأولى. وزارة التربية في إقليم كردستان / العراق.
- عزيز، عمر إبراهيم ٢٠٠٤م: "مشروع المدرسة الصدقة"، مجلة آفاق تربوية العدد(٢)، السنة الأولى، ك ٢، وزارة التربية إقليم كردستان.
- قرني،عبدالله (٢٠٠٣): "دور معاهد إعداد المعلمين في إقليم كردستان العراق" مجلة آفاق تربوية،العدد (١) السنة الأولى، وزارة التربية في إقليم كردستان العراق.
- كامل،سردار٢٠٠٤م، " نهضة رياضية مدرسية في إقليم كردستان العراق" مجلة آفاق تربوية، العدد(٢)، السنة الأولى/ ك٢، وزارة التربية في إقليم كردستان العراق.
- كلو، شمو قاسم (٣-٢):دراسة الايزدياني مطلب الايزديين في المرحلة الراهنة مجلة آفاق تربوية، العدد (١)، السنة الأولى، وزارة التربية في إقليم كردستان العراق.
- مراد، اكد ٢٠٠٤م: "كتاب القراءة السريانية للصف الأول الابتدائي بين ١٩٧٤ -١٩٨٣م" مجلة آفاق تربوية، العد(٢)، السنة الأولى، ك٢، وزارة التربية كردستان العراق.
- مراد، نادر موشي ٢٠٠٤م: "التعليم السرياني، مجلة آفاق تربوية العدد (٢) السنة الأولى، وزارة التربية في إقليم كردستان العراق.
- ملاي ره ش،عزيز١٩٨٦م " الدراسة في الكتاتيب في منطقة سهل أربيل" مجلة المثقف الجديد، العدد(١١٠)، دار الثقافة والنشر الكردية/ بغداد.

لمحات عامة..
الكرد في بيئتهم

محمد الدعمي . بغداد

قفز اسم «الكرد» أو الشعب الكردي إلى صدارة ما يسمى بـ«أخبار الساعة» بعد الأحداث الجذرية والجسام التي جرت في العراق وما تلاها من تداعيات.

ويبدو أن سياسات الدول التي تضم من بين سكانها أجزاء من الشعب الكردي قد حاولت طوال سني القرن العشرين أن تفرض ستارًا فولاذيًا «ستالينيًا» على هذا الشعب المظلوم وعلى نضاله من أجل بلوغ حقوقه القومية، الأمر الذي يفسر انتشار «الجهل» بالكرد وبأحوالهم بين الجمهور العربي عامة (باستثناء المتخصصين بطبيعة الحال)، خصوصًا خارج العراق الذي توجد فيه نسبة كبيرة من الأكراد. أما المتخصصون من الباحثين العرب فهم يعرفون الكثير عن الأكراد وحياتهم وأدوارهم السياسية في العصر الحديث بحكم تخصصهم واطلاعهم على مجريات الأحداث. لذا يكون جهد (المعرفة) لتعريف القارئ العربي بالأكراد وبحقائق حياتهم وتاريخهم وثقافتهم جهدًا مهمًا باعتبار الأواصر التاريخية والسكانية والثقافية والدينية التي تربطهم بالعرب وبالحياة السياسية المعاصرة عبر بلداننا في الشرق.

*** كردستان: أرض الكرد**

الكرد هم شعب عظيم التعداد يقطن ما يسمى ببلاد «كردستان»، أي أرض الكرد، التي يصعب تشخيص حدود دقيقة المعالم لها، بسبب امتداداتها المترامية ووعورة أراضيها (الجبلية في الغالب) ونتيجة اختلاط الكرد بالشعوب المحيطة بهم، بخاصة المسلمة منها. بيد أن الشكل العام لكردستان يمتد من جنوبي روسيا وأرمينيا شمالاً، نحو المحافظات الكردية في العراق جنوبًا؛ بينما تمتد هذه البلاد من شمالي إيران وأذربيجان شرقًا حتى سوريا وسواحل الأناضول غربًا. لذا تكون البقعة التي يقطنها الكرد منذ آلاف السنين كبيرة للغاية، وهي مقسمة بين الدول القائمة اليوم، حيث إن كردستان الكبرى تتجزأ اليوم بين تركيا وإيران والعراق وسواها من الدول التي توجد فيها أقليات كردية صغيرة. ويرد الساسة والمفكرون الكرد هذا التقسيم والتفتيت إلى سياسات الدول الكبرى عبر التاريخ الحديث، ابتداء من نهايات عهود الدولتين الصفوية (إيران) والعثمانية (تركيا)، وانتهاء بالإمبراطوريات الأوروبية التي تقاسمت بقايا هذه الإمبراطوريات الشرقية القديمة. ويذهب هؤلاء إلى أن هذه الإمبراطوريات الأوروبية قد نكثت بوعودها للأكراد بتأسيس وطن قومي لهم من أجل مصالحها الذاتية، بينما خذلت الدول نفسها «الإمارات» الكردية الفتية التي تكونت في بقاع مختلفة من كردستان الأصل، الواحدة تلو الأخرى، الأمر الذي أدى إلى اضمحلالها ثم اختفائها.

لهذا السبب يشعر الأكراد بالكثير من الخذلان والمرارة حيال الإمبراطوريات الأوروبية التي تركتهم دون كيان قومي خاص بهم بناء على المصالح الإمبراطورية المستقاة من نتائج الحروب الكبرى وتقسيم الغنائم والمصالح. وكانت نتيجة هذا «التشطير» الذي فُرض على الكرد هي أنهم وقعوا ضحية للأنظمة (الديكتاتورية والشمولية في الغالب) التي تتالت على حكم وإدارة الدول التي تضم أجزاءً من الشعب الكردي. وقد نهجت هذه الحكومات، طوال القرن العشرين، سياسات تراوحت بين طمس الهوية ومسخ الثقافة الكردية من ناحية، وبين سياسات التطهير العرقي والإبادة الجماعية من الناحية الثانية. وقد شهدت الحقبة الممتدة ما بين نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن الجاري أنواعًا مختلفة من «فنون» اضطهاد الكرد ومن طرائق سحق ثقافتهم وحرمانهم من التكلم بلغتهم

وحتى من تأسيس مدارسهم وجامعاتهم ومؤسساتهم الثقافية. بل إن بعض الحكومات، خلال القرن الماضي، حرمت الأكراد حتى من ارتداء ملابسهم التقليدية، وهي من أجمل الأزياء في الشرق عامة.

ولا يبالغ المرء عندما يدّعي بأن الكرد هم من أكثر الشعوب الشرقية نقاءً، نظرًا لأن غالبيتهم من القبائل الجبلية التي تحيا بعيدة في مناطق وعرة وجبال كأداء يصعب الوصول إليها. وهذا ما يمكن أن يفسر نقاء ولون البشرة الأبيض والشعر الأشقر الذي يميز الغالبية العظمى من الكرد، ذلك أنهم من أنقى الشعوب الآرية في العالم. كما أن هذا يمكن أن يفسر، كذلك، ميلهم القوي إلى المحافظة على تقاليدهم القومية والفولكلورية المتوارثة، زيادة على اعتزازهم بلغتهم وبعاداتهم وطقوسهم وبلباسهم القومي الزاهي الألوان. وبرغم وجود أقليات دينية «مجهرية» من اليهود والنصارى واليزيدية وربما الزرادشتية بينهم، فإن الغالبية الساحقة من الكرد تدين بالإسلام. وقد عُرف الكرد عبر التاريخ بأنهم شعب شديد التدين وقوي التمسك بعقائد هذا الدين الحنيف وتعاليمه بدرجة ظهور العلماء الأعلام والفقهاء الكبار من بين الأكراد. كما أن هذا ما يمكن أن يلقي الضوء على إسهامات الكرد في الحروب الدينية في صف الإسلام ضد غير المسلمين. وتظهر لنا شخصية الناصر صلاح الدين الأيوبي، المولود بتكريت، كأنموذج للبطل المسلم الذي حارب الصليبيين وانتصر عليهم في معارك عدة، محررًا أجزاءً مهمة من فلسطين، ناهيك من تأسيسه الدولة الأيوبية بمصر.

ولأن الكرد من الأقوام الآرية، فإن لغتهم تتصل بشجرة اللغات «الهندو أوربية»، وليس بشجرة اللغات السامية التي تنتمي إليها لغتنا العربية. بيد أن قوة الإسلام وعالميته، زيادة على مجاورة الشعب الكردي القديمة للعرب ولغيرهم من الأقوام المسلمة، جعلتا من عملية التلاقح والاستعارة بين اللغتين، الكردية والعربية، عملية جارية منذ بداية الفتوحات الإسلامية حتى اليوم، أسوة بتأثيرات العربية على لغات الأقوام التي احتضنت الإسلام، كالفرس والترك والهنود. ولكن برغم محافظة اللغة الكردية على بنيتها وتركيباتها الآرية الأساس، يجد المستمع أو القارئ أن هناك أعدادًا كبيرة من الألفاظ العربية كانت قد استعيرت ودخلت اللغة الكردية بحسب طبيعة الحياة الروحية نظرًا لحيوية اللغة الكردية المؤثرة والمتأثرة باللغات والثقافات المحيطة بها. ولكن تبقى اللغة الكردية أكثر قرابة إلى اللغة الفارسية وإلى السنسكريتية منها إلى اللغة العربية، بسبب انتمائها إلى «عائلة» اللغات الآرية. وبرغم هذا، يستعمل الكرد الحروف العربية للكتابة، مع إضافة علامات وإشارات مستحدثة صغيرة تُكتب للتمييز بين طرائق إخراج بعض الأصوات وتلفّظ الحروف غير الموجودة في العربية. لقد حاول بعض الكرد أن يستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية (كما فعل الترك في عهد كمال أتاتورك)، ربما بدوافع محاكاة الغرب على خطى الأتراك، بيد أن هذه المحاولات لم تلقَ النجاح الكافي لانتشارها ولقبولها، خصوصًا أن عيون الكتب والتراث الكردي مسجل بالأحرف العربية منذ مئات السنين. لذا تكون هذه المحاولات أشبه بدق إسفين بين الأجيال الكردية الناشئة وبين تراثها الثقافي القديم المسجل بالأحرف العربية. وإذا كان هذا هو حال الحرف المكتوب والنص المطبوع، فإن اللغة الكردية لا تختلف عن سواها من اللغات العالمية الحية في أن لها لهجات متنوعة ومختلفة. بيد أن هذه اللهجات لا يختلف بعضها عن بعض بشكل كبير يمنع الاتصال والتفاهم بين الكرد أينما وجدوا، لأنها أشبه ما تكون باختلاف اللهجات العربية، بين السعودية ومصر، أو بين سوريا والعراق. ويذهب بعض فقهاء اللغة الكرد إلى استمكان لهجتين رئيستين في لغتهم، وهما: لهجة الشمال، بمعنى لهجة

وقد عُرف الكرد عبر التاريخ بأنهم شعب شديد التدين وقوي التمسك بعقائد هذا الدين الحنيف وتعاليمه بدرجة ظهور العلماء الأعلام والفقهاء الكبار من بين الأكراد



الكرد في تركيا صعودًا إلى الشمال، ولهجة الجنوب، بمعنى اللهجة المتداولة في المحافظات الكردية في العراق، خصوصًا في منطقة أربيل. وتعد اللهجة الثانية أكثر «رسمية» وأكثر شيوعًا في الثقافة بسبب كونها معتمدة في كتابات النصوص الأدبية والإعلامية والسياسية الحديثة والقديمة.

ولكي يعرف المرء شيئًا عن طبيعة الشخصية الكردية، فإن عليه أن يلاحظ بيئتها. إن أية نظرة على خريطة الإقليم الكردي لن تخفق في الكشف عن أن معظم بلاد كردستان تتكون من مناطق جبلية وعرة، تتخللها سهول ووديان جميلة غنّاء، إضافة إلى قلة أو غياب وجود منافذ على البحار والمحيطات باتجاه العالم الخارجي. لذا يمكن تقسيم الشعب الكردي إلى حضر وسكان جبال. يسكن الحضر في المدن والقرى الكردية المجاورة لمصادر المياه، كالأنهار والعيون والينابيع، زيادة على اعتمادهم على الحِرف والتجارة والأعمال الحضرية الأخرى المعتمدة على ما يأتي هذه المدن والقرى من منتجات الأودية والسهول الزراعية والغابات الجبلية المحيطة بأغلب المراكز الحضرية. أما الغابات، فإنها تقدم منتجات تعتمد على أنشطة الإنسان الكردي، جامعًا للغلة وصيادًا، وليس منتجًا لها كما هي عليه حال الفلاح الكردي الذي يزرع الغلال والأشجار في الأودية والسهول الضيقة لتسويقها إلى المدن. ومن منتجات الغابات الطبيعية في كردستان أنواع الثمار الطبيعية، كالمكسرات (الجوز واللوز والفستق وسواها)، زيادة على ما تحفل به الطبيعة من أنواع الحيوانات والطيور لهذه البلاد الجميلة. إن الحياة البرية في كردستان غنية جدًا بأنواع الطيور والوحوش بسبب بعدها عن ملوثات العصر الحديث ونتيجة وعورة جبالها. كما توجد في هذه الجبال أنواع من الحيوانات النادرة والمفترسة كالدببة والثعابين وأنواع القطط الوحشية الكبيرة، إضافة إلى ما يقال من وجود نمور وأسود آسيوية لم تزل مختبئة في الجبال التي لا يصلها الإنسان. وقد انعكس بكر الطبيعة على الإنسان الكردي، خصوصًا خارج المراكز الحضرية الكبرى كالسليمانية وأربيل ودهوك وسواها. إن الإنسان الكردي متآصر بعلاقة حميمة مع الطبيعة: فهو يأكل من نتاجها النقي، وهو يتناغم معها في ملبسه وفي صلابة جسده وشجاعته المعهودة. إنه من أقوى متسلقي الجبال في العالم، كما أنه من أشد المقاتلين وأصحاب أخلاق الفروسية الرفيعة التي لم تؤثر عليها المكنة والتكنولوجيا.

ويتجسد التوافق بين الطبيعة الغنّاء والإنسان الكردي في أجمل أشكاله بالمرأة الكردية. وهي امرأة محافظة جدًا ووفية لعائلتها ولأطفالها أيما وفاء. أما لباسها فهو غالبًا ما يكون من الأثواب العريضة الفضفاضة وبالألوان الزاهية واللامعة المثيرة للانتباه، إضافة إلى أنها غالبًا ما تضع غطاء للرأس أشبه ما يكون بشكل العمامة، ولكنه مزوق بالخيوط المذهبة وبالألوان المختلفة، زيادة على الفصوص وقطع المعادن الغالية الثمن. وهي، عندما تكون من عائلة غنية، فإنها تبالغ

في لبس الحُلي الذهبية والفضية والمطرزة بالأحجار الكريمة. وبسبب تقاليدها القومية والدينية العميقة، تبدو المرأة الكردية شديدة العناية بنظافتها وبنظافة أبنائها وبيتها، بينما يمتاز مطبخها بالأكلات والصحون المتنوعة، إضافة إلى ابتكارها أنواعًا من فنون وأساليب حفظ الأغذية التي تزخر بها بلادها في مواسم معينة. ويكون الحفظ على أشعة وحرارة الشمس أحيانًا، بينما يكون هذا الحفظ تحت أكوام الثلج والجليد السميك الذي يغطي الأرض في أحيان أخرى، بحسب الموقع الجغرافي ودرجات الحرارة وتقلب المواسم. أما لباس الرجل الكردي التقليدي، فيتكون من سترة سميكة وقصيرة (جاكيت) مع سروال عريض مستدق النهاية. وتُلف قطعة قماش طويلة وملونة على الجذع في منطقة التقاء السروال بالسترة بديلاً من الحزام الجلدي. ويرتدي الرجل الكردي في المناطق الصخرية نوعًا من الأحذية البيضاء المحوكة يدوياً، وهي قوية ومناسبة لمقاومة الصخور وتسلق المرتفعات والحافات القاسية. ويضع الرجل على رأسه عمامة سميكة لحمايته من البرد القارس والحر الشديد خصوصًا في المناطق المتقلبة الطقس. ويبدو أن أفضل مناسبة للاستمتاع بجمال الكرد وبروعة تآزرهم الاجتماعي تتمثل في مناسباتهم القومية والدينية كأعياد نوروز والأعياد الدينية الإسلامية، ناهيك من مناسبات الأفراح، كالزواج والختان وسواهما. في مثل هذه الاحتفالات، يلتقي أبناء العشيرة أو القرية ليغنوا ويرقصوا «الدبكة الكردية»، بينما يتخلل هذا الغناء والرقص نوع خاص من الموسيقا الكردية القديمة والبسيطة، ولكن الرائعة. والكرد كرماء في طبيعتهم، لذا لن يجد الزائر الغريب بينهم أي إحساس بالغربة أو الاغتراب، ذلك أنهم يحيطونه بالاحترام والتقدير وسعة الصدر والسخاء.

أما أبناء المدن، وبحكم اتصالاتهم التجارية والاجتماعية والسياسية بالأقوام المجاورة كالعرب، فقد تمكنوا من البروز في مختلف هذه الحقول، ليس بداخل المجتمع الكردي فحسب، بل كذلك بدواخل المجتمعات المجاورة المتآخية كالعرب. ويقدم لنا تاريخ الثقافة، وليس تاريخ البلاط والسياسة، منائر عالية من المفكرين والفقهاء والفلاسفة والأدباء الكرد الذين أبدعوا بلغات هذه الأقوام. وتزخر الثقافة العربية في العراق وفي سواه بأسماء رجال فكر كرد بارزين، ومنهم الشعراء كالراحل «بلند الحيدري». ويذهب بعض المتابعين إلى

الولاء للأسرة ثم للقبيلة

خالد سيف الدين ـ العراق

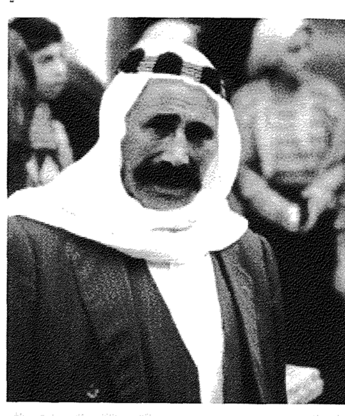
كان المجتمع التركي قديمًا يتكون من قبائل بدوية متنقلة أو شبه متنقلة على النمط الذي عاشوا عليه من مئات السنين، وهذا التنظيم يعتمد على الزعيم الديني والقبلي (ريس ساروخ أو شيخ) وينقسم المجتمع إلى الشيخ وعائلته والطبقة الأرستقراطية والقرويين العاديين ثم الزراع والرعاة. وهذا المجتمع يتميز بالفردية، وغالبًا ما ينقسم على بعضه، وحتى هذا الوقت لم يجتمع الأكراد على وحدة يلتفون حولها، ويكون الولاء نحو العائلة في المرتبة الأولى ثم القبيلة في المرتبة الثانية، وحتى القبيلة تتكون من مجموعات مشتركة في المنطقة، وغالبًا ما تنشأ مشاكل بين المجموعات والعائلات الكردية. وقد ظهر هذا جليًا في الانشقاق الذي حدث بين الأكراد عندما أسس الملا مصطفى البرازاني الحزب الديمقراطي الكردستاني فقد انضم آلاف الأكراد إلى حزب البعث متشككين في دوافع مصطفى البرازاني، كما حدثت الحرب بين الأكراد الأتراك والأكراد العراقيين. وعلى الرغم من ذلك يدّعون أنهم يكوّنون تميزًا لغويًا وعرقيًا ومجتمعيًا وليسوا أناسًا تجمعهم أرض فقط. وتعتبر الأسرة أهم وحدة اقتصادية واجتماعية في المجتمع الكردي فبطبيعة الحال يكون أي فرد من العائلة جزءًا من المجتمع، فالفرد يتبع للجماعة داخل الأسرة وله الحق في الزراعة والعمل وتربية الأبقار.

خضعت الأسرة الكردية لتغيرات عديدة. فالأسرة

أن نزار قباني إنما ينتمي إلى أسرة كردية الأصل. وإضافة إلى هذا، برز من الكرد رجال دين ورجال دولة، زيادة على رجال القلم والسيف.

*** الكرد العراقيون:**

لقد أدى كرد العراق أدوارًا طيبة وأساسية في



بناء الدولة العراقية الحديثة وفي تشكيل مجتمعها المتماسك، حيث كان للتصاهر والاختلاط أثر إيجابي في تشكيل المجتمع العراقي المتنوع الذي جعل من وجود الكرد فيه مجتمعًا مختلفًا عما يجاوره من مجتمعات الدول العربية وغير العربية. وقد أدت شخصيات كردية عظيمة أدوارًا رائدة في بناء صرح الثقافة العراقية، بل العربية والإسلامية في الماضي وفي الحاضر. ولم نزل نقف أمام مثل هذه الشواخص بكل احترام وتفاخر واعتزاز. ونتيجة هذا النوع من التلاقح الثقافي والسكاني ظهرت، لأول مرة في التاريخ الشرقي، فئة من الكرد الذين أطلق عليهم البعض اسم «المستعربين» وهم هؤلاء الذين شكلوا جزءًا رئيسًا من سكان المدن العراقية الكبرى كبغداد والموصل. وكان هؤلاء كردًا أساسًا ولكنهم أنصاف عرب بقدر تعلق الأمر بثقافتهم وإسهاماتهم الفكرية والعملية المحترمة، فبرز منهم أساطين من كبار الساسة والأطباء والأساتذة والمحامين والتجار، مشكلين جزءًا رئيسًا مما يمكن أن نطلق عليه اليوم بـ«النخبة السراتية» العراقية.

الكردية في مرحلة انتقالية في المناطق الحضرية تحاول أن تتماشى مع متطلبات العصر الحديث، بينما في الريف فإن تأثير الحياة المدنية عليها قليل، والأساس المتين الذي تقوم عليه الأسر في الريف الأرض الزراعية، فالرجل الغني أو صاحب الأرض عادة ما يكون متعدد الزوجات، أما الرجل الفقير فله زوجة واحدة. وتعدد الزوجات غالبًا ما يرتبط بالمقدرة المالية، وتقوم الأسر الغنية بتزويج أبنائها ببنات الأسر الغنية، وينظر إلى الذرية على أساس أنها ضمان اجتماعي عند التقدم في السن، إضافة إلى قيمة النسل في أداء الأعمال في الزراعة. والزواج في الأسر الكردية يتم بتخطيط من الأب فهو يدفع المهر لابنه، أما دور الأم فيعتبر استشاريًا فقط، ويتم الاختيار على أساس مكانة العروس الاجتماعية وصحتها ومقدرتها على العمل في الحقل وأخلاقها بالطبع. وهذا الانتقال من حياة إلى أخرى في بعض الأحيان يكون مأسويًا بسبب ترتيب الزوجة في الأسرة الجديدة، كما أن والدة العريس لا تتحدث مع العروس إلا بعد أن تضع مولودًا لولدها.

المرأة الكردية

تستيقظ المرأة الكردية في الريف من الفجر ولا تذهب للنوم إلا عند منتصف الليل، وبين هذين الوقتين تكون في عمل متصل، فبالإضافة إلى أعمال الطبخ والغسل والواجبات المنزلية يجب عليها أيضًا أن تعد الخبز وتحلب الأبقار وتعمل في الزراعة وتجمع الحطب للنار وتحضر الماء، وبعض الأسر الميسورة تقوم باستئجار عاملة لتلك المهام، وهذا يعتبر تمايزًا بين الأسر الفقيرة والغنية. ولكن المرأة في الأسرة الغنية لا تملك حرية كالتي تملكها المرأة في الأسرة الفقيرة نسبة؛ لأن كل الأعمال التي تتطلب حركة تقوم بها الخادمة، كما أنهن لا يقمن بأي عمل جماعي خارج المنزل ■

---

*المصدر مجلة كردستان العراق.



وعلى الصعيد السياسي بالتحديد، يمكن للمرء أن يلاحظ هذا الاختلاط والتداخل الاجتماعي الصحي الذي أضفى عليه الكرد صفته الرائعة والجميلة المتفردة. لقد عمل الكرد بكل نشاط وذكاء بداخل الحركات السياسية الوطنية والديمقراطية حتى صارت بعض أسمائهم جزءًا لا يتجزأ من تاريخ الحركة الوطنية في العراق. كما كان لبعض الكرد (في أحيان عدة) «حصة الأسد» في تشكيل وإدارة الحكومات العراقية الناشئة منذ بدايات القرن الزائل، فكان منهم رؤساء الوزارات والوزراء والمحافظون وكبار الضباط. بل ويقال إن أقوى شخصية في تاريخ النظام الملكي في العراق طوال أربعين عاماً، نوري باشا السعيد، إنما هو من أصول كردية. كما كان أقوى وزير داخلية حقبة ذاك رجلاً كرديًا وطنيًا لم يزل يُذكر من قبل العراقيين لشجاعته وحبه لوطنه، سعيد قزاز. حتى مؤسس الجمهورية العراقية، الزعيم عبد الكريم قاسم، كان نصف كردي، لأن والدته تنتمي عرقيًا إلى هذه القومية الطيبة. ومن الظواهر اللافتة للنظر أن يبرز ساسة كرد في الحركات القومية العربية التي تطالب بالوحدة العربية وبالاندماج الوطني بين القوميتين الرئيستين في العراق. ومن هؤلاء رجال تسنموا مراكز قيادية في الحكومات العراقية المتعاقبة، من أمثال علي صالح السعدي، وطه الجزراوي وطه محيي الدين معروف، الرجل الثاني والثالث بعد الرئيس السابق، وهم كرد كذلك. زعيم الحزب الشيوعي العراقي السابق، عزيز محمد، كان كرديًا، كما كانت عليه الحال مع أعداد كبيرة من القيادات السياسية، في النظام وفي المعارضة، ناهيك من أن الجيش العراقي كان يزخر بعدد من أشجع وأبرز ضباطه من الأكراد، والقائمة تطول.

إن الفسيفساء العراقي الذي يضفي عليه الأكراد لونه ومزاجه المتفرد لا يمكن أن يُفهم أو يُدرك بدقة بدون فهم الكرد ودورهم المهم في تشكيل العراق الحديث. ويبدو أن وجود قوميتين رئيستين في العراق (العرب والكرد) يمكن أن يُشكل سلاحاً ذا حدين: فمن ناحية أولى، يؤول هذا التنوع العرقي واللغوي إلى التنافس وإلى التفاعل اللذين يمثلان الشروط المسبقة للتقدم والابتكار والإبداع. ومن ناحية ثانية، يكون هذا التنوع مصدرًا للمشاكل والفوضى عندما يحاول جزء من قومية معينة مصادرة حقوق وتطلعات القومية الأخرى، كما حدث في تاريخ العراق الحديث. ولا يبالغ المرء إذا ما ذهب إلى أن هذه الثنائية الإثنية يمكن أن تُحال إلى عنصر تآصر وتجاذب، بدلاً من أن يساء استخدامها بوصفها عنصرًا للتنافر والتناقض.


أرز باخيل بابطين
باخيل بابطين
نجم في القمة
الرياض - هاتف ٤١٣٥٧٤٩ فاكس ٤١١٨٠٨٧
www.babtain1.com

تحولت بعد الترجمة من الألوان إلى الأبيض والأسود! :

نماذج من الأدب الكردي

مظفر بشير* . العراق

* باحث كردي عراقي .

الأدب الكردي جزء من الأدب الإنساني الذي يسيل رقة ويفيض عاطفة ويزهو جمالاً؛ إذ يرسم فيه الخيال صورًا رائعة تقرؤها الأجيال حكمًا منيرة وأنغامًا ساحرة ومعاني رائعة لا تحول ولا يعتريها أفول، هذا الذي جعل رسول ﷺ يقول: «إن من البيان لسحرًا وإن من الشعر لحكمة» فإذا أضاف الأدب الكردي إلى هذا كله ميزات شعب قاطن في أجمل بقاع الأرض مع طيبة في النفس وشجاعة وقوة وبسطة في الجسم والخلق، فكيف سيكون المولود الجديد؟ إنه لا شك جامع للحسن والمجد من أطرافه، وهو مهوى الأفئدة ومأوى الأصالة وموطن الإعجاز.

وعساي أوفق في هذه الصفحات لإظهار جوانب مضيئة وملامح مشرقة في هذا الأدب الرفيع. وعماد توفيقي في ذلك هو ما أطلع عليه من شذرات، وما أقطف من زهور وثمرات مقدمًا الاعتذار لأني لا أعرض هذه النصوص بلغتها الأصلية وثوبها القشيب، فلا بد من ظهور برودة الترجمة التي تخفي البريق الأصيل والألوان الزاهية؛ فقد قال بعض النقاد: إن الترجمة في الميدان الفني خيانة، ولكن هذا الحكم على ما به من وجاهة قاس ؛ لأن الخيانة هي تعمد إخفاء الحق وإظهار الباطل، والمترجم لايألو جهدًا في إظهار النصوص المترجمة قريبًا من النص الأصلي، ولكن ما حيلته إذا كان لكل لغة مقاييس جمال تختلف عن اللغة الأخرى، ولايمكن إظهار الجمال الأصيل ونقله إلى موطن غير موطنه، ولكني أميل إلى رأي أقل من هذا قسوة وأقرب إلى الواقع، إذ يقول: إن النص الأدبي في لغته الأصلية كالصور بألوانها الزاهية المختلفة، أما النص المترجم فهو صورة بالأسود والأبيض فقط. هذا وما لا ينال أجمعه لا يترك أنفعه، إن الأدب الكردي هو المكتوب باللغة الكردية، أما الأدب المكتوب بلغة أخرى من قبل أدباء أكراد فهو ليس أدبًا كرديًا، وهناك الكثير من النصوص الأدبية العربية الرائعة كتبها أدباء أكراد متضلعون بالثقافة العربية الإسلامية، ومنهم البيتوشي الذي يقول:

بدت شعرة بيضاءُ في أصل لمتي
فبادرتها بالقلع والقطع والنتف
فقالت على ضعفي اعتديت بقوة
رويدك للجيش الذي جاء من خلفي

إن اللغة الكردية هي لغة هندوأوروبية، ولها عدة لهجات أشهرها لهجتان هما: كرمانجي الشمال والغرب، ويتكلم بها أكراد تركيا وسوريا وشمال العراق، وكرمانجي الجنوب وتسمى أيضًا (سوراني)، ويتكلم بها أكراد إيران وشرق العراق. وإن مجرى الزاب الكبير هو الحد الفاصل بين اللهجتين. هذا وإن اختلاف اللهجات في المناطق الجبلية أمر طبيعي، ولعل مرد ذلك صعوبة الاتصال بين المناطق المختلفة. وقد أثرت اللغة العربية في اللغة الكردية وذلك لأنها لغة الإسلام والقرآن، واعتناق أكثر الأكراد الديانة الإسلامية. كما تأثرت اللغتان التركية والفارسية كذلك وللسبب نفسه. ففشت الألفاظ والمصطلحات العربية والإسلامية في هذه اللغات الثلاث. وقد استعمل الأكراد والفرس والترك الحروف العربية مع إضافة بعض الرموز للتعبير عن بعض الأصوات غير الموجودة في اللغة العربية، ولكن الأتراك بعد مجيء أتاتورك تركوا الحروف العربية واستعملوا الحروف اللاتينية. وأول من درس اللغة الكردية هم المستشرقون الذين أطالوا الحديث عنها وعن أصالتها. ومن أشهرهم العالم الأمريكي ماكاروس عام

١٩٥٨م، ومكنزي من أوكسفورد عام ١٩٦١م، وقد وضع أحد المستشرقين الروس قاموسًا كرديًا روسيًا يحوي ثلاثين ألف كلمة.

إن الأكراد، والأدباء منهم بخاصة، يهيمون بحب كردستان، بيئتهم الجميلة التي يكاد جمالها يفوق أجمل بقاع الأرض، فهي منطقة جبلية شاهقة الجبال لا يكاد الثلج يبارح هاماتها طوال أيام السنة، وإن روافد دجلة و الفرات تستمد مياهها من أواسط كردستان، وعندما تمر هذه الروافد عبر الممرات الجبلية والوديان تكون فسيفساء رائعة الجمال بألوانها الزاهية وثمارها اليانعة ونسيمها العليل، ويُكثر الشعراء ذكر وادي أخماخان في أشعارهم كمثل على هذه الوديان الزاهية وليس أزهاها وأجملها. اسمع لهذا الشاعر الذي يوازن بين جمال ابنة عمه وجمال أخماخان:

ابنة العم جمالك نار و نور
تشبهان ينابيع أخماخان
وأنت تثبين كظبية بين زهور أخماخان
وخصلات شعرك تتهادى كما تهادى
أغصان أخماخان

واسمع لهذا الشاعر الآخر الذي جعل حبيبته جزءًا من هذه الطبيعة التي تحيط به فيحيطهما بحبه وهيامه فهو يقول على لسانها:

أنا زهرة برية عليها شعاع الشمس و الندى
إن لم تقترب منها فستبعد عنك إلى المدى
إن لم تسقها ماء الحب ستجف جذورها
ولا تتفتح و لا يفوح عبيرها
أنا زهرة الجبال القصية
أيها الفتى المحب للزهور لن تجد أجمل مني
تعال و اقطفني و اذهب بي حيث شئت
فإني سأبهجك

ومن مظاهر عشق الأكراد لموطنهم الجميل والطبيعة الساحرة المحيطة بهم أنهم يسمون أبناءهم عدا الأسماء الدينية وأبطال تاريخهم وملاحمهم والحيوانات القوية التي تعيش معهم، وخصوصًا بناتهم بأسماء الورود الجميلة الرائعة مثل: نرجس وياسمين وجلنار. وأن جوهم الجبلي الصحي جعل منهم أقوياء أشداء خشنًا، ومع مظهر الخشونة هذا فهم عاطفيون متفائلون ظرفاء. والتفاؤل هو مفتاح الفلاح والفوز، أما التشاؤم فهو باب إلى الخذلان والاندثار. فلذلك يعطون أوقات الفراغ



أهمية كبيرة ويقدرونها حق قدرها فتكون عندهم استجماماً لمواصلة السعي الحثيث إلى الأهداف العليا، وهم على الرغم من صعوبة ظروفهم يعبرون عن فرحهم وتفاؤلهم بالرقص والغناء. والرقص عندهم فطري عفوي لا علاقة له بالرقص الغربي، وهو أنواع لها مسميات عدة تشير إلى أماكن الرقصات، أو نوع الحركة التي يقوم بها الراقصون. وتشترك فيه النساء مع الرجال، خصوصًا في الريف فتكون حركات الرقص لوحة أخرى من لوحات الطبيعة الخلابة في كردستان الجمال، فهي بموسيقاها ونسقها الواحد تشبه تموج سنابل القمح عندما تمر بها النسمات العذاب. والموسيقا الكردية هي جزء من الموسيقا الشرقية، ولكنها تختلف عن العربية والأرمينية والتركية، وكان لها تأثير في موسيقا وغناء الأقوام المجاورة، وتمتاز بشعبيتها وأصالتها وسحرها لكنها حزينة وآلاتها بسيطة لا تتعدى الطبل والمزمار.

كان الكثير من الأكراد رعاة غنم، وقد شرف رسول الله ﷺ هذه المهنة بقوله: «ما بعث الله من نبي إلا رعى الغنم»، فهي تتيح لأهلها طول التأمل في جو فسيح لا تحده حدود ولا تحبسه سُقف ولا تكدره ضوضاء بصحبة تلك الحيوانات الأليفة الوديعة التي لا تأخذ إلا القليل وتعطي الخير الوفير. وتظهر آثار هذه المهنة في أدب الأكراد، خصوصًا في أمثالهم التي تزين كلامهم وتعبر عن وجهات نظرهم. كما تظهر آثارها في تعلق الأكراد في الأساطير ذات الطابع الرعوي فيتذوقون أناشيد الرعاة ذات الأنغام الساحرة، والأمثال أقرب أنواع الأدب إلى النفس الإنسانية لأنها منتزعة من واقع الحياة، وهي من جوامع الكلم ذات المعاني الغزيرة والألفاظ القليلة. وهي كما يقول البلاغيون استعارات تمثيلية تقال في حوادث معينة ثم تمر وقائع مشابهة لها فتذكر الإنسان بتلك الحوادث التي ضربت مثلاً، والأمثال الكردية غزيرة معبرة عن حياتهم وبيئتهم، وبعضها مستوحى من حياتهم الرعوية كقولهم:

يسقط حق الكبش الضعيف أمام الكبش ذي القرون.

العنزة الجرباء تشرب من رأس النبع.

مئة خروف تستظل بشجرة واحدة.

الخروف الخارج عن القطيع يكون لقمة سائغة للذئب.

وبعضها يدل على مكانة المرأة ومنزلتها وتعلقها بالرجل كقولهم:

وراء كل شعر أشقر شارب أحمر.

الفتيات الشابات معابد.

الله خلق المرأة والمرأة تخلق المنزل.

وبعضها الآخر يدل على حب الأطفال ووجوب الاهتمام بهم كقولهم:

الأطفال فاكهة المنزل.

المنزل الغني بالمال يمكن هدمه، أما الغني بالأطفال فلا يهدم.

المنزل الذي فيه طفل لا يدخله الشيطان.

وبعضها يشير إلى إحساس دقيق واندماج بالمناظر الطبيعية والنشاطات اليومية ومواقف الحيوانات التي يعيشون معها فتوحي لهم بتشبيهات ذات نكهة جميلة لطيفة و حِكم واقعية، من ذلك قولهم:

لا جبال عالية بلا ثلج، ولا وديان عميقة بلا ماء.

أثقل الصخور لا تضغط إلا على مكانها.

بعدما تشرب الدجاجة الظامئة تنظر إلى بارئها.

القدر المكسور بيد ربة الدار لا يحدث صوتًا.

من يعرف الحياة جيدًا لا يهاب الموت.

الله هو الذي يبني عش العصفور الأعمى، ويسهر على إطعام الضيوف.

من له عين صفراء فهو حسود (على عكس الشرقيين الذين يعتقدون أن العين الزرقاء هي الحاسدة).

ومما يدل على اهتمام المجتمع الكردي بالمرأة، واهتمام الرجل باختيار زوجته قولهم:

لا تنظر إلى المرأة بل انظر إلى أقربائها.

اختر الخال ثم اصحب المرأة إلى المنزل.

وفي الوسط الريفي يتقابل الشباب عند منابع المياه، وخلال أعمال الحقل تنشط حلقات الرقص المحتشم وتغني الفتيات أغاني الحب الكثيرة معبرات عن مشاعرهن بكثير من الرموز والاستعارات ذات الطابع المحلي؛ اعتزازًا بجاذبيتهن ودلالهن مع استعداد كامل للتضحية، وبذل كل غال في سبيل رضا الحبيب وتعبير واضح عن الوفاء له وتقديم كل

ما يسعده. فهذه إحدى الشواعر الكرديات تعبر عن وفائها واستعدادها للتضحية بكل غال لتجهيز جواد ابن عمها فتقول:

أقراطي سأسبك منها النعال
أساوري سأصوغ منها المسامير
ضفائري سأحوك منها الأحزمة
خصلات شعري سأجعلها أعنة لجوادك

والمرأة الكردية أكثر تحررًا من زميلاتها في المجتمعات الإسلامية فهي تترك وجهها بلا نقاب على الرغم من تغطية رأسها، وهي في بيتها ملكة مصونة تدبر شؤونه كيفما تشاء. وهدهدات الأمهات لأطفالهن تبعث في الدار الحنان والعطف والمحبة حتى لتجعل الأب القاسي حانيًا رقيقًا حينما يسمع هدهدة زوجته الشابة لرضيعها، هذه الهدهدات من نظم وتلحين الجدات، وفيها دلالة واضحة على الترابط والحنو الأسري، وهذا نموذج من هذه الهدهدات:

لوري لوري أيها الطفل الطيب
ذو العيون السود و الحواجب الهلالية
حين أنظر إليك يمتلئ قلبي حبًا
نم برقة وسكون يا طفلي الطيب
ترعرع بسرعة لتكون سندًا لأبيك
كن شجاعًا لتصون بيتك الجديد
نامت الظبية مع الخشف الوليد
نامت كل الجبال و الوديان
نم أنت هانئًا لوري رعاك الرحمن

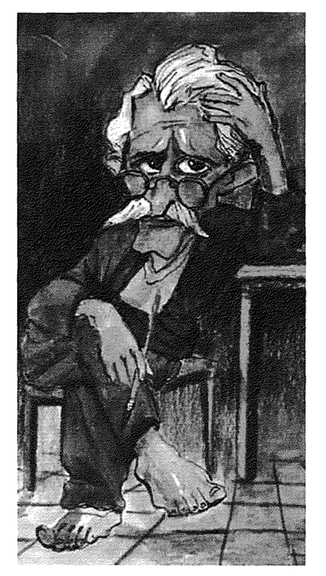
من مظاهر اهتمام الأكراد بالمرأة واعتزازهم بوظيفتها الرئيسة في تربية الأطفال أنهم يجعلون على قبرها تربيعة مرمرية عليها صورة مهد.

أما الأغاني الكردية فلا حصر لها وهي كثيرة متعددة، فأغاني الليل غير أغاني النهار، بل أغاني الصباح غير أغاني بقية النهار. وأغاني الأطفال تختلف عن أغاني الشباب، وهي بدورها غير أغاني الشيوخ والنساء، وثمة أغاني تغنى في الجبل وأخرى في السهل والوديان. ومنها أغاني الحب وأناشيد الحرب وأغاني الرقصات العديدة والمواويل الكثيرة كتلك التي تدندن بها الفتيات العاملات في الغزل والحصاد. ومن هذه الأغاني أغنية الخريف التي تستوحي مناظره بتأملات قاتمة كئيبة:

الضباب قد حجب الجبال وأترعت الوديان بالمياه الصاخبة
وقد غطى الثلج أعالي القمم واقترب الشتاء
وانتقلت الخيام من مراعي الصيف إلى السهول والوديان
وانتهى طيش الأيام الجميلة واندثرت آثار العشاق
ولم يبق إلا ذكريات الوداع والأسف على الشوق الذي لم يجد الكلمات

أما الحكايات فهي كثيرة ورائعة في الأدب الكردي تصف طرائف الطبيعة ومعالمها الغريبة مع نوادر قصيرة ودعابات مرحة وقصص الحيوانات التي تظهر طبائعها وعاداتها وصفاتها المختلفة بأسلوب أدبي رمزي خالد. والملاحم والأساطير في هذا الأدب كان يسردها مغنون متجولون محترفون يبدأ أحدهم بسرد الرواية النثرية أو الشعرية حتى يصل إلى الحوار الشعري فيغنيه بألحان عذبة، وقد أخذ عدد هؤلاء المغنين يتناقص بمرور الأيام حتى كادوا يندثرون. ومن هذه الملاحم ملاحم الحرب والفروسية، وتكون طويلة، وتكاد كل عشيرة تحتفظ بواحدة منها، وهي تعتبر كنوزًا تمد الدارسين بعادات وتقاليد وطقوس الأقدمين والأدوات القديمة التي كانوا يستعملونها، كما فيها مشاهد حية للمعارك، وكل ما يطلعنا على طبيعة وملامح المجتمع الكردي في الأيام الخالية.

ومن مظاهر الأدب الكردي الأدب الصوفي الذي شاع وانتشر بانتشار الطرق الصوفية في منطقة كردستان الجبلية التي تساعد على التبتل والتنسك والانقطاع والزهد، فقد نزل الوحي على رسولنا الكريم ﷺ في غار حراء الجبلي المرتفع الذي يصعب الصعود إليه، ثم إن للصفاء والطيبة التي يتصف بهما معظم الأكراد أثرًا في هذا الانتشار، ألم تر الشاعر يقول:



تنازع الناس في الصوفي واختلفوا

قدمًا فظنوه مشتقًا من الصوف

ولست أنحل هذا الاسم غير فتىً

صافٍ فصوفي حتى لقب الصوفي

وأهم الطرق الصوفية المنتشرة في كردستان الطريقة القادرية، وأتباعها كثيرون وذوو نفوذ وشهرة، والطريقة النقشبندية ومؤسسها بهاء الدين وقد انتشرت بجهود مولانا خالد الشاعر الشهرزوري الذي له ديوان مطبوع باللغتين الفارسية والكردية. واشتهر المتصوفة الأكراد بقصائدهم التي تتغنى بمولد الرسول الأعظم ﷺ وتسمى الواحدة منها (مولودًا) وقد ظل معظم هذه المواليد مخطوطًا.

إن غزارة هذا الأدب الكردي المتداول على ألسنة الرواة والأدباء والقصاصين ينبغي ألا يثنينا عن دراسة الأدب الكردي المدون، وأول ما يطالعنا منه محاولات المستشرقين الذين حاولوا دراسته والتعريف به، وما عدا ذلك فإن أكمل بحث صدر في هذا الأدب هو كتاب (تاريخ الأدب الكردي) لعلاء الدين سجادي الصادر في بغداد عام ١٩٥٣م باللغة الكردية، وهو كتاب ضخم في ثلاث مئة وأربع وستين صفحة، يعرض فيه المؤلف بعد المقدمة عن كردستان والأكراد مراحل وأشكال هذا الأدب ويعطي ملاحظات ومعلومات مهمة عن أربعة وعشرين شاعرًا، يبدؤها بمدح مسجوع للشاعر الذي يريد دراسته، ثم يكتب لمحة عن حياته، مناقشًا التواريخ والأزمنة والأمكنة، ثم يختار له نبذًا من شعره ويجتهد أن تكون غير مطبوعة ثم يشرحها، خصوصًا إذا كانت بلهجة غريبة. ظهر في الأدب الكردي إبان الحرب العالمية الثانية تياران أولهما: التيار الصوفي القديم الذي أكمل ما بدأه الشعراء الأكراد الشيوخ في هذا الميدان، وعلى رأسهم مولانا خالد، ناشر الطريقة النقشبندية الصوفية. أما التيار الثاني: فهو الشعر الغنائي الوطني وقد مثله كثير من الشعراء منهم محمد أغا الجاف والمفتي الزهاوي المتوفى سنة ١٨٩٠م. وبعد الحرب وسقوط الخلافة العثمانية وحاضرتها إسطنبول التي كانت مركزًا للمثقفين الأكراد يطبعون فيها كتبهم وينشرون أدبهم في أرجاء الخلافة، ظهرت مراكز أدبية أخرى خلفت مركز الخلافة منها بغداد والسليمانية، إذ انطلق منها الأدب الكردي الجديد، وصدرت فيها الجرائد والمجلات والكتب والدواوين.

وتحسن النثر متأثرًا بالآداب الأجنبية، وانتعشت وتجددت مفردات اللغة الكردية وظهرت تراجم كثيرة باللغة الكردية عن نصوص روسية وإنكليزية وعربية، كما نقلت مؤلفات كردية إلى اللغة العربية، ومن أبرز رواد النثر الكردي آنذاك هم: حسين حزني وأمين زكي ورفيق حلمي. وقد مال الشعراء الأكراد في أواسط القرن العشرين إلى التجديد في أوزان الشعر وقوافيه، كما فعل الشعراء العرب

والعراقيون منهم، خصوصًا في ذلك الوقت، وعلى رأسهم بدر شاكر السياب ونازك الملائكة.

وقد تنوعت اتجاهات الأدب الكردي في هذا العصر؛ فظهر الأدب الرمزي والوطني وشعر الغزل والغنائي الهائم بحب الطبيعة والمتغني بجمال كردستان، وشعر ثوري يحرض الشباب على الكفاح من أجل الوطن والعدالة يمثله الشاعر فائق عبدالله (١٩٠٥م - ١٩٤٨م) الذي يلقب بالمنبوذ، والذي يشبهه بعض النقاد بالشاعر الفرنسي (رامبو). كما ظهر شعر ذو طابع اجتماعي معبر عن مشاعر الأكراد الثائرين على التخلف والانحراف والمظاهر الاجتماعية التي تقف في طريق التحرر والتقدم كالجهل والفقر والمرض والإقطاع، وقد عرف أدباء هذا العصر بالأسماء المستعارة والألقاب الأدبية الاجتماعية الدالة، فالشاعر العراقي الكردي (عبدالله سليمان) لقب بـ(كوران) (١٩٠٤م -١٩٦٢م) ويعتبر رائد الشعر الكردي الحر، ومن أنصار حرية الفكر، وقد أشاد بالإصلاحات الاجتماعية التي ترسم معالم تحرر الشعب الكردي، وقد نظم قصيدته (١٤ تموز) في السجن على صيحات المظاهرات والهتافات المدوية في هذا اليوم التاريخي الذي فتح للأكراد عصرًا جديدًا.

ومن الشعر الكردي الغنائي الاجتماعي المعاصر هذه القصيدة بعنوان (نقش على رجمة) ترجمة صلاح الدين المدرس:

ازرع أيها المتجول في المقبرة
آهة على تراب ضريحي
واسكب على رجمتي المرمرية
دمعة طرية من أحداقك
وقد كنت في عالمك النير
روحًا في الجسد الجميل
أجول كفراشة بين الأزهار
كان حضن الأم مهد دلالي
وكنت روح الأب
وأصبح سواد عيني أغنية على الأفواه
صادفت فتى عديم الشهامة في طريقي
وبالإيمان وبالوعود تلفف كالثعبان الأسود في سريري
وأفرغ سمه وأهدر كرامتي
وعاد متواريًا في جحره ولم يأبه بوجهي ووجه أبي وأمي الصفر
بل بصق بها هو وأبوه
وكان يملك القوة والنفوذ
وكان قويًا متنفذًا بعيدًا عن العقاب
ولكن وا آسفا فقد جاء أجلي
ذبحًا بيد أبي
وتضرج بالدم شعري وانسدل على عيني
فلم أعد أرى أثر ذلك في وجه أبي
ولم أدرِ هل جرؤت أمي الحنون
على أن تقيم دون خجل مناحة حرًى
على موتي المبكر وتلبس من أجلي السواد؟

الروح القومية الكردية

ملحمة مم و زين

عبد الرزاق بيمار* . العراق

* باحث كردي عراقي .

(مم وزين) قصة شعرية يطلق عليها بعض الأدباء والباحثين ملحمة مم وزين[1]، كتبها باللغة الكردية في القرن السابع عشر الشاعر أحمد الخاني، وتقع القصة في ٢٦٥٩ بيتًا ثنائي القافية.

ويسمّى هذا الشكل في الآداب الشرقية بالمثنوي، ووزنه العروضي هو:

مفعول مفاعلن فعولن

- - ب / ب - ب - / ب - -

واستعمل هذا الوزن كثيرًا في مثنويات العشق، ومن جملة ذلك منظومة ليلى والمجنون للشاعر النظامي. تتألف القصة من مقدمة أو ما يسمّى بالديباجة، ثم فصول قصة حب تتسم بشاعرية فياضة ومواقف رائعة في التضحية والشهامة تنتهي نهاية مأساوية مؤثرة. أما الديباجة فيبدؤها (خاني) باسم الله والحديث عن جلاله، ويتطرق إلى فلسفة الوجود والصفات الإلهية وقضية التوحيد والخلق والحدث والعدم، ثم يستخلص رأي المتصوفة الكبار ويذكر مصطلحاتهم ويبدو كعارف متصوف يتوق إلى معرفة ذات الباري. ويخصص الجزء الثاني من الديباجة لنعت النبي محمد ﷺ ويعدد منزلته في الدنيا وفي الآخرة، ويستهيم بحبه ويرجو في نهاية ابتهالاته شفاعته يوم الآخرة. وفي القسم الثالث يظهر الشاعر شعوره القومي ووطنيته فيصف حال أمته الواقعة بين إمبراطوريتين تمنعان عنها العيش بحرية وسلام.

ولقصة (مم وزين) أساس تاريخي وقعت أحداثها في إمارة (بوتان) بمنطقة حكاري في كردستان (تركيا الحالية)، وقد جرت القصة على ألسن العامة ونظمها شعراء شعبيون في قوالب فولكلورية خالطين الواقع بالخيال والتاريخ بالأسطورة، يتغنى بها مطربون ذوو خبرة في الغناء والرواية جيلاً بعد جيل في المضائف وفي المحلات العامة. والقصة الفولكلورية تعرف بـ(مم الآلاني) وقد ذاعت في أرجاء المناطق الكردية، وجذبت إليها أنظار الأدباء المحليين والأجانب، وترجمت إلى لغات عدة واهتم بها مستشرقون، فقد طبعها ونشرها ألبرت سونسين سنة ١٨٨٧م في بطرسبورغ ونشرها سنة ١٨٩٠م باللغة الألمانية، ونشرها لي كوك في ألمانيا سنة ١٩٠٣م، ونشرت في أربع طبعات متتالية من سنة ١٨٩٧م إلى سنة ١٩٠٤م باللغة الأرمينية، ونشرها أوسكارمان في كتابه (التحفة المظفرية) سنة ١٩٠٦م، كما ترجمت إلى اللغات الروسية والفرنسية والرومانية، ولم يتخلف الأدباء العرب عن اتحاف القراء بنبذة من هذه القصة الشعبية، فنذكر في هذا المجال عبدالمسيح وزير (في مجلة الرسالة والرواية ـ ٤٤٨ لسنة ١٩٤٢م ـ القاهرة) وصاغ الشاعر السوري أحمد سليمان الأحمد ملخصًا للقصة باللغة العربية[2].

ويتحدث عن القصة الشعبية المستشرق (مينورسكي) ويقدم تعريفًا بها حيث يقول: «ولهم أيضًا الملحمة القومية الخاصة بهم (مم وزين) وهي في شعر ونثر مسجوع تغني به في جميع أنحاء كردستان. كان مم وزين محبين، لكن مم لم يكن في مستوى حبيبته من حيث النسب والوضع الاجتماعي. علم أمير بوتان وهو أخ زين بهذا الحب فغضب على مم وسجنه، ولكنه خشية من التمرد الشعبي أطلق سراحه ووافق على زواجها. كان الأمر منتهيًا حيث مات مم في حبه، وعلى أثره ماتت زين أيضًا فدفنوها بجانبه. نبتت ورود كثيرة بين القبرين كرمز لذلك الحب الذي هو أقوى من الموت»[3].

أما الشاعر أحمد الخاني فقد وظف أحداث القصة في منظومة أثيرة بأسلوب أدبي كلاسيكي رفيع مضمنًا إياها ثلاثة محاور فكرية هي:

* التصوف.
* الفلسفة.
* الوطنية.

وجعل منها نموذجًا مشرقًا للأدب الكردي في القرن السابع عشر جذبت أنظار أبناء الشعب، ونظروا إليها كوثيقة قومية لداعية من دعاة الحرية. واهتم بها المستشرقون وسرعان ما تلقفتها أيديهم بالبحث والترجمة والتلخيص وأشادوا بها. ومنهم: جابا - لرخ - أوربيللي - نيكتين - ليسكو. رودينكو.(٤). ويصف علي سيدو الكوراني من الأردن القصة بقوله: «أحمد خاني هو العلامة الشاعر العاشق المغلق من عشيرة خانيان وصاحب (مم وزين) الشهير وهو شعر قصصي لا مثيل له في بابه إلاّ إلياذة هوميروس»(٥).

ويقول باسيل نيكتين في كتابه (الكرد) الصادر باللغة الفرنسية إنه «شاعر يحق أن يسمى (فردوسي) الكرد، ونقصد به أحمد خاني الذي أتينا على ذكر اسمه عند الحديث عن ظهور الشعور القومي الكردي، والحق أن هذا الشعور ينعكس في شعر هذا الشاعر بأجمل صورة وأبلغها». ويقول: «وتقف آثاره في هذا المجال وفي حالات عديدة جنبًا إلى جنب مع بعض غزليات مولانا جلال الدين الرومي (المؤسس والمرشد العرفاني لطريقة المولوية الصوفية في قونية) واتخذ منه القدوة والنموذج لآثاره»(٦).

من هو أحمد الخاني؟

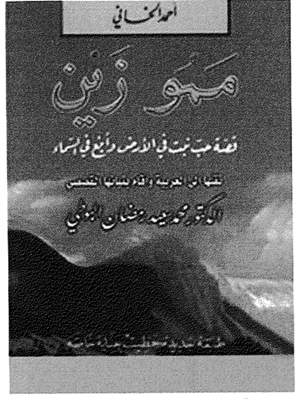
اسمه أحمد بن إلياس بن رستم من عشيرة خانيان، ولد في مدينة (بايزيد) في كردستان تركيا الحالية سنة (١٠٦١هـ - ١٦٥٠م) ودرس في مدرسة جامع المرادية فيها وانتقل للتحصيل العلمي إلى مدارس مدن أخلاط، أورفه، بتليس، وزار كلاً من مصر وبغداد ووافى فريضة الحج في مكة المكرمة.

اشتهر كعالم فقيه وشاعر بليغ، بقيت من آثاره الأدبية عدا قصة (مم وزين) رسالة في عقيدة الإيمان وقاموس منظوم لشرح الكلمات العربية بما يقابلها من كردية باسم (نوبار = الباكورة) كتبه لتلاميذ المدارس الدينية. وكما يقول الدكتور عز الدين مصطفى رسول: «لقد كانت هذه الآثار متداولة بنسخها المتعددة في جميع أرجاء كردستان وفي شمالها على الأخص. فلا يكاد مسجد أو مدرسة دينية يخلو من نسخة مخطوطة أو أكثر لها جميعًا، وقد طبعت الآثار الثلاثة مرات عديدة وبطبعات مختلفة، كما نشرت قصائد لخاني نقلها المستشرق جابا مخطوطة مع ما نقله من مخطوطات إلى سان بترسبورغ. ووجدت له رباعيات أو قصيدة مكونة من رباعيات كتبت باللغات الشرقية الأربع»(٧).

توفي في مدينة بايزيد سنة (١١١٩هـ = ١٧٠٧م) وما زال قبره في شرقي المدينة مزارًا لعارفي فضله وعلمه.

تعريف بموطن خاني

يقال لموطن الشاعر (كردستان) واللفظة تعني البلاد التي يسكنها الأكراد، وكردستان رقعة أرض واسعة موحدة متراصة تتخللها جبال شاهقة ووديان



النسخة العربية للقصة التي ترجمها للعربية الدكتور: محمد سعيد رمضان البوطي

عميقة وسهول خصبة، سماها اليونانيون (كوردونس) وسماها السريان باسم (كاردو).. «أما الكتاب العرب القدماء فلم يستخدموا الأسماء اليونانية في الحديث عن بلاد الكرد بل كانوا يسمونها (إقليم الجبال) وكان هذا الإقليم يشتمل على المنطقة الواقعة شمال غربي إيران حتى أورمية ممتدًا من سهل العراق حتى الصحراء الإيرانية الكبرى ومشتملاً على منطقة الجبال جنوب شرقي أذربيجان. وكان إقليم الجبال ينطبق في الواقع على المنطقة التي أطلق عليها الكتاب اليونانيون اسم (ميديا)، وقد سمى المؤرخون العرب فيما بعد المنطقة نفسها باسم العراق العجمي ليميزوه عن العراق العربي وهو منطقة السهول..»[٨]. ولم يجر لحد الآن تحديد حدود كردستان نظرًا للظروف السياسية التي مرت بها، وينكر البعض هذا الاسم بشتى السبل والأشكال. «أما كلمة كردستان كاصطلاح جغرافي فيبدو أنها ظهرت لأول مرة في القرن الثاني عشر الميلادي في عهد السلطان سنجر السلجوقي، وقد استعمل المؤرخون المسلمون فيما بعد هذا المصطلح الجغرافي، وكان أول ظهوره في كتاب (نزهت القلوب) لمؤلفه حمد الله القزويني الذي كتب عام ٧٤٠»[٩]. أما الآن فيسكن الأكراد في البقعة الجغرافية الواقعة في كل من تركيا وإيران والعراق وسوريا. أما كردستان تركيا التي تقع فيها مدينة الشاعر فتشمل القسم الشرقي والجنوب الشرقي من تركيا وفيها المدن: (بدليس، ديار بكر، أخلاط، بايزيد، أرضروم، أرزنجان، سيواس، وان، ماردين) ويقدر نفوس الأكراد بين ١٥ مليونًا و٢٠ مليونًا في هذه المنطقة فقط.. (أي في تركيا الحالية).

شيء من تاريخ عصر خاني

عاش أحمد الخاني في القرن السابع عشر الذي يمكن اعتباره عصر النهوض في الحياة القومية نظرًا لما حدثت فيه وفي القرن السادس عشر الذي قبله من تطورات سياسية خطيرة هزت الروح القومية، وأثرت في الواقع الثقافي. وكإشارة إلى ذلك نذكر أن أول تاريخ شامل للكرد كتب في هذه الفترة باسم (الشرفنامة)[١٠]. والذي هو سجل لمآثر تاريخ الكرد وحكوماتهم وإماراتهم، وفيه تشجيع وإثارة للروح الوطنية بين الناس. وظهر كذلك شعراء تركوا دواوين شعرية غاية في الأهمية منهم الشيخ أحمد الجزيري، وعلي الحريري، وفقي طيران. أما من الناحية السياسية فلم يكن للأكراد في عصر الخاني دولة موحدة بل إمارات متفرقة لكنها مستقلة، وحين نشأت الدولة العثمانية وقوي ساعداها توجهت لتوسيع نفوذها شرقًا وغربًا.. لم يقف في وجهها مانع سوى دولة فتية في إيران استطاعت أن تعبئ الجيوش باسم المذهب الشيعي، وتنافسها في الاستيلاء على ممالك الشرق ألا وهي الدولة الصفوية، واشتد الصراع بينهما متخذًا طابعًا دينيًا متطرفًا، خاضتا حروبًا دامية ذهب من أجلها ألوف الألوف من المسلمين. ووقعت كردستان بين حجري رحى الدولتين لا يمكنها العيش بسلام وأمان بينهما. ونظرًا لاتفاق الأكراد مع العثمانيين في المذهب وتلقيهم العنت والاضطهاد من الصفويين لعدم موالاتهم لمذهبهم، فقد استطاع العثمانيون سلوك دبلوماسية لين وود معهم. وتوسط عالم ديني كبير من الأكراد يدعى الملا إدريس البدليسي في الأمر ودعا الأمراء إلى الانضواء تحت راية الخليفة العثماني الذي اعترف باستقلال الإمارات الكردية الداخلي بموجب الفرمان السلطاني الصادر في أواخر شهر أيلول عام ٩٢١هـ والموافق شهر نوفمبر سنة ١٥١٥م. وهكذا تم إخضاع إمارات كردستان السنية رسميًا إلى السلطان العثماني»[١١].

وبفضل جنوح قوات الإمارات الكردية للعثمانيين فقد انتصروا في معركة (جالديران) الحاسمة على الصفويين سنة

تتألف القصة من مقدمة أو ما يسمى بالديباجة، ثم فصول قصة حب تتسم بشاعرية فياضة ومواقف رائعة في التضحية والشهامة تنتهي نهاية مأساوية مؤثرة

٩٢٠هـ، لكن الصراع بينهما لم ينته نهائيًا ولم تدم سياسة ود العثمانيين تجاه الإمارات الكردية أيضًا. «وكان القرن السابع عشر الذي ينتسب إليه خاني قرنًا حافلاً بالصراع العنيف بين الإمارات الكردية والإمبراطوريتين الفارسية والعثمانية اللتين كانتا ترومان احتلال كردستان والاستفادة منها كبلاد محتلة وكجسر نحو الإمبراطولاية المعاكسة من جهة أخرى، أو كسد سديد أمام الهجوم المعاكس كما يوضح خاني نفسه بحق»(١٢).

ويتساءل المرء لماذا لم تستطع كردستان أن تحرر نفسها من تبعية الدولة العثمانية وتشكل لنفسها كيانًا خاصًا؟ وجوابًا عن هذا السؤال نقول إن الموقع الجغرافي لكردستان شكل الأس الأساس لبقاء المسألة دون حل وذلك:

أولاً: قربها من مركز الدولة العثمانية جعل من السهل على العثمانيين تجهيز الحملات على الإمارات الكردية المتمردة.

ثانيًا: كونها المعبر أو الطريق التي تمر عبرها جيوش الدول العثمانية نحو البلدان الإسلامية في الشرق وحتى البلدان العربية في القارة الإفريقية كمصر وليبيا والمغرب.. يتحتم على كردستان أن لا تمانع أو تعرقل الحملات العسكرية، وقوافل التموين العثمانية تستطيع سلوك طريق البحر للوصول إلى ممالكها في البحر المتوسط.

ثالثًا: وحسب تفسير أحد المستشرقين فإن: «التشتت العشيري وسيادة الفكرة الإسلامية المنافسة للقومية لعبا دورًا فعالاً في الحيلولة دون تكوين دولة كردية»(١٣).

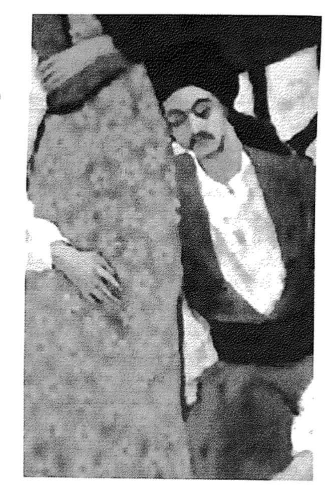
أما في الجانب الصفوي الإيراني فقد أصبح الشعب الكردي أقرب الأهداف لسهام مطامع الصفويين والمَعْبر نحو الإمبراطورية العثمانية (أولاً)، ومما زاد في حقدهم وغضبهم عليه كونه يتبع مذهب السنة والجماعة، ولم يذعن لمحاولاتهم الدامية لتغيير مذهبه، كما غيرت جموع غفيرة من الشعوب الإيرانية مذهبهم (ثانيًا). ولكون الإمارات الكردية قد اصطفت في صف الدولة العثمانية في معركة جالديران المشهورة ومعارك الصراع المستمر بعدها.

الأدب يصور الصراع

وجاء الشاعر أحمد الخاني ليصور هذا الصراع في إطار أدبي ضمن ديباجة مم وزين، ورأيت من الأوجب أن نسمع منه شخصيًا ونطلع على دقائق الأمور في قالب شعري، وأقدم ترجمة لهذه القطعة الشعرية... ينشد الشاعر:

أيها الساقي ! بالله عليك صب جرعة في كأس جمشيد(١٤)
حتى تُظهر الكأس لنا العالم وتكشف لنا ما نريده
لنطلع على حالنا ونرى هل تكون أيامنا المقبلة ميسرة؟
فقد بلغ أدبارنا غاية الكمال، وهل آن الأوان لتزول تعاستنا؟
أم نبقى على حالنا إلى النهاية؟!
أمن الممكن أن يطلع في هذا الفلك الدوّار كوكبنا؟
ويصادقنا الحظ ويستيقظ مرة من نومه
حتى يظهر لنا مسندٌ وملك يقدّر فننا
ويقدر نتاج أقلامنا.. ويعالج أدواءنا ويروج علمنا
لو كان لنا ثمة مرشد كريم بليغ
لأصبح نقدنا مسكوكًا رائجًا،
ومع أن نقدنا خالص سليم، لكنه بدون قيمة إذا لم يسكه ملك
ولو كان لنا ملك وضع الله على رأسه التاج
ويؤسس له عرش لنهض حظنا واستقام،
ولكان صاحب التاج يعنى بنا
نحن اليتامى، ولحررنا من براثن اللئام
لم يكن يغلب علينا هذا (الروم)(١٥)

ولقصة (مم وزين) أساس تاريخي وقعت أحداثها في إمارة (بوتان) بمنطقة حكاري في كردستان (تركيا الحالية)، وقد جرت القصة على ألسن العامة ونظمها شعراء شعبيون في قوالب فولكلورية خالطين الواقع بالخيال والتاريخ بالأسطورة



وما أصبحت ديارنا مرتعًا لنعيب البوم
ولم نكن محكومين وصعاليك مغلوبين
مطيعين لأوامر الأتراك والطاجيك[١٦]
لكن هكذا كانت إرادة الله من الأزل
سلط علينا الروم والعجم.
ومع أن الإذعان لهم عار
لكن العار يسم جباه المشاهير من الحكام والأمراء
وما ذنب الشعراء والفقراء؟!
وكل من مد يده إلى السيف الهمة والإقدام حصل على الحكم
لأن الدنيا عروس يتحكم فيها من بيده السيف المسلول.
فالسيف مهرها وصداقها وما يُهيأ لها من كرم وعطاء.
فلقد سألت الدنيا ما مهرك؟ قالت: الإقدام وشحذ الهمم
أي أن الدنيا تخضع للإنسان بالسيف والحكمة.
إنني حائر.... لماذا الكرد من بين مماليك الأرض محرومين محكومين؟
فهم الذين استولوا بالسيف على مدن الشهرة
وسخروا بلدان الهمم
وكل رجل فيهم في الكرم حاتم وفي الحرب(رستم)
فانظر كيف أن الأكراد أصبحوا قلاعًا
من حدود العرب حتى حدود الكرج،
الأتراك والفرس يحتميان بهذه القلاع
ويبقى الأكراد خارجها في العراء
فهما يجعلان من الكرد هدفًا لسهام القدر
ومفاتيح الحدود والسد السديد
كلما تتلاطم أمواج الروم وبحر الطاجيك
يتلطخ الكرد بالدماء ويصبحون البرزخ لهما!
الشهامة والإقدام والسخاء والرجولة والشجاعة والجَلَد
حكر على قبائل الكرد، منحوها بالسيف والعدل
ومع بسالتهم كغيارى ينفرون من حمل المنة
وهذا الحرص وعلو الهمم منعاهم من حمل المنن
ولهذا فهم لا يتفقون، وفي خلاف مع بعضهم البعض
فلو كنا على اتفاق وننقاد جميعًا لقائد
لخدَمَنا الروم والعرب والعجم
ولأكملنا الدين والدولة
ولحصلنا على العلوم والحكمة[١٧].

شخصيات القصة ومضمونها

أراد الشاعر أن يجعل من قصته (مم وزين) مرآة لأفكاره وخلاصة لآرائه تجاه فلسفة الوجود والحياة، وحبًا ساميًا يجعله مظهرًا للتجليات الإلهية، وهذا المسلك نراه جليًا بين فصولِ القصة وفي رسم شخصياتها، فشخصية (مم) إيجابية واقعية، وهو شاب مخلص لحبه، وقوي أمام أعدائه لا يتزحزح عن آماله، ومستعد للتفاني والتضحية في سبيل حبه النقي الطاهر، فاستغل القاص هذا النقاء والطهر في حب مم وزين ليرتفع به فوق الحب البشري. وليصل به إلى الحب المثالي الصوفي. فحول خاني شخصية مم إلى شخصية معنوية بعد دخوله السجن، فيقول إن وحدته في السجن أصبحت (خلوة المتعبدين) وصومعة النساك. والصوفي الذي يدخل (الخلوة) ويزاول الرياضات النفسية خلالها يصل إلى مرتبة

(الشيخ)، فوجوده في السجن كان وجودًا جسديًا. أما روحه فمنطلقة في السماوات العليا. لذا فهو يرى عذابه وآلامه سعادة، وحتى حين سمع نبأ صدور العفو عنه وموافقة الأمير على لقائه بزين، يقول: (إنني لا أذهب إلى ديوان أي أمير ولا أكون عبدًا لكل عبد، فمن يكون الأمير أو الوزير؟ وتتغير نظرته إلى الزواج الدنيوي وهذا باعتقاده بأن جنة العشاق هي لقاء الله.

وكذلك (زين) فقد تدرجت في حبها من حبٍ واقعي سوي حتى بلغت قمة حب أفلاطوني، ورأت هي الأخرى من العوائق والعذاب والمنغصات طريقًا إلى حب حقيقي أسمى من الحب العادي، وأخيرًا تيقنت بأن كل ما جرى لهما كان قدرًا مكتوبًا لا مناص منه، ونجد ذلك في موقفها من قتل المنافق (بكر) الذي حطم آمال الحبيبين، فقد استغفرت له وطلبت دفن جثته قرب مرقد مم باعتباره كان حائلاً دون زوال عشقها ومم وباعثًا لاضطرام ناره، بل باعتباره سببًا لحقيقتها. فنرى أنه استشهد في سبيلهما، وتبلغ بفعلها هذا قمة الحب، فلا حب من دون عذاب وتضحية.

ومثل آخر على سمو حب مم وزين وتساميه على الحب الدنيوي موت زين التراجيدي وهي تحتضن شاهدة قبر مم أمام الجمع الغفير من المشيعين، وقبول شقيقها (الأمير) وكل الحاضرين فتح مرقد مم ودفنها معه بدون حاجز.. ليسمع الحضور لفظة (مرحبا) تنبعث من قبر مم لثلاث مرات.

أما شخصية (بكر) الذي فرّق بين الحبيبين فهي شخصية واقعية أيضًا، تعمل ضمن إطار أساليب السياسة وإدارة الحكم، فهو يرى أن أفعاله اللئيمة تبررها مصلحة الدولة والأمير.. وعليه أن يستخدم دهاءه في سبيل تقوية مركز الأمير وازدياد هيبة السلطة. أما الأمير الحاكم المطلق المحافظ على تقاليد السيادة والحق الإلهي في الحكم، فمع ظهوره بمواقف تنم عن السذاجة فإنه ينظر هو الآخر إلى مصلحته ومصلحة إمارته قبل كل شيء. ورغم النهاية المأساوية للقصة إذ يكون ختامها موت الحبيبين فإن الشاعر يبتعد عن مبدأ (الانتقام الشعري) في تراجيديات الحب المشهورة في العالم، ومع أن الأحداث الواقعية تبين انتقام صديق (مم) من بكر جزاءً على نفاقه وتسببه في موت (مم)، والقارئ الذي كان ينتظر هذا الانتقام الشعري وهذه النهاية المعقولة يدهشه تبرئة القاص لذمة (بكر) الذي يقر بأنه رآه في الجنة وذلك بالاعتماد على تفسيراته الدينية والفلسفية التي نوهنا عنها أيضًا.

وهكذا يريد القاص تصوير حبهما من زاوية التصوف، وأن العذاب الذي لقياه هو بمنزلة الرياضة النفسية والجسدية للصوفي في سبيل تربية وتنقية روحه للارتقاء فوق الماديات، وأن حبها العميق الطاهر ما هو إلا صورة مجسدة للحب المثالي الكبير.

أما ما يهدف إليه مضمون القصة من نواح وطنية واجتماعية، فبالإضافة إلى تصوير الحياة المدنية والحضارية في إمارة بوتان ومدينة (جزير) وتباين



عـادات الصـداقـة والإخـلاص وتقـاليـد الشـعـب في الأعراس والأعياد والألعاب، وكذلك عرض موضوع الحب في صورة راقية تظهر دور المرأة الإيجابية في الحياة - فإنه يرمز إلى الوطنية. وبرأيي فإن (مم) يمثل الشعب المخلص الشجاع المتفاني في سبيل نيل غايته في الوصال مع حبيبته الحرية، وكيف أنه لم يصل إلى غايته رغم التضحيات الجسام والعذاب المرير الذي كابده في سبيلها.. ونرى اللجوء إلى استعمال القوة أخيرًا لتحرير مم من السجن من قبل ممثلي الجماهير والقوات المحاربة. ويقول المستشرق باسيل نيكتين: «إنه يصور في ملحمته الشعرية الأساس (مم وزين) كردستان وكأنها سجين مقيد بالأغلال ويبين لنا الشاعر الوسائل والسبل التي ينبغي اللجوء إليها من أجل انقاذ وطنه مما هو عليه»[١٨].

ملخص القصة

جرت ترجمة القصة (من دون الديباجة) إلى اللغة العربية في سنوات الخمسينيات وبالإضافة إلى إحالتي القارئ الكريم إليها[١٩]. لكنني رأيت أن أرفق مع هذه الصفحات الخاصة بالتعريف بالقصة والمؤلف وحياته ملخصًا للقصة الشعرية لا أظن أن الملخص يرتقي إلى مستوى الطموح ولا إلى المستوى الأدبي للنص الذي أرجو أن لا أشوهه.

كان يحكم مدينة (جزير) أمير إمارة بوتان واسمه (زين الدين) وكان أميرًا ذائع الصيت مشهورًا بالكرم والشجاعة، له شقيقتان جميلتان تسمى الكبرى (ستي) والصغرى (زين) وكانتا آيتان في الحسن والأدب. وكانت بين جيش الأمير قوة خاصة تتكون من مئة شاب يرأسهم القائد (تاجدين - تاج الدين) ابن وزير الديوان المشهور بقوته وبصولاته في ساح الوغى، له شقيقان (عارف) و(جكو) من الرماة الشجعان أيضًا، جعل من صديقه (مم) أخًا روحيًا لا يستطيع مفارقته، يكن الواحد للآخر إخلاصًا وودًا منقطع النظير. و(مم) هذا كان ابن كاتب ديوان الأمير، وهو شاب وسيم شجاع بطل يتصف بالإباء والمعشر الحسن والأخلاق الحسنة.

عندما تدور السنة دورتها ويحل عيد (النيروز)، يخرج الناس من بيوتهم متوجهين إلى المروج والبساتين متنزهين، وهذه عادة جارية إلى اليوم. ولقد خرج سكان مدينة جزير للتنزه في يوم هذا العيد فلم

أما شخصية (بكر) الذي فرّق بين الحبيبين فهي شخصية واقعية أيضًا، تعمل ضمن إطار أساليب السياسة وإدارة الحكم، فهو يرى أن أفعاله اللئيمة تبررها مصلحة الدولة والأمير..

يتخلف منهم مدنيون وعسكريون سوى (مم) و(تاجدين) اللذين قاما بتبديل هيأتهما وارتديا زي الفتيات، وتنكرا بشعر مستعار وخرجا بعد ذلك من المدينة واختلطا بجموع الشباب والشابات، حيث لاحظا اضطراب الجموع، سأل تاجدين شيخًا واستفسر منه عن الأمر، فأجاب الشيخ بأن ثمة شابين قويين كأنهما جلادان يرومان رؤوس الجموع، أو ساحران يجعلان منهم سكارى دون خمر، فانتفض تاجدين ومم وقررا أن ينازلا الشابين ليحققا لهما انتصارًا أمام الحشد، وما إن اقتربا منهما حتى هالهما جمالهما وكأنهما شاهدا مَلَكين من الملائكة، وبعد أن أجالا النظر فيهما وتبودلت النظرات رقت القلوب وسلكت أرواحهم طريق الحب. ومن شدة هيامهما وقعا مغشيًا عليهما فلما أفاقا وجدا نفسيهما وحيدين وقد تبدل خاتميهما. وبعد أن تفحص تاجدين خاتمه وجد اسم (ستي) منقوشًا في باطنه ووجد مم اسم (زين) مكتوبًا على خاتمه، وهنا أدركا أن صاحبي الخاتمين هما الأخريين تنكرتا في زي شابين. وقد ترك هذا اللقاء العفوي أثره الكبير في قلبي الفتاتين فلم تخلدا للراحة إلى أن تمكنتا بواسطة مربية عجوز ساحرة من معرفة الشابين. وعندها أرسلت العجوز إليهما لتخبرهما بحب الفتاتين واستعدادهما للزواج بهما. امتلأ قلبا الشابين بالفرح بعد عذاب واضطراب دام أيامًا. وأرسل تاجدين وفدًا من الأعيان لخطبة (ستي) من الأمير فوافق الأخير على زواجه منها وجرت مراسيم الزفاف بصخب وأبهة.

كان للأمير بواب أو حاجب ماكر نمام يدعى (بكر مركَور) يكن في قلبه الحقد الكثير على تاجدين ويحاول الإيقاع به في كل مناسبة فأتى يومًا إلى الأمير ليسمم أفكاره وليعبر عليه مكائده فقال له: إنك أيها الأمير قد تسرعت بتزويج شقيقتك لتاجدين فلم يكن يليق بها إلا الملوك والقياصرة، وما تاجدين إلا من خدم الأمير، فأجابه:

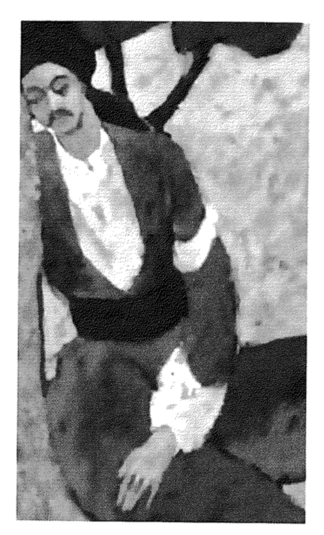
أيها الأحمق ما ينفعني القياصرة والملوك عندما تحتدم المعارك؟ من لي بحمل السيف غير تاجدين ومم والآخرين؟ إلا أن بكرًا لم يهزم فقد أوغل في زرع بذور الحقد والشر فقال له:

نعم، أيها الأمير، لكن أمثال هؤلاء لا يستحقون الإحسان الذي تغمرهم به، فمن يوم ما أغْدقتَ على (تاجدين ابن اسكندر) النعمة أصابه الغرور وسيأتي يوم لا محالة ينافسك فيه حتى على العرش! كيف؟ عندما زوجته من شقيقتك قام فأهدى شقيقتك الصغرى (زين) إلى صديقه مم!! عندها غضب الأمير غضبًا شديدًا وصدق ما قاله فأقسم أن يمنع زواج مم من زين مهما كانت الظروف والأحوال.

بينما فرحت (ستي) بزواجها بقيت زين كسيرة الخاطر، بائسة وتعلم يائسة أن حظها من الحياة هو أن تكابد العذاب والحرمان وأن لا تنال مرادها أبدًا. ويبقى مم الهائم بحب زين يائسًا من الوصال يتجرع الألم والعذاب بحيث أصبح عليلاً ضعيف الوجود. وفي أحد الأيام خرج الأمير مع حاشيته إلى الصيد، وأرادت زين أن تغادر غرفتها فنزلت إلى باحة القصر ومن ثم عرجت على حديقة الأمير الواسعة فكانت تنادي الأزهار والفراشات والعنادل وتشكو لها همومها وتتمنى لقاء مم. فما إن رفعت عينيها حتى رأت مم يأتي صوبها وكأن قوة خفية أهدته وجلبته إلى الحديقة نفسها ليتم اللقاء بينهما، فأغمي عليها، وما إن شاهدها مم حتى أغمي عليه هو الآخر. وعندما أفاقت زين من غيبوبتها جعلته يفيق وتقابلا لقاء الحب الخالص، وزاد لهيب قلبيهما اشتعالاً، وعندما تركا الحديقة ورجعا إلى القصر نسيا نفسيهما وتاها في بحر الغرام، ولم يستيقظا من نشوتهما إلا على وقع أقدام الحشد الغفير وصوت الطبول والنقارات والأبواق. وكاد يكتشفهما الأمير عندما فتح باب القصر، إلا أن (مم) اتكأ على أحد أعمدة القصر وأخفى زين تحت عباءته الفضفاضة، ولم يتحرك من محله رغم مجيء الأمير ومعه تاجدين وبكر وجمع من الحاشية. وعندما سأله الأمير عن سبب وجوده في القصر أجابه: أن مرضه قد اشتد عليه فجاء إلى حديقة الأمير للتفريج عن نفسه بالتفرج على الأزهار والأطيار ولصيد ما تصل إليه يده ما دام الأمير قد خرج إلى الصيد، وقد رأى في حديقة الأمير غزالاً أبيض ما غاب إلا قبل مجيء الأمير بفترة وجيزة. فأدرك تاجدين مغزى كلامه، لكنه ترجى الأمير أن لا يحمل هذيان مم المريض محمل الجد، وهرول مسروعًا إلى داره المجاورة للقصر وأشعل فيها النار وتصاعد الدخان وعلت صيحات النجدة لإطفاء الحريق، فهرع القوم إلى الدار المحترقة وخلت الساحة لزين كي تخرج من مكمنها وتنجو بنفسها نتيجة تضحية تاجدين.

لم يخف حب زين ومم على (بكر) فزاد حقدًا عليهما، وتوسل بكل الوسائل لسنوح الفرصة ليضرب ضربته الحاسمة ويخمد نار هذا الحب الوقاد. وأخبر بكر الأمير يومًا بأن (مم) تحدى قراره ولم يرعو عن الإيغال في حب زين، وانتشرت قصة حبهما بين الرعايا وما زال يأمل الزواج بها. فاستشاط الأمير غضبًا وقرر حسم الأمر مع مم. ودبر (بكر) مكيدة جديدة حتى يكتشف الأمير بنفسه تعلق مم بحب زين، فكان أن طلب الأمير من حاشيته أن يعدوا له مجلسًا مع مم وأوصاهم حين يدعون ممًا إلى المجلس عليهم أن يحولوا دون تسرب خبر الدعوة إلى تاجدين وأخوته لكي يستطيع تأديبه وعقابه على فعلته. وعندما

ومثل آخر على سمو حب مم وزين وتساميه على الحب الدنيوي موت زين التراجيدي وهي تحتضن شاهدة قبر مم أمام الجمع الغفير من المشيعين



حضر مم إلى المجلس طلب منه الأمير أن يلعب معه (الشطرنج) بشرط أن يلبي المغلوب طلب الغالب. وكان بين حرس الأمير فتى يدعى (كوركين) على صداقة حميمة مع مم استطاع أن ينسحب من المجلس خلسة ويخبر تاجدين وإخوته بالمكيدة، فما إن اشتد اللعب حتى وصل تاجدين وإخوته مدججين بالسلاح، وتغلب مم وربح لثلاثة أشواط. إلا أن بكرًا المفسد لاحظ (زين) تتفرج عليهم من نافذة مقابلة لهم، فانتهز الفرصة وطلب من الأمير تبديل مكان مجلسه مع مم ويواصلان اللعب، وما إن جلس مم قبالة الشباك ووقع بصره على حبيبته حتى فتر ذهنه عن مواصلة اللعب، وغلبه الأمير ستة أشواط، وغنم الأمير الفرصة لتحقيق مأربه فطلب منه تنفيذ الشرط الذي هو إخباره عن اسم الفتاة التي يحبها ليتمكن من تزويجه بها إن رآها كفئًا له.

انبرى بكر في هذه اللحظة ليشير ويستفزه فقال متهكمًا إن حبيبة مم زنجية دميمة لا يليق ذكرها بمقام الأمير. رأى مم من هذا الكلام طعنًا في شرفه فكشف بصراحة حبه لزين ضاربًا كل الأخطار عرض الحائط. هاج الأمير بعد أن نال هذا الكلام من هيبته وأثار نار غضبه فأمر الخدم بإلقاء القبض على مم وقتله شر قتلة. هجم على مم (٢٠٠) مسلح ونهض مم شاهرًا خنجره وقام تاجدين وإخوته على أثر ذلك وطلب من الخدم التريث والامتناع عن كل فعل يسيء إلى مم مهددًا ومذكرًا إياهم ببأسه وبأس إخوته، فمنعهم من الاقتراب منه، أي حال دون قتله، لكنه لم يستطع المضي إلى أبعد من ذلك تجاه حكم الأمير، فقال إنه ليس ضد أوامر السلطان وعليه الإذعان لها فأمر الأمير بشد وثاق مم وحبسه في أحد أبراج القلعة. تمنى تاجدين الموت في ذلك الحين لكنه برر موقفه وصرح بأن العار لن يلتصق بجبينه لأن (الجلاد ليس رجلاً عاديًا بل هو الأمير الحاكم) حسب قوله.

ودخل مم السجن، ويصف القاص الشاعر ما كابده في سجنه الذي ظل فيه مدة عام، فأحال السجن المظلم إلى صومعة ليخلو بنفسه مع الله لا يفكر إلا بالحب الخالص المرتفع فوق الأغراض الدنيوية، ويصف من جهة أخرى عذاب زين وآلامها بعد فراق مم التي حرمت على نفسها كل معالم الفرح. وأثر فراق مم في تاجدين كثيرًا ورغم مساعيه الكثيرة لم يتمكن من عمل شيء لإنقاذه من السجن، فاتخذ الموقف الذي كان عليه أن يتخذه قبل ذلك، فقرر يومًا هو وإخوته أن يقابلوا الأمير بالعنف ويطلبوا منه إطلاق سراح مم تحت التهديد والسلاح، وأمام هذا التهديد القوي استجاب الأمير لطلبه. و(زين) التي أعطت النموذج الحسن في صبرها وتحملها العذاب ونكران الذات في سبيل الحب الخالص جلبت عطف الكل بمن فيهم شقيقها الأمير، فأيقن بأن حب (زين ومم) حب طاهر فوق الشبهات ووافق على زواجهما. وحينها ذهبت زين بكامل زينتها إلى السجن لتنقل بنفسها إليه هذا الخبر السار لكنه مات وأصبح جثة هامدة. فأثر هذا

الموقف المفجع في نفسها أثرًا بالغًا. ولدى حضورها مراسيم دفن جنازة مم لم تستطع أن تتمالك فأسلمت الروح فوق قبره وتم دفنها مع مم في القبر نفسه ليتم الوصل في الآخرة وقد حرما منه في الدنيا.

ومما يجدر ذكره أن تاجدين هجم في سورة غضبه على بكر المنافق فأرداه قتيلاً. وبقيت قصة عشق مم وزين خالدة في القلوب لأنها تمثل النبل والطهر والتضحية حيث يقول الشاعر:

والحاصل فقد فتحوا التابوت من جديد
خاطب الأمير ممًا: هاك المعشوقة!
فجاء الصدى من جسده ثلاث مرات
وجاء الصوت بلفظ (مرحبًا)
وعندما سمع الجميع تحقيق السر صدقوه وآمنوا بالعشق
وقالوا مؤيدين: «مرحى. مرحى!»
حقًا لم يكونا ملوثين بالأدران والأشواك
وهذا هو الحب الطاهر
لقد رحلا طاهرين نقيين
رحلا بكرين كريمين
رحلا بشفاه ظامئة ولم يذوقا ثمرة بعضهما
وقفا أمام الله متحسرين،
والله لقد عاشا مسرورين بالحب
وماتا معًا مسرورين والمنة لله
كل من كان بجماله مثل زين يبدل الحياة بالعشق
ويحرم نفسه من السرور والعيش الرغيد
لابد أن يحقق مبتغاه.. ويرى كل ما أراده

الهوامش

١- وتسميتها جاءت على اسمي بطل القصة (مم) والذي قد يكون تصغيرًا لاسم محمد الذي يلفظ أحيانًا في اللغة الكردية بـ(مامند وممند) وبطلته (زين).

٢- محمد أمين عثمان - مم وزين، شرح وتحقيق، بغداد، ١٩٩٠م.

٣- مينورسكي - الأكراد (ملاحظات وانطباعات)، ترجمة: معروف خزندار، بغداد، ١٩٦٨م.

٤- د.عزالدين مصطفى رسول - أحمدي خاني شاعرًا ومفكرًا، بغداد، ١٩٧٩م.

٥- علي سيدو گوراني - من عمان إلى عمادية، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٧٩م.

٦- ب.نيكتين - الكرد (دراسة سوسيولوجية)، ترجمة: د. نوري طالباني، أربيل، ٢٠٠٤م.

٧- د.عز الدين مصطفى رسول - المصدر السابق، ص٣٥.

٨- د.شاكر خصباك - الأكراد دراسة جغرافية أثنوغرافية، بغداد، ١٩٧٢م، ص٥١٥.

٩- المصدر السابق نفسه، ص٥١٦. علمًا بأن السلطان سنجر قد حكم بين سنتي (٥١١-٥٢٢) هجرية.

١٠- الشرفنامة من تأليف الأمير شرمخان البدليسي، تعريب ملا جميل روزبياني، بغداد، ١٩٥٣م، وهو مصدر أشار إليه المؤرخون والمستشرقون مرارًا.

١١- جلال الطالباني، كردستان والحركة القومية الكردية، الطبعة الثانية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١م.

١٢- الدكتور عز الدين مصطفى، المصدر نفسه، ص٥٥.

١٣- باسيل نيكتين، المصدر السابق، ص٢١٣-٢١٤.

١٤- يقال إن الملك جمشيد الإيراني كان ينظر في كأس خاصة له ويشاهد فيها أحوال المملكة كالتلفزيون الحالي!

١٥و١٦- ورد في القديم تعبير الروم ليدل على الأتراك الذين احتلوا بلاد الروم وسكنوا فيها. ويدل (الطاجيك) على الفرس ومع أنهم الآن قوم يعيشون في جمهورية طاجيكستان لكنهم يتكلمون الفارسية.

١٧- مم وزين - محمد أمين عثمان، المصدر السابق، ص٤٨-٥٣.

١٨- باسيل نيكتين، الأكراد، ترجمة نوري الطالباني، ص٢١٣.

١٩- محمد سعيد رمضان البوطي، مم وزين، تأليف أمير شعراء الأكراد وأدبائهم أحمد خاني، بيروت، دار العلم للملايين.

هل تحصل كردستان على عضوية الاتحاد الأوروبي؟!

أندريا نيترشايدت . ألمانيا

بعد اعتقال زعيم حزب العمال الكردستاني عبد الله أوجلان، في ١٥ فبراير ١٩٩٩م، أثناء وجوده في ملاذه الأخير، داخل السفارة اليونانية في العاصمة الكينية نيروبي، على يد قوات تركية خاصة، قيل حينذاك إن ذلك تم بالتعاون مع قوات إسرائيلية، في عملية أشبه بالأفلام الأمريكية المليئة بالإثارة، اندلعت في أوروبا موجة من العنف لم تعهدها المدن الغربية من قبل.



خرج أتباع حزب العمال الكردستاني في مظاهرات عارمة، للاحتجاج على هذه العملية، وبعدما قررت سلطات الأمن الأوروبية حظر التظاهر، لجأ الأكراد إلى أساليب مثيرة للفت الأنظار لقضيتهم، فأشعلت النساء الكرديات النار في أنفسهن أثناء التظاهر، وتمكن مئات الأكراد من إغلاق الطرق السريعة (هاي واي) بين الدول الأوروبية، وعندما حاولت فرق الشرطة الألمانية تفريق المتظاهرين، تعرض أفرادها لهجمات عنيفة بالهراوات، ونقلت وسائل الإعلام صور رجال الشرطة، المصابين بجراح بالغة في رؤوسهم. ثم قام بعض الأكراد باقتحام مقرات البعثات الدبلوماسية، وجرى احتجاز ثلاثة دبلوماسيين في القنصلية اليونانية في مدينة لايبزج الألمانية، وفي محاولة مشابهة لاقتحام القنصلية العامة الإسرائيلية في برلين حيث قتل رجال الأمن الإسرائيليون، أربعة أكراد.

أدت كل هذه الأحداث إلى تراجع ألمانيا عن طلبها السابق بتسليم عبد الله أوجلان، لمحاكمته فوق أراضيها، خوفًا من تزايد حدة العنف هناك، بخاصة بعد أن كشفت وسائل إعلام عديدة، عن استخدام السلطات التركية لأسلحة ألمانية في قمع الأكراد، وتنامي الغضب الكردي، على ألمانيا، الذي وصل إلى حد اتهام الحكومة الألمانية بأنها ساهمت في مؤامرة تركية لتصفية القضية الكردية (انظر مقال أوته رايزنر بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٩٩، في موقع الاشتراكية الدولية على الإنترنت).

استغلت الأحزاب اليمينية المتطرفة هذه

الأحداث، واستنكرت أن تتحول أوروبا، إلى ساحة للقتال بين الأكراد والأتراك، بخاصة بعد تعرض الكثير من المصارف والمؤسسات التركية، إلى الاعتداءات الكردية، وكررت مطالباتها بأن تتخلص أوروبا من الأجانب، رافعة شعار (نحن لا نكره الأكراد...إذا عادوا إلى بلادهم).

ولكن، هذا هو مربط الفرس، أين بلادهم؟

كردستان في المخيلة الأوروبية

جرّب أن تكتب كلمة (كردستان) باللغة العربية على جهاز الكمبيوتر، ستجد المصحح الإملائي يضع تحتها خطًا أحمر، أي أنه لا وجود لهذه الكلمة في اللغة العربية الصحيحة، ثم جرّب بعد ذلك أن تكتبها بأية لغة أوروبية، ستجد أنها كلمة صحيحة، مثلها مثل تركيا، أو العراق، أو إيران، أو سوريا، وهي الدول التي يعيش فيها غالبية الشعب الكردي، البالغ تعداده ٣٠ مليون نسمة، أي أنهم يشكلون القومية الرابعة في الشرق الأوسط، بعد العرب والأتراك والفرس، ولكنهم على عكس الآخرين، بلا وطن، كما كتب جونتر ديشنر في كتابه الصادر حديثًا بعنوان (الأكراد - شعب بدون وطن - بين التاريخ والآمال).

ويرتبط اسم الأكراد عند الغرب، بهذا الشعب الذي حاول الكثيرون طمس هويته، لكنه بقي رغم كل هذه المحاولات، معتزًا بتراثه، رغم ما كلفه ذلك من تشريد، وقهر، وترحيل، منعوه أن يؤلف الكتب بلغته، بل جرى فرض العقوبات على الكردي الذي يتحدث بغير لغة مجتمع الأغلبية، ومع ذلك بقيت هويته تجري في دمه، يتحدث بها في الخفاء، ويهديها لأبنائه في السر.

الكردي كان يعني في المخيلة الأوروبية، (الضحية)، ضحية السياسات العالمية، ضحية اتفاق الجيران، ضحية الوعود الكاذبة، في عام ١٩٢٠م، بعد انهيار الدولة العثمانية، وفي أعقاب حرب تحرير الكويت، ثم هو ضحية الصراعات الداخلية، برزاني، ضد طالباني، وكلاهما ضد أوجلان، ثم ثلاثتهم ضد (أنصار الإسلام) بزعامة الملا كريكار. كلما تحالف مع طرف طعنه في ظهره، ففقد الثقة في الجميع، وقرر البعض الصمود، وقرر البعض الآخر الهروب، وبدأت رحلة الغربة خارج بلاده، بعد أن شعر بالغربة داخل أرضه.

الطلاب الأكراد في أوروبا

بدأ الوجود الكردي في أوروبا منذ عام ١٨٩٥م، حيث قدم طلاب ودبلوماسيون أكراد، إلى الدول الإسكندنافية (النرويج والسويد وفنلندا)، وإلى فرنسا، وإيطاليا والنمسا، ولكن المعلومات عنهم، قليلة للغاية، لا تزيد على كونهم هربوا من الدولة العثمانية، التي كانوا ناقمين عليها، وأنهم كانوا يؤكدون (هويتهم الكردية).

وذكرت مصادر ألمانية أن كرديًا اسمه جواد كافي، جاء إلى برلين عام ١٩٠٤م، قادمًا من إيران، وعمل في جهة صحفية. أما الطلاب الأكراد في سويسرا، فقد أسسوا في مدينة لوزان، في عام ١٩١٣م، فرعًا لرابطة طلابية كردية، مقرها الرئيس في إسطنبول.

ثم يشير مؤرخو الأكراد في أوروبا، إلى شخص اسمه حلمي عباس، كان أبوه كرديًا، وأمه نمساوية، استقر في ألمانيا، بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، ونشر كتابًا اسمه (أغاني الحرب والحب الكردية القديمة).

وفي عام ١٩٤٨م كان هناك خمسة أكراد يدرسون في سويسرا، اثنان منهم من إيران، وثلاثة من سوريا، وبعد تعرض كردي عراقي، كان يدرس قبل الحرب



العالمية الثانية في أوروبا، إلى أزمة مالية كبيرة، قام هؤلاء بجمع المساعدات له، وعندها نشأت فكرة إقامة اتحاد للطلاب الأكراد في أوروبا، على نمط تجمعات الطلاب من بقية الأعراق، وتأسس (اتحاد الطلاب الأكراد في أوروبا) في عام ١٩٤٩م، ولكنه لم يصمد طويلاً، بسبب الخلافات الداخلية بين أعضائه، خصوصًا وأن القائمين على الاتحاد قرروا التركيز على الهوية الكردية، وتجاهل أي فروق ناجمة عن الانتماء القطري للأكراد.

ومن الجدير بالذكر أن الطلاب الأكراد القلائل، الذين كانوا يدرسون في أوروبا، خصوصًا في سويسرا، وإنجلترا، وفرنسا، والنمسا، وتشيكوسلوفاكيا السابقة، كانوا من أبناء الطبقات الموسرة، ومن أسر رفيعة الثقافة، في كلّ من: تركيا وسوريا والعراق وإيران. وكان تمويل الدراسة في البداية على النفقة الشخصية لهذه الأسر، ثم أصبحت الدراسة متوفرة عن طريق منح من جهات حكومية، في هذه الدول، ثم منح من منظمات كردية.

ومع مرور الوقت أقام الطلاب الأكراد في سويسرا، علاقات مع بقية الطلاب والعلماء الأكراد في بقية دول أوروبا، وقاموا بأنشطة ضخمة، خصوصًا في مجال النشر، ولكن هذا الاتحاد عاد إلى التفكك، بفعل ضغوط التنظيمات الطلابية ذات التوجهات الشيوعية في بلادهم الأصلية، التي جاؤوا منها.

وقد صرح أحد كبار مؤسسي الاتحاد الكردي في سويسرا، وهو نور الدين ظاظا، بأنه يرى أن أنشطة الاتحاد في ذلك الوقت كانت بمنزلة صرخة استغاثة، أطلقها الشعب الكردي، في مواجهة المخاطر المتعلقة بوجود شعبه بأكمله. (انظر بيرجيت أمان: الأكراد في أوروبا).

ومن الشخصيات الكردية التي اشتهرت في مطلع القرن العشرين، عالم الأدب كاموران بديرخان، الذي درس في جامعة لايبزج الألمانية، والتي حصل منها على درجة الدكتوراه، في عام ١٩٢٦م، وأصبح منذ عام ١٩٤٧م محاضرًا في علوم اللغة الكردية، بالجامعات الفرنسية، وفي العام التالي أسس مركزًا للغة الكردية، أصبح نقطة جذب لعدد محدود من الطلاب صغار السن، الذين قدموا من مختلف المناطق الكردية، وفي عام ١٩٦٠م انضم إليه محاضرون آخرون، لتدريس التاريخ والثقافة الكرديين.

وإذا علمنا أن هناك حاليًا مليون كردي تقريبًا في أوروبا، عرفنا سبب تأثر أوروبا بأي أحداث تتعلق بالقضية الكردية

وفي الوقت نفسه كان شخص كردي اسمه توفيق وهبي، كان يشغل من قبل منصب وزير في العراق، قد جاء إلى بريطانيا، وعمل في التدريس في معهد لندن للدراسات الشرقية والإفريقية.

وعاد الطلاب الأكراد في عام ١٩٥٦م لتأسيس اتحاد جديد لهم، ضم ١٧ طالبًا، واختاروا اسمًا كرديًا، ثم غيروه إلى اسم آخر باللغة الإنجليزية في عام ١٩٥٩م ليصبح (جماعة الطلاب الأكراد في أوروبا) KSSE، وبعد سقوط الحكم الملكي في العراق، ارتفع عدد الطلاب الأكراد القادمين من العراق، إلى أوروبا، وانضم الكثيرون منهم إلى الجمعية، حتى أن الطلاب الأكراد افتتحوا فرعًا لهذه الجمعية، في العاصمة التركية، في عام ١٩٦٢م، ولكن السلطات التركية اكتشفته، وقامت بحل الفرع، وبقي الكثيرون من الطلاب الأكراد يشعرون بالانتماء لهذه الجماعة، حتى نهاية السبعينيات.

وبعد أن أصبحت أنظمة الحكم في دول المنطقة، قريبة من الكتلة الشرقية، ذات التوجهات الاشتراكية، قدمت دول أوروبا الشرقية المنح الدراسية للطلاب من كل من العراق وسوريا، وبلغ اهتمام دول شرق أوروبا بالقضية الكردية، إلى درجة أن جمهورية ألمانيا الديمقراطية السابقة، بدأت في بث برامج باللغة الكردية، على أربع فترات في اليوم، من إذاعتها في برلين.

ومرة أخرى زاد إقبال الطلاب الأكراد على (جماعة الطلاب الأكراد في أوروبا) KSSE، وفي حين كان عددهم عام ١٩٦٢م حوالي ٢٥٠ عضوًا، أصبح في عام ١٩٦٥م حوالي ٤٥٠ عضوًا، كان أكثر من نصفهم يدرسون في

الدول الناطقة باللغة الألمانية (ألمانيا والنمسا والشطر الناطق بالألمانية في سويسرا)، وبعد أن بلغ عدد أعضائها في عام ١٩٧٥م، ما يقارب الـ ٣٠٠٠ عضو، أغلبهم من أكراد العراق، مقابل ١٠٠ - ٢٠٠ فقط من سوريا، حدثت انشقاقات داخل الجماعة، خصوصًا بعد أن توسعت أنشطتها كثيرًا، ولم تعد تقتصر على متابعة قضايا الطلاب فقط، بل بدأت تشمل الاهتمام بقضايا العمال الأكراد النازحين إلى أوروبا.

هجرة العمال الأكراد إلى أوروبا

في نهاية الحرب العالمية الثانية، كانت ألمانيا وغيرها، قد فقدت ملايين الرجال في المعارك، التي جرت في الاتحاد السوفيتي، وفي إفريقيا، وبفضل مشروع مارشال وغيره، استطاعت هذه الدول أن تحقق انتعاشًا اقتصاديًا، كبيرًا، وظهر عجز كبير في اليد العاملة، فلجأت دول وسط أوروبا، إلى جلب العمال من دول جنوب القارة، من إيطاليا وإسبانيا، واليونان، ولكن أغلب العمال الأجانب في ألمانيا مثلاً، كانوا من تركيا، وكان هناك إقبال من العمال من تركيا، وبينهم الكثير من الأكراد، على القدوم، بسبب ارتفاع نسب البطالة في بلادهم، وانخفاض المستوى المعيشي، ووقوع الكوارث الطبيعية، مثل الزلازل.

وكانت عملية جلب العمال تتم في إطار اتفاقيات بين الدول أحيانًا، وفي كثير من الحالات، كانت المؤسسات الصناعية تتولى اختيار العمال وجلبهم، دون الاستعانة بوزارات العمل لدول وسط أوروبا، التي فتحت مكاتب خارجية في الدول المصدرة للعمالة.

بدأت ألمانيا في استقدام العمالة من تركيا في الخمسينيات، وبلغت نسبة العمال الأتراك إلى غيرهم من العمال الأجانب ٨٥٪، ووقعت ألمانيا وتركيا في عام ١٩٦١م اتفاقية لتوفير العمالة، إلا أن أكبر عدد من العمال الأتراك، جاء في عام ١٩٦٧م. وكانت نسبة الأكراد بينهم، حوالي ٥٠٪، بسبب حدوث زلزال مدمر في منطقة فارتو، تلاه وقوع صدامات مع الأمن التركي في منطقة ماراس، وفي عام ١٩٧١م وقع زلزال جديد، في منطقة بنجول، فقررت السلطات التركية إعطاء الأولوية للعمال الأكراد، وهو الأمر الذي يستبعد الكثيرون أن يكون دافعه إنسانيًا، بل كان بهدف التخلص من أكبر عدد ممكن من الأكراد، وإذابة من تبقى منهم في مجتمع الغالبية، وهو الأمر الذي تدعمه أقوال العمال الأكراد، بمطالبة السلطات التركية لهم، بمغادرة تركيا، والذهاب للعمل في ألمانيا فورًا.

كانت خطط الدول الأوروبية المستقبلة للعمالة أن يعود هؤلاء الذين أسمتهم (العمال الضيوف)، بعد انتهاء مدة الاستضافة، ولم تكن هناك أي بيانات مؤكدة توضح نسبة الأكراد بين العمالة التركية، والتي تراوحت في البداية تبعًا للتقديرات إلى ما بين ٢٠ ٪ و ٢٥٪، قياسًا على نسبة الأكراد في تركيا. وتشير المعلومات المتوفرة، إلى أن الهجرة الكردية إلى أوروبا، تأخرت بعض الشيء عن قدوم العمالة التركية.

وتشير التقديرات أيضًا إلى أن نسبة الأكراد في الفترة من عام ١٩٦٣م - ١٩٦٧م بلغت حوالي ٦.٧، وزادت في الفترة من ١٩٦٨م إلى ١٩٧٣م، إلى ٨٪، وفي عام ١٩٧٠م كان الكثير من الأتراك القادمين من تركيا، من إقليم الأناضول ذي الغالبية الكردية.

وتذكر بعض الدراسات الكردية أن أعداد المهاجرين الأكراد إلى ألمانيا بلغت، ما يلي:

في عام ١٩٦١م حوالي ١٤٧٠ شخصًا، وفي عام ١٩٦٨م حوالي ٩١٠٠، وفي عام ١٩٧٠م حوالي ٢١٠٠٠، وفي عام ١٩٧٣م، حوالي ١٩٦٥٠ .

ثم بدأت فرص العمل المتوفرة تصبح أقل من الإقبال الكبير من جانب العمال في تركيا، فأصبح العامل يسجل اسمه في قوائم انتظار حتى يحالفه الحظ، ولكن بقيت فرص عمل النساء متوفرة. وبلغت نسبة وظائف النساء بين العمال الأجانب في عام

وتتفاوت الأوضاع المعيشية للأكراد في أوروبا ، ففي حين يعيش ثمانية آلاف كردي في اليونان ، حياة متواضعة للغاية في معسكرات للاجئين ، تشكل الجالية الكردية في إيطاليا تجمعًا من الفنانين والرسامين



١٩٦٦م حوالي ١٧٪، وفي عام ١٩٧٢م حوالي ٢٥٪، بل إن أصحاب العمل الألمان كانوا في بعض الأحيان يفضلون النساء، مبررين ذلك بأنهن «أكثر هدوءًا، وأقل مطالب، وأكثر اجتهادا، ويرتضين رواتب أقل».

وحتى لا تكلف الشركات الصناعية عناء التفتيش عن عمال جدد، أصبحت تقبل قيام العمال الأجانب لديها، بترشيح عمال جدد، تطلبهم بالاسم من بلادهم، وفي حين كانت نسبة العمال القادمين عن طريق الترشيح، في عام ١٩٦٥م حوالي ١٣٪ فقط، بلغت في عام ١٩٦٨م حوالي ٤٠٪. وكانت الشركات ترى أنها بذلك تضمن الانسجام داخل المصنع، لوجود علاقات بين العمال القدامى والجدد، إضافة إلى ضمان قيام هؤلاء العمال القدامى، بمساعدة الجدد على البحث عن سكن، وسرعة تأقلمهم مع العمل، ما أحدث ظاهرة (الهجرة المتسلسلة)، بمعنى أن قدوم شخص من قرية ما، أصبح يعني تدريجيًا، نزوح الكثيرين من القرية نفسها، وغالبًا الأسرة نفسها، واستطاع هؤلاء لما بينهم من روابط عائلية، وقرابة، أن يؤسسوا اتحادات ترعى مصالحهم، في منطقة بعينها.

وجد الكثيرون من العمال الأكراد القادمين، من تركيا، في التجمع الجديد، فرصة تعوضهم عن العزلة العرقية واللغوية، وأحيانًا الدينية، التي كانوا يعانونها خصوصًا أولئك المنتمون للطوائف العلوية واليزيدية، والشركس والأرمن.

ولم تكن ألمانيا وحدها هي التي وقعت اتفاقية استقدام عمالة من تركيا، بل قامت بالأمر نفسه كل من: هولندا، وبلجيكا، والنمسا، وفرنسا، وبريطانيا، والدانمارك، وحتى الدول التي لم تفعل ذلك مثل سويسرا، سمحت للشركات أن تفعل ذلك مباشرة، دون تدخل الجهات الحكومية في ذلك، وفي فرنسا فشلت الجهات الحكومية في استقدام العمال، فتولت الشركات في عام ١٩٦٤م القيام بذلك، وكان العمال الذين يفشلون في الحصول على عقود عمل في بلادهم، يأتون إلى فرنسا أولاً كسائحين، ثم يسعون للبقاء بعد العثور على وظيفة. وقد توصلت الدراسة التي أعدها محسني زادیادي إلى أن فرنسا كانت ثاني أكبر الدول الأوروبية المستقدمة للعمالة من تركيا، إلا أن نسبة الأكراد بين العمال الأتراك في فرنسا أقل من نسبتهم إلى مجموع السكان في تركيا. على عكس السويد التي جلبت عمالتها التركية من منطقة كونيا، ذات الثقافة الكردية الغالبة.

وتشير إحصائيات كردية إلى أن عدد العمال الأكراد في فرنسا بلغ عام ١٩٦٤م حوالي ١٠٠ عامل فقط، مقابل ٤٠٠٠ في السويد، وكانت نسبة الأكراد المتوجهين إلى بريطانيا أيضًا قليلة.

أكراد أم أتراك

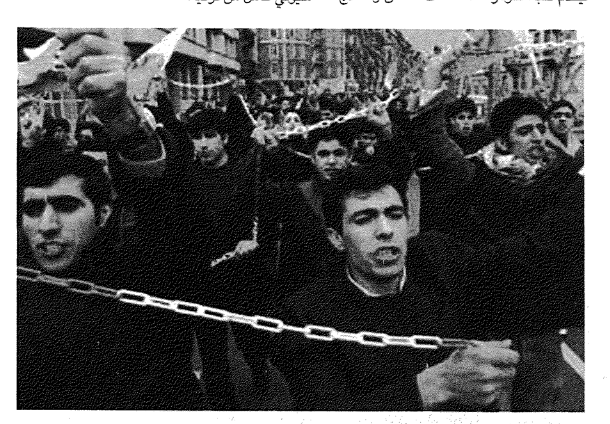
صحيح أن الأكراد كوّنوا جمعيات خاصة بهم، بعضها للطلاب وبعضها الآخر للعمال، ولكنها لم تكن تهدف في المقام الأول إلى إبراز الهوية الكردية، أو إحياء الوعي الإثني، أو الشعور بالذات، والاعتزاز بها، ورغم ما يقال عن اختلاف بين جمعيات الطلاب، التي كانت أعلى من ناحية المستوى الثقافي، ولكنها كانت تركّز على توفير الدعم، مثل تخصيص شقق لسكن الطلاب الجدد، وإعانتهم على تجاوز أزماتهم المادية، بل إن بعض الدراسات تزعم أن الأكراد كان يتملكهم شعور بالنقص، أمام الأتراك، خاصة منذ أن اعتبرهم كمال الدين أتاتورك، «أتراك الجبال»، بلا تاريخ، ولا لغة ولا ثقافة، مما دفع بعضهم لمحاولة التقرب من الثقافة التركية، التي كانوا يؤمنون بتفوقها.

كان الأكراد قد انتقلوا من تركيا، ليعيشوا

من جديد بين الأتراك، وكانت السلطات الألمانية تعاملهم كأتراك، ولا توفر لهم دورات لغة، أو أي رعاية اجتماعية، باعتبارهم أكرادًا، وزاد الطين بلة، أن عينت السلطات الألمانية موظفين أتراكًا للمساهمة في التعامل مع العمال القادمين من تركيا، فوجد الأكراد أنفسهم مضطرين إلى التعامل مع مسؤولين أتراك، حتى خارج تركيا.

حينما رأت الدول الأوروبية أن أعداد العمال التي جلبتها في خلال السنوات الماضية، يكفي لتغطية حاجتها، قررت في عام ١٩٧٣م وقف استقدام العمالة، وعندها بدأت نتيجة عكسية، إذ زادت أعداد الأتراك بصورة كبيرة جدًا، لخوف الأكراد من إغلاق الحدود أمامهم، واستغل العمال كل القوانين، فلجؤوا إلى قانون (لم الشمل)، والذي يعطي الشخص الحق في الحصول على إقامة لأفراد أسرته، ومن لم يكن من العمال قد تزوج بعد، بادر بإحضار زوجة من تركيا، حتى لا تضيع منه الفرصة، وأخرون استغلوا بنود قوانين اللجوء السياسي، التي كانت تعطي أي شخص الحق في تأليف قصة مزعومة، عن تعرضه للاضطهاد في بلاده، ليقدم طلبًا، فتوفر له السلطات السكن والعلاج، والملابس، وكل ما يحلم به، وتمنعه من العمل، وعندما يأتي الدور على طلبه، بعد مرور ثلاث سنوات على الأقل، وتحكم المحكمة المختصة برفض طلبه، يرفع استئنافًا على الحكم، يتطلب البت فيه عامين أخرين، يعود ليحصل فيها على كل المميزات، له ولأسرته، وبعد رفض طلبه ثانية، يكون أبناؤه قد قضوا خمس سنوات في المدارس الألمانية، واندمجوا في المجتمع، وأصبحوا غرباء على وطنهم الأصلي، فتقرر المحكمة رفض طلب اللجوء، ولكنها تمنع السلطات من ترحيل الشخص، وتفرض منحه حق العمل، وبعد مرور ثلاث سنوات، يثبت فيها قدرته على الاعتماد على نفسه في الحصول على دخل، يحصل على الإقامة الدائمة، وبعدها يحصل على الجنسية. كما اكتشف أخرون أن الدراسة في ألمانيا مجانية، ولا تحدد فترة معينة للانتهاء من الدراسة، فدخلوا الجامعة في العشرين من عمرهم، وبقوا فيها، حتى بلغوا الستين.

وبالتالي لم يحقق قانون وقف استقدام العمالة، خفض أعداد النازحين الجدد، من (العمال الضيوف)، بل على العكس أدى إلى ارتفاع أعداد القادمين من تركيا، ومن بينهم الأكراد، إلى معدلات قياسية، بحيث بلغ عددهم في ألمانيا وحدها عام ١٩٧٣م، حوالي مليوني عامل من تركيا.



وفي عام ١٩٨٠م وبعد حدوث الانقلاب العسكري في تركيا، غادر كثير من الأكراد أراضيهم في تركيا، وحاولوا الوصول إلى أوروبا الغربية، والبقاء فيها بأي وسيلة، كما تسبب تزايد أعمال الاضطهاد الذي تعرض له العلويّون، واليزيديون، إلى فرارهم إلى الخارج.

أكراد أم عرب

تشير بيرجيت أمّان في أطروحتها للدكتوراه، إلى أن أوضاع الأكراد في الدول العربية، لم تكن أفضل على الإطلاق، بل قام حزب البعث في أحدها بتكليف شخص اسمه محمد طلاب هلال، بوضع برنامج (لحل المشكلة الكردية)، في اثنتي عشرة نقطة، وهو البرنامج الذي اعتمدته بقية دول المنطقة، ولكن بدرجات متفاوتة، والذي نص على ما يلي:

* ترحيل الأكراد من مناطقهم الأصلية، إلى مناطق في داخل المدن المركزية، حتى يكونوا تحت المراقبة، وبحيث يمكن اجتثاث جذورهم من الأراضي الكردية، وحتى يسهل ذوبانهم وانصهارهم في مجتمع الأغلبية.

* محاولة فرض التخلف الثقافي عليهم، بوقف تعليمهم بلغتهم الكردية، بل وباللغات الأخرى، واعتبار أي دروس لهم، بمنزلة مخالفة القوانين، التي تنص على حظر التجمعات، والحيلولة بذلك دون قيام وعي بالهوية الكردية.

* ترحيل الأكراد من بلادهم، حتى يصبحوا معدومي الحقوق، وعلى رأسها حق المواطنة، بالتعاون مع حكومات دول الجوار، التي تسكن فيها أقليات كردية.

* فرض تدني الحالة الاقتصادية عليهم، عن طريق تفضيل أفراد مجتمع الأغلبية في الحصول على فرص العمل.

* انتهاج مبدأ (فرّق تسد)، وذلك بإشعال الخلاف بين الأكراد أنفسهم من ناحية، وبينهم وبين الجماعات العرقية الأخرى، من ناحية ثانية.

* إلغاء صلاحيات المؤسسات الدينية الكردية، وأن يستبدل بها مؤسسات دينية، موالية للحكومة.

* محاولة شق صفوف الأكراد، بالتركيز على إثارة النعرات بين سكان المناطق المختلفة، وتباين الأوضاع القانونية للجماعات الكردية، بتفضيل بعضها وحرمان بعضها الآخر.

* توطين تجمعات عربية معروفة بمعاداتها للأكراد، بسبب ما تتميز به هذه التجمعات العربية، من تردي

ونظرًا لعدم إلمام العمال الأكراد القادمين باللغة الأجنبية، التي يتحدث بها سكان الدول التي انتقلوا إليها، وتبريرهم ذلك دومًا بأنهم سيعودون يومًا إلى وطنهم، حدثت بينهم وبين المجتمع الجديد جفوة، بل وأحيانًا عداوة، بسبب جهل كل منهما بالآخر

الحالة الاقتصادية، وذلك في المناطق الحدودية، مع بقية دول الجوار، بحيث لا تقوم هوية كردية عابرة للحدود.

* تطبيق الخطط السابقة عن طريق عسكرة هذه المناطق، والانتشار الدائم للقوات المسلحة فيها.

* عسكرة المواطنين غير الأكراد في المناطق الكردية، وتزويدهم بالسلاح، وإشعارهم بأنهم يمثلون الدولة هناك.

* إلغاء جميع حقوق المواطنة لمن لا يتقن لغة الدولة.

* استبعاد منح أي حقوق قانونية للنازحين الجدد من الأكراد.

ومن المعروف أن بعض الحكومات، لم تتورع عن نزع ملكية الأراضي من الأكراد، دون مبرر قانوني، وتعريض الأراضي للبوار، وبناء عشرات السدود، ومحطات الكهرباء، في أراضيهم، وتعريض البيئة إلى أضرار لا يمكن علاجها، مثل تسميم ينابيع وعيون المياه، بحامض الكبريتيك، ورفع نسبة الملوحة في الأراضي الزراعية، وزرع الألغام في المناطق التي وقعت فيها مواجهات بين الأكراد وحكومات الدول التي يسكنون فيها.

أعداد الأكراد في كل أوروبا

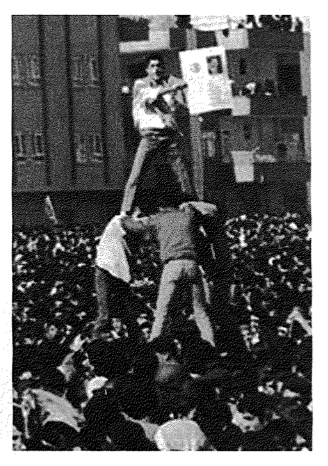
ساد انطباع لدى البعض في أوروبا، أن الأكراد يسعون للانتقال إلى أوروبا، وتأسيس كردستان بديلة في الخارج، إذ بلغت نسبتهم بين الأتراك الذين قدموا طلبات اللجوء السياسي في عام ١٩٨٩م، ما لا يقل عن ٦٠٪، وارتفعت

هذه النسبة في عام ١٩٩٧م إلى حوالي ٨٠٪، وكذلك تراوحت نسبتهم في سويسرا، ما بين ٧٠ ٪ و ٨٠٪، حصل منهم عام ١٩٩٨م حوالي ٥٠٪ على حق اللجوء، وارتفعت النسبة في نهاية التسعينيات، إلى ٧٤٪.

وكذلك الحال في فنلندا وبريطانيا، ففي مدة شهرين فقط من عام ١٩٨٩م، بلغ عدد الأكراد طالبي اللجوء حوالي ٣٠٠٠ شخص، كلهم من الأكراد العلويين، وبين ١٩٨٩م و١٩٩٥م قدم ١٠,٠٠٠ كردي طلبات لجوء إلى بريطانيا، وحصل ٣٠٪ منهم، فعلاً على حق اللجوء.

وفي آخر عامين من القرن العشرين احتل اللاجئون من العراق وتركيا، المرتبة الثانية إلى الرابعة في ٢٥ دولة أوروبية، وبلغ عدد الأكراد النازحين من إيران عندئذ حوالي ١٠٠,٠٠٠ في أوروبا كلها.

وتدل الإحصائيات على أن الفترة من ١٩٩٠م إلى ١٩٩٨م، قد جلبت أعدادًا غفيرة من الأكراد إلى أوروبا، بلغت في ألمانيا ٣٢,٠٠٠ شخص، وهولندا ٢٣,٠٠٠ شخص، والسويد ١٥,٠٠٠، واليونان ٩,٠٠٠، والنمسا ٦,٥٠٠، وبريطانيا ٥,٥٠٠، وفرنسا ٥,٥٠٠ . وإذا علمنا أن هناك حاليًا مليون كردي تقريبًا في أوروبا، عرفنا سبب تأثر أوروبا بأي أحداث تتعلق بالقضية الكردية، فهناك حوالي ٦٠٠,٠٠٠ كردي في ألمانيا، و٧٠,٠٠٠ في فرنسا، و٦٠,٠٠٠ في هولندا، و٣٠,٠٠٠ في سويسرا، و٤٠,٠٠٠ في بريطانيا، و٤٠,٠٠٠ في النمسا، و١٥,٠٠٠ في الدانمارك، و٣٠,٠٠٠ في السويد، و٤٠,٠٠٠ في بلجيكا، أغلبهم من إيران، و٢٥,٠٠٠ في اليونان وقبرص، و٨,٠٠٠ في إيطاليا، و٣,٠٠٠ في فنلندا، و٥,٠٠٠ في النرويج، و١٠,٠٠٠ في أوروبا الشرقية.



وبذلك يزيد عدد الأكراد في أوروبا على أي دولة غير إيران وتركيا والعراق وسوريا، فعددهم أكثر من أعداد الأكراد في لبنان، أو جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقًا.

الأوضاع المعيشية والطبقات الاجتماعية

وتتفاوت الأوضاع المعيشية لهؤلاء الأكراد في أوروبا، ففي حين يعيش ثمانية آلاف كردي في اليونان، حياة متواضعة للغاية في معسكرات للاجئين، تشكل الجالية الكردية في إيطاليا تجمعًا من الفنانين والرسامين، أما في أوروبا الشرقية، وبالتحديد في كل من: بلغاريا وبولندا ورومانيا والمجر، ويوغسلافيا السابقة، وتشيكوسلوفاكيا السابقة، فالأكراد عبارة عن دارسين، أو طلاب سابقين جاؤوا من العراق أو سوريا.

ويشير علماء الاجتماع الأوروبيون، إلى أنه كان طبيعيًا أن يتعرض كل الأكراد النازحين الجدد، إلى شعور بالغربة، وصراع بين الموروث، وبين القيم السائدة في مجتمعهم الجديد، والشعور بالانعزال بعيدًا عن الأسرة والقبيلة.

ونظرًا لعدم إلمام العمال الأكراد القادمين باللغة الأجنبية، التي يتحدث بها سكان الدول التي انتقلوا إليها، وتبريرهم ذلك دومًا بأنهم سيعودون يومًا إلى وطنهم، حدثت بينهم وبين المجتمع الجديد جفوة، بل وأحيانًا عداوة، بسبب جهل كل منهما بالآخر. ثم حدثت صراعات داخل الأسر الكردية، بعد التغير الذي طرأ بفعل الواقع الجديد، على مكانة المرأة، وعلاقة الأبناء بالوالدين، ولكن رغم التحاق الأبناء من الجيل الثاني والثالث بالمدارس الألمانية، إلا أنهم تأثروا بثقافة الأهل،

والأجداد، والتي كانت أحيانًا أكثر هيمنة، مما يتعلمونه في المدارس.

وقد دلت دراسات ألمانية، أجريت على عمال أكراد في الثلاثين من عمرهم، أن ٤٠٪ منهم حصلوا على الشهادة الابتدائية، وأن ٩٠٪ منهم يعملون في وظائف متدنية، لا تحتاج إلا إلى القوة البدنية فقط، وتبين أيضًا أن متوسط عدد الأطفال لدى الأسر الكردية أكثر من نظرائهم الأتراك، وأنه كلما ارتفع المستوى الثقافي للأهل، انخفض عدد الأطفال.

وفي استطلاعات للرأي لهم، تبين أن ٧٥.٣٪ يشكون من مشاكل في السكن، و٦٩.٣٪ لديهم صعاب في أماكن العمل، و٦٢.٦٪ يعانون مشاكل متعلقة بتربية الأطفال، واشتكى ٥١٪ من تعرضه لسوء المعاملة من المجتمع، وشعور ٢٧٪ منهم بالضياع والحيرة، و٣.٧٪ فقط، من نقص أماكن قضاء أوقات الفراغ. علمًا بأن ٨٨٪ منهم، يقضون وقت الفراغ في زيارة الأهل والأصدقاء، ومشاهدة برامج التلفزيون معًا.

ومن الناحية الأخرى توصلت دراسات على النساء التركيات والكرديات، إلى أن أكثر من نصف التركيات ولدن في المدن، مقابل غالبية عظمى من الكرديات في القرى، مع حرص الكرديات على ذكر القبيلة التي ينتمون إليها، وذكرت غالبية الكرديات أنها متزوجة من نفس القبيلة، وفي حين تعتنق الغالبية العظمى من التركيات في ألمانيا مذهب أهل السنة والجماعة، فإن ٥٧.٦٪ من الكرديات هناك، هن من أتباع الفرقة العلوية، وفي حين نشأت غالبية الكرديات في أسر يعمل الوالد فيها مزارعًا أو راعيًا للماشية، فإن ثلث التركيات فقط نشأن في كنف أب مزارع، وبلغت نسبة الأمهات الكرديات المزارعات، حوالي ٨٥٪، مقابل ٢٢٪ من الأمهات التركيات، اللاتي كن يعملن في الزراعة. وفي حين ذكرت ٦٦٪ من الكرديات أنهن لم يلتحقن بالمدرسة، كانت نسبة التركيات ٤٤٪. وتتزوج الكرديات في عمر يتراوح بين ١٤ و ١٧ سنة، أما التركية ففي عمر ١٥و ١٨ سنة. واتضح أن ارتباط المرأة الكردية بأسرتها أكثر من نظيرتها التركية، ولذلك انخفضت نسبة المطلقات بين الكرديات. وفي حين تحتك التركية بالمجتمع الألماني، تفضل الكردية البعد عن المجتمع الجديد، والاقتصار على المعارف والأهل من الأكراد.

الخلاصة

مليون كردي يعيشون في أوروبا، ربما يعودون إلى وطنهم، إذا عاد إليهم هذا الوطن، وربما فضلوا البقاء في الغربة، التي أصبحت وطنًا جديدًا لهم، ولعل الأم التي وصفت ابنها بأنه «كردي في البيت، تركي في الشارع، ألماني في المدرسة»، أو ما قاله شخص كردي في تعريف من الكردي؟، بأنه «الشخص الذي كان أبوه كرديًا» ثم عاد بعد عشر سنوات، ليقول «أعتقد أن الكردي، هو من يشعر في داخله أنه كردي، وليس بالضرورة من كان أبوه كرديًا»، لعل محاولات التعريف هذه، تبين التردد الذي ينتاب هذه الأقلية، التي يرفض الكثيرون منحها حق تقرير مصيرها.

عمومًا لا يستطيع أحد أن ينكر أن قبول الاتحاد الأوروبي بدء التفاوض مع تركيا على الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، كان مرتبطًا بمنح هذه الأقلية بعضًا من حقوقها، مثل بث برامج باللغة الكردية، ووقف انتهاكات حقوق الإنسان التي كانوا يتعرضون لها، وعندما يحين موعد انضمام تركيا إلى الاتحاد، سيكون جزء من أراضي كردستان، قد التحق بهذا الاتحاد، حتى إذا حصل الشعب الكردي على أراضيه، أصبحت كردستان كلها عضوًا في الاتحاد الأوروبي، الذي يدين له الأكراد بدعم مطالبهم، رغم ما قام به أتباع أوجلان، ولكن أوروبا تدرك جيدًا أن الشعب الكردي، أكبر بكثير من أوجلان وأتباعه، ولعلها لا تدري أنهم أحفاد صلاح الدين الأيوبي، وربما كان هذا أفضل!

المراجع

-Brigit Ammann: Kurden in Europa, Lit Verlag, Münster, 2000

- Guenther Deschner: Die Kurden - Volk ohne Staat, Geschichte und Hoffnung, Herbig Verlag, München, 2003

- Kurdische Studien, 1/(2001) 2, Lit Verlag, Münster 2001

- Ute Reissner: Die Rolle der Bundesregierung bei der Verhaftung Oecalans, Hrsg. Internationalen Komitee der Vierten Internationael, www.wsws.org

التعليم الأهلي وتحديات العصر



محمد بن أحمد الرشيد
وزير التربية والتعليم

لا يكتمل التعليم الأهلي حتى يكون حكوميًا، ولا التعليم الحكومي حتى يكون أهليًا! فكرة أمنت بها، ودعوت إليها، وسعيت إلى تحقيقها. فالتعليم الأهلي الذي لا تشرف عليه الحكومة بالتأكد من تكامل عناصره، وتوفر أسباب قوته، وأنه عامل رئيس في أن يكون معينًا ثقافيًا تربويًا نافعًا، وتسهم في دعمه، لن يؤتي الثمار المرجوة منه، والتعليم الحكومي الذي لا يتعاون معه الأهالي ويرفدونه بأوقاتهم وخبراتهم لا يستطيع أن يحلق إلى الآفاق العلى التي يطمح إليها.

تربط العاملين في وزارة التربية والتعليم بالعاملين في التعليم الأهلي صفتهم (التربوية) لا صفتهم (الربحية)، وحرصهم على مصلحة الوطن ومصلحة أبنائه وبناته في المقام الأول، لذا فإن منسوبي الوزارة هم للدعم لا لإعاقة المسيرة، وللتعاون لإنشاء المدارس (مراكز الإشعاع)، وإغلاق (المدارس الدكاكين) التي همها استقطاب (الزبائن الضحايا) من فلذات أكبادنا، صناع مستقبل البلاد، والمحافظين على سمعته ومكاسبه بعون الله وتوفيقه.

من هذا المنطلق فإن شعار (التعليم الأهلي وتحديات العصر) ينطبق انطباقًا كبيرًا على (التعليم الحكومي وتحديات العصر)، لأن التحديات هي التحديات، والتعليم هو التعليم، والطلاب والطالبات هم أنفسهم هنا وهنا، ويبقى الفرق هو في هامش المرونة الأوسع الذي يتحرك فيه التعليم الأهلي بحكم طبيعته وظروفه.

ما هي تحديات العصر؟

العولمة، انهيار الحدود والسدود، التقدم العلمي والتقني ذي التسارع المخيف، تهديد القويّ للضعيف في: هويته وشخصيته، وأمنه واستقراره، وأرضه وداره، وثرواته وخبراته... كل ذلك لا بد من مواجهته بالتربية القائمة على ركنين أساسيين: العلم النافع، والعمل الصحيح.

إذا أحببت أن أعدد أهم وسائل الصمود أمام تحديات العصر، والفوز في مباريات

التنافس الأممي، فإنني أذكر ما يأتي، معددًا مختصرًا:

١ـ تربية الأجيال على أسس ديننا الإسلامي الحنيف: عقيدة وعبادة، أخلاقًا وآدابًا، ويكون ذلك واضحًا جليًا في سلوكهم وممارستهم.

٢ـ توعية النشء بأهمية الوقت في حياة الأفراد والأمم، وتعليمهم كيف يحسنون الاستفادة منه، لأن وقتهم يعني: حياتهم.

٣ـ تعريف أبنائنا وبناتنا على القدرات الضخمة التي أودعها الله سبحانه فيهم، وتعليمهم كيف يستثمرونها بالشكل الأمثل.

٤ـ تعليمهم مهارات التفكير الصحيح، والتفكير الإبداعي.

٥ـ الاهتمام الشديد باللغة العربية لأنها أداة التفكير، ووسيلة التخاطب، ووعاء العلم، ولغة الوحي الخالد.

٦ـ التربية بلسان الحال ولسان المقال معًا، لا ينفك أحدهما عن الآخر، فالقدوة الحسنة تفعل في النفس ما لا تفعله الكلمات وحدها.

العاملون في وزارة التربية والتعليم ـ مصممون ـ بتوجيه من قيادتنا الرشيدة ـ على المضي قدمًا في دعم قطاع التعليم الأهلي، والتوجه الآن يتزايد في الاهتمام برياض الأطفال التي صدر قرار مجلس الوزراء الموقر بشأنها ونصه:

«أولاً: أن تكون رياض الأطفال مرحلة مستقلة بمبانيها وفصلها عن مراحل التعليم الأخرى.

ثانيًا: على وزارة المعارف (وزارة التربية والتعليم حاليًا) وضع خطة وبرنامج زمني يُعتمد في خطط التنمية للدولة للتوسع تدريجيًا في إنشاء رياض الأطفال في عموم أنحاء المملكة، مع الاستفادة من القطاع الخاص (التعليم الأهلي) في تحقيق هذا الهدف.

ثالثًا: بناء مناهج تربوية فاعلة لرياض الأطفال تحقق أهداف هذه المرحلة..».

ومن المسائل التي أرجو أن نوفق في تحديد معالمها في هذه القضية هي:

١ـ تحديد العمر الذي يلتحق فيه الطفل في الروضة.

٢ـ تحديد المدة المناسبة التي يقضيها الطفل في الروضة، مثلاً: سنة أم سنتين؟.

٣ـ تحديد البرامج والأنشطة، ونوعية الرعاية التي تقدم للأطفال.

٤ـ تحديد مؤهلات وكفايات المربيات والعاملات في هذا الميدان.

٥ـ تحديد المواصفات المطلوبة في الإدارة.

٦ـ تحديد مواصفات المباني تحديدًا دقيقًا.

٧ـ تحديد التجهيزات اللازمة تحديدًا دقيقًا.

٨ـ تحديد متوسط عدد الأطفال في الفصل الواحد.

لا بد أن يكون دور الوزارة دور المشرف المشاور، والمرشد المعاون، (وقد) تقدم الدولة معونة مادية في بعض الظروف والأحوال.

هذه بعض من الرؤى ـ أحببت أن أطرحها على القراء أملاً أن يسهم كل مهتم في إغنائها، وعلينا أن نتكاتف وأن نضاعف الجهود مريدين مرضاة الله أولاً، ثم إعزاز وطننا وإرضاء ضمائرنا، لنحقق قفزات حضارية نوعية لا يمكن تحقيقها ـ بعد عون الله ـ إلا بتعاون واضح بين القطاعين الأهلي والحكومي، لأننا من صناع المستقبل ـ بتوفيق الله ـ وعلينا أن ننظر أي مستقبل نريد.

موجودة في كثير من دول العالم ، وغير موجودة في السعودية ! :

الأكاديميات المتخصصة للموهوبين

عبدالله الجغيمان -الأحساء

*اختصاصي في علم النفس والتربية .

قبل سنتين تقريبًا.. قمت بزيارة مدينة الدمام الساحلية في جولة إشرافية لبرامج رعاية الموهوبين. عرض عليَّ معلم رعاية الموهوبين في إحدى المدارس حالة طلابية جديرة بالاهتمام. عبدالرحمن، طالب نجيب أريب عجيب، لديه استعدادات عقلية منطقية عالية؛ لم يمض على بداية الفصل سوى أسبوعين، ومع هذا أبدى عبدالرحمن قدرة عالية على حل جميع المسائل الرياضية التي يحملها الكتاب المدرسي بين دفتيه...، كما أن لديه قدرات عقلية إبداعية مثيرة للاهتمام؛ لديه أسئلة متتابعة وغريبة بعض الشيء، ويملك ايضًا القدرة على الخروج بإجابات متعددة لمسألة واحدة... ماذا عسى معلم الرياضيات أن يقدم له بقية هذا الفصل؟ علامة استفهام منطقية أضاءت في عقل المعلم بل وتضيء في عقل كل متدبر لمثل هذه القضية.

المعلم وهذا الطالب..

هل مثل هذه الحالة شاذة؟ وبالتالي يجب ألا تسترعي الانتباه!! هذا تصور يحمله بعض المتابعين والمعلمين والتربويين، بل بعضهم يترجم هذا التصور إلى سلوك محاولة منه لاستيعاب المشكلة. عرضت هذه الحالة على فريقين؛ الأول عدد من المعلمين، والثاني عدد من الأكاديميين والمشرفين التربويين. النتيجة العجيبة التي خرجت بها أنه وعلى الرغم من التباين الجلي بين مجموع استجابات الفريقين، فإنهما يتفقان من حيث الزاوية التي ينظرون من خلالها إلى هذه المشكلة.

فريق المعلمين تركزت استجاباتهم حول: «إشغال» الطالب خلال وقت الحصة الدراسية ببعض المهمات «الإنسانية» لمساعدة المعلم في تصحيح الواجبات والمسائل الرياضية للطلبة، أو في مساعدة بعض الطلبة على فهم بعض المفاهيم الرياضية. أما الفريق الثاني فتركزت استجاباتهم حول: «مكافأة» الطالب على هذه القدرات العالية من خلال تكليفه ببعض المهمات «الاجتماعية» كقيادة مجموعة من الطلبة في المجموعات التعاونية في أثناء استخدام أسلوب التعلم التعاوني، أو من خلال حثه على المشاركة في مجموعات النشاط العلمي داخل المدرسة.

من الواضح أن معظم استجابات الفريقين تركزت حول معالجة المشكلة من زاوية «المعلم»، فيما كان هناك إغفال واضح في: البحث عن أفضل الطرق لمساعدة عبدالرحمن على التعلم بصورة أفضل وأعمق، البحث عن أفضل الطرق لتنمية قدرات عبدالرحمن العقلية، البحث عن أفضل الطرق ليستفيد عبدالرحمن من قدراته، والبحث عن أفضل الطرق لاستثمار قدرات عبدالرحمن فيما يفيد حاضر المجتمع ومستقبله.

سباق رياضي وآخر علمي

لماذا تركزت الاستجابات في مضمونها غير المصرح به حول: كيف نؤخر تعلم عبدالرحمن في مهارات الرياضيات حتى يلحق به زملاؤه؟ لو قيل لأحدهم إن مدربًا لسباقات الجري يُجبر أميز اللاعبين لديه ذا القدرات العالية أن يهدئ من سرعته في أثناء الجري ليتساوى معه بقية اللاعبين، وذلك للمحافظة على الجو الاجتماعي فيما بينهم، وأنه -المدرب- دائمًا ما «يشغل» جل وقت هذا اللاعب المتميز في «مساعدة» بقية اللاعبين على تحسين أدائهم، وذلك «مكافأة» له على تميزه. ماذا عسى آراؤهم حول هذا المدرب أن تكون! ألا تشعر كما أشعر أن هذا المدرب وذاك المعلم يعملان على إحباط قدرات اللاعب والطالب بأسلوب تدريجي؟! ألا تتحسر كما أتحسر على الخسائر الفادحة التي سيتكبدها المجتمع جراء فقدان مثل هذه الطاقات؟! ألا تضرب كفًا بكف ثم تسند رأسك إلى الوراء

سابحًا في أجواء الخيبة والأسى، كما أفعل حينما أتفكر في هذه القدرات المهملة وهذه الطاقات المهدرة؟! ألا تتساءل كما أتساءل: لم لا يكون لمثل هؤلاء الطلبة برامج خاصة؟! لم لا يكون لهؤلاء إعداد خاص ومركز ومتابع وموجه لخدمة أهداف واضحة جلية تتمحور حول بناء مستقبل هذا المجتمع ورخائه وتقدمه؟!

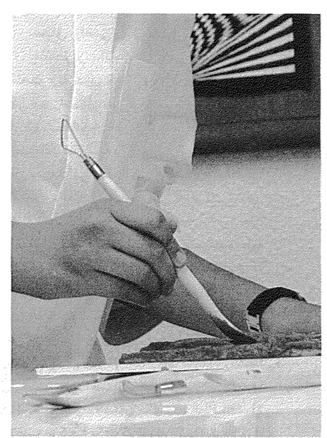
قدرات عقلية غير تقليدية

دعني أتحدث إليك قليلاً عن نوع الطلبة الذين يمثلهم عبدالرحمن في هذا المقال. عبدالرحمن لا يمثل مجموع الطلبة الموهوبين عمومًا ممن يمتلكون قدرات عقلية تفوق مستوى قدرات أقرانهم بقليل، والتي قد تكفيهم برامج إثرائية متقطعة في داخل المدرسة العادية. وإنما أريد هنا الحديث عن تلك الفئة الخاصة من الموهوبين ممن يمتلكون قدرات عقلية عالية جدًا لا تستوعبها أبدًا إمكانات الصفوف الدراسية المادية والبشرية، بل ولا حتى برامج الموهوبين التقليدية المتقطعة داخل المدارس العامة. هم - باختصار شديد- من يشعر المعلم تجاههم أنهم منافسون حقيقيون له في فهم المحتوى العلمي، بل هم أولئك الذين يشعر المعلم المخلص دومًا بقلق شديد حول مدى الإضافة التي يمكن أن يقدمها لهم: «ماذا عساي أن أقدم له؟» استحضر معي في ذهنك الطالب عبدالرحمن؛ هو طالب موهوب بلا شك، يمتلك قدرات عقلية عالية تؤهله للتمكن من المحتوى العلمي للمقررات الدراسية في وقت أقصر بكثير من أقرانه، وفي الوقت نفسه لديه القدرة العالية على تحصيل موضوعات علمية تتسم بدرجة عالية من التعقيد والتجريد. هذا التميز الذي أظهره عبدالرحمن لم يكن في مقرر الرياضيات فقط- وإن كان فيه أكثر وضوحًا- بل تعدى ذلك إلى مقررات أخرى مثل أفرع العلوم وغيرها، وتجلى واضحًا في مستوى الأسئلة التي يطرحها، وطبيعة الموضوعات التي يتناولها.

عبدالرحمن ليس حالة فريدة من نوعها، بل هناك عدد غير قليل من الطلبة ممن لديهم مثل هذه القدرات أو تزيد موزعون في أنحاء متفرقة في قرى ومحافظات ومناطق المملكة، وقد اطلعت على عدد من تلك الحالات التي لو قُدّر أن يوفر لها الرعاية المناسبة لقدراتها لتغير وجه المجتمع ككل في عقد أو عقدين من الزمان على الأكثر.

طائرة نفاثة لم تعتد الطيران أبدًا

اعترض عليّ مرة أحد المعلمين المخضرمين عندما سمعني أتحدث عن مثل عبدالرحمن، وقال لي بصوت هادئ رزين وابتسامة جميلة مشرقة مضيئة قد أحاطها شعر وجهه الأبيض الوقور: «لي في مجال التربية والتعليم ما يزيد على ثلاثين سنة، درّست خلالها أجيالاً وأجيالاً في صفوف دراسية متنوعة بين المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ولم أر ممن تتحدث عنهم إلا قليلاً وقليلاً جدًا، وهؤلاء القلة لم يكونوا قط مشكلة، بل هم دومًا سعداء بإنجازهم، ومصدر سعادة لمعلميهم، فلمَ كل هذا التضخيم؟ ...» شكرته كثيرًا على تعليقه، الأستاذ صالح بحق استرعى انتباهي إلى قضية أن المشكلة التي أتحدث عنها خفية غير ملموسة، كامنة غير مشهودة بالعين المجردة، إن لم تُنكش لن تعلم، وإن تُركت لن تسترعي انتباه أحد. ذكّرني هذا المعلم الوقور بنتائج بعض الدراسات العلمية، والتي تشير إلى أن كثيرًا من الطلبة الموهوبين يصابون بالخمول الذهني تدريجيًا نتيجة عدم مواءمة ما يقدم لهم من مناهج دراسية لمستوى قدراتهم العقلية، وبالتالي تبدو هذه القدرات في المراحل الدراسية المتأخرة غير ملفتة



للانتباه. وبعبارة أخرى تقريبية قياسية، تضمر قدراتهم العقلية الفتية كما تضمر عضلات المتسابقين المهرة عندما يتراخى مدربهم عن توفير فرص تدريبية لهم تتوافق وقدراتهم العضلية.

إحصاءات مزعجة

الأستاذ صالح كان يتحدث عن طلبة يحققون نتائج متميزة، فسعدوا بذلك التميز، وانشرح صدر معلميهم بهذا التفوق الذي ساعدهم على رفع مستوى الرضا عن أنفسهم أن كانوا جزءًا من هذا التميز، ظنًا منهم أنهم سبب رئيس فيه. ولا أشك أن للمعلم دورًا كبيرًا في تميز طلبته، إلا أن تميز طالب مثل عبدالرحمن ليس لجهد المعلم دور كبير فيه، بل أكثر من ذلك، أشار عدد غير قليل من الدراسات العلمية أن الطلبة ذوي القدرات العقلية العالية جدًا لا يبذلون سوى ما يقارب ٥٠٪ أو أقل من طاقاتهم لتحقيق التميز الباهر في عين معلم الصف العادي. أما عن الوقت الذي يقضيه أمثال عبدالرحمن في الحصة الدراسية في المدارس العادية، فتشير الدراسة الطولية التي أجرتها العالمة الأمريكية Hollingsworth إلى أن نسبة الوقت المستثمر الذي يمكن أن يستفيد منه ربما لا تتجاوز في أحايين كثيرة ٢٠٪ إلى ٣٠٪ من إجمالي وقت الحصة، بعبارة أخرى ٧٠٪ إلى ٨٠٪ من وقت عبدالرحمن في المدرسة يذهب هدرًا. وبمعنى ثالث ٧٠٪ إلى ٨٠٪ من طاقات وقدرات أمثال عبدالرحمن لا يتم استثمارها لأنفسهم أو لمجتمعاتهم. وإذا ما علمنا أن القدرات البشرية تنمو بشكل مستمر، وأن نسبة نمو قدرات الطلبة النابهين تزيد على أقرانهم في العمر الزمني بمراحل عديدة خصوصًا في سني العمر ما دون العشرين سنة، إذا ما علمنا ذلك فإننا نتلمس فداحة المشكلة وعظم آثارها السلبية ليس في حدود المحيط الشخصي للطالب، بل وتتعداه إلى فقدان المجتمع لخدمات جليلة وإضافات مؤثرة من الممكن أن تغير الوجه الذي تبدو فيه أي أمة.

تضحية بالقدرات أم كمون طويل

الأستاذ صالح كان يتحدث عن فئة واحدة فقط من فئات الموهوبين ذوي القدرات العقلية العالية جدًا، هذه الفئة تتم ملاحظتها بسهولة، وتحقق إلى درجة معقولة نجاحات جيدة على المستوى التحصيلي المدرسي، لكن المشكلة الكبرى أن هناك فئة أخرى من الموهوبين لا تقل استعداداتهم العقلية عن مستوى استعدادات عبدالرحمن وأمثاله، فئة أخرى ليس لها من التوهج

على إثر ذلك خرجت إلى الوجود أربع أكاديميات متخصصة مرتبطة بأكبر الجامعات الروسية وعشرات من المدارس غير التفرغية في أوائل الستينيات تحت عنوان رئيس وهدف واضح أطلق عليه في حينه «إعداد قادة علماء العالم القادمين»، بسرعة خاطفة حققت هذه الأكاديميات نجاحات عديدة وسمعة واسعة مما دفع عددًا من الدول التابعة والمنافسة إلى نسخ هذه الفكرة

الأكاديمي ما يشفع لها أن تلقى قدرًا من الاهتمام المدرسي أو الأسري بها، فئة أحسن ما يقال فيها أنها من ضمن شريحة كبيرة من الطلبة إن حضرت لم تذكر، وإن غابت لم تفقد. هذه الفئة وإن امتلكت استعدادات عقلية مرتفعة إلا أنها آثرت أن تنزوي وسط الزحام فلا تعرف، وترضى بقليل جهد فلا تذكر، ونسيت مع مرور الزمن أن لها قدرات فريدة كان الأجدر أن تستثمر.

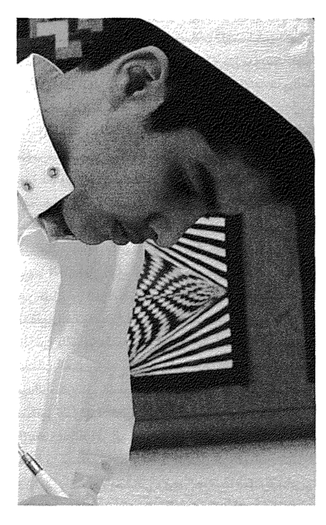
سالم .. وما أدراك ما سالم

هذه الفئة يمثلها في ذاكرتي طالب اسمه سالم، بدأ حياته المدرسية بحماسة ورغبة شديدة. دخل إلى المدرسة وقد أجاد وهو ابن ثلاث سنوات ونصف القراءة، وفي الخامسة أتقن الكتابة، وقبل السابعة أجاد الجمع والطرح وبعض جداول الضرب. الأسبوع الأول والثاني في المدرسة كانا ماتعين له من الناحية الاجتماعية، وبعدها بدأت أوجاع البطن تنتابه. الحقيقة أن أوجاع البطن لم تكن سوى ترجمة طبيعية لما عجز لسانه أن يعبر عنه من شعور بالملل والإحباط. حاول مرارًا أن يستمتع بوقت الحصة الدراسية ولكن لا فائدة، مازال المعلم يقول: «رددوا معي أَ إِ أُ». بالله عليك ما الذي تشعر به عندما تستمع إلى قصة للمرة الثانية أو الثالثة، أو ما الذي تحاول أن تفعله عندما يبالغ أحدهم في شرح فكرة لك تعرفها منذ زمن وأنت في الوقت نفسه مضطر للبقاء لتستمع له؟

ألا تشعر بحاجة إلى الهرب؟ ألا تشعر بحاجة إلى التقيؤ؟ هذا ما حدث لسالم. أخبرني والده مرارًا عن عبارة دائمًا ما يرددها سالم مفادها: « المدرسة مملة... نحن نذهب إلى هناك ولا نعمل شيئًا سوى الجلوس على المقعد..». الملل الذي يعانيه سالم انتقل معه إلى الصف الثاني، وبطبيعة الحال ينتقل هذا الملل ليولد عدم رغبة في حل الواجبات المدرسية، لا لشيء وإنما لتفاهتها بالنسبة له، وإذا اضطر إليها إما لقسوة أستاذ أو إصرار والدين، فإن الأمر لا يكلفه وقتًا طويلاً فالقضية كلها إعادة كتابة ما هو مقيد بجلاء في الكتاب المدرسي. اعتاد سالم أن يجتاز المرحلة تلو المرحلة دون أن يشعر بمتعة الدراسة، فالصورة في ذهنه راسخة أن المدرسة مملة، وبالتالي فهو في غير حاجة إلى التميز فيها لأنها وببساطة «لاتهمه». مع تقدمه في المراحل الدراسية، سالم في أعين معلميه طالب متوسط المستوى، متوسط القدرات، ينجح ولكن دون تميز، فقدراته بالنسبة لهم ليست بالمتوهجة. تصور معلميه عنه انعكس بدوره إلى تصور سالم عن نفسه، فهو عند نفسه طالب لا يخاف الرسوب، ولكنه أيضًا لا يطمح إلى التميز. قدرات سالم مع مرور الوقت أصبحت كامنة، حيث نسي أو تناسى أن لديه موهبة.

كنز مهجور

الأستاذ الوقور صالح لا يعد أبدًا أمثال الطالب سالم من الطلبة المتميزين لديه، ولم يكونوا مصدر سعادة له قط فيما يتعلق بتحصيلهم المدرسي. وهم - أي أمثال سالم - لا يشكلون مشكلة بالنسبة له كون قدراتهم كامنة، فمن أين له أن يتعرف عليها ولا انعكاسات لها تتمثل في التفوق المدرسي. لتستطيع أن تتعرف على قدرات سالم الآن وهو في آخر سنة من المرحلة المتوسطة، أنت بحاجة إلى أن تزيل أكوامًا وترسبات من الأتربة والمخلفات الذي خلفتها تراكمات الزمن فطمست بريق الذهب. هذه الملاحظات في حياتنا المدرسية اليومية تؤيدها نتائج عدد من الدراسات العلمية التي تشير إلى أن هناك



نسبة كبيرة من الموهوبين - تختلف هذه النسبة باختلاف البيئات التربوية في المجتمعات المختلفة - قد تصل في أحايين كثيرة إلى ٢٠٪ تصاب قدراتهم بكمون يصعب معه التعرف عليها إلا من خلال عدد كبير ومتنوع من أدوات القياس العلمية الكمية والنوعية.

إننا أمام فئتين من الموهوبين ذوي القدرات العقلية العالية: الأولى تميزت على المستوى الأكاديمي، إلا أن هذا التميز لا يعدو أن يكون شكليًا إذ لا يعبر بأي حال من الأحوال عن مستوى قدراتهم الحقيقية. الثانية هجرت عقولها وقدراتها الحقيقية حتى نسيتها فتاهت في زحام العدد الأكبر من الطلبة، فلم تعرف ولم تميز. وفي كلتا الحالتين، الكنز الحقيقي الذي يمتلكه هؤلاء الطلبة لم يكتشف وبالتالي لم يستثمر.

عصر التخصص المبكر

تنبه العالم المتطور ماديًا في وقت مبكر من القرن الميلادي السابق إلى أهمية وفاعلية ما يسمى بالتخصص المبكر لذوي القدرات العالية في أي مجال مهم من مجالات الحياة. أبطال الأولمبياد على سبيل

المثال، يتم إعدادهم لمثل هذه التظاهرة من سني أعمارهم المبكرة، حتى إن مقولة اشتهرت لدى القائمين على مثل هذا الإعداد مفادها: «أن من لم يتم تقديم الرعاية المتخصصة له في مرحلة مبكرة قبل بلوغه الثالثة عشرة لا يمكن أن يكون بطلاً أولمبيًا مهما كانت استعداداته.» وقياسًا على ذلك، كانت هناك نداءات عديدة لتقديم الرعاية المتخصصة لذوي القدرات العقلية العالية في وقت مبكر، وذلك لتحقيق هدفين رئيسين هما:

الأول: يتعلق بالطالب نفسه؛ إذ هو أحوج ما يكون إلى إشباع استعداداته العقلية والاجتماعية المتمثلة في الاحتكاك بأقران يضاهونه في القدرات ومستوى التفكير.

الثاني: يتعلق بالمجتمع؛ إذ هو أحوج ما يكون إلى الاستفادة من قدرات أفراده وخصوصًا النابهين منهم إلى أقصى درجة ممكنة ليحقق لمجموع أفراده أقصى قدر ممكن من الرقي والتقدم والمنافسة الحضارية العالمية.

قصة البداية

ظهر العالم بصورة مختلفة في نهاية الخمسينيات بعد الألف والتسع مئة عندما بدأت مجموعة من العلماء المتميزين في الرياضيات والعلوم والتربية في الاتحاد السوفييتي البائد بالتوقيع على خطاب مفتوح مطالبين بافتتاح أكاديمية خاصة للطلبة الموهوبين في المرحلة الثانوية، إلا أن هذه المطالبة لم تلق آذانًا صاغية لدى الحكومة، ولكن بعد أن تبنى هذه الفكرة العالم السوفييتي الشهير صانع أول قنبلة نووية لم يسع سياسيي الكرملين أن يتجاهلوا هذا المطلب بالرغم من كلفته المادية. على إثر ذلك خرجت إلى الوجود أربع أكاديميات متخصصة مرتبطة بأكبر الجامعات الروسية وعشرات من المدارس غير التفرغية في أوائل الستينيات تحت عنوان رئيس وهدف واضح أطلق عليه في حينه «إعداد قادة علماء العالم القادمين»، بسرعة خاطفة حققت هذه الأكاديميات نجاحات عديدة وسمعة واسعة مما دفع عددًا من الدول التابعة والمنافسة إلى نسخ هذه الفكرة، فنشأت في الصين برامج خاصة للطلبة الموهوبين في الرياضيات والعلوم مع أوائل عام ١٩٧٨م إثر دراسات عديدة حول أثر هذه البرامج، تطورت فيما بعد إلى أربع أكاديميات داخلية في الرياضيات والعلوم عام ١٩٩٢م، يطلق عليها المدارس المفتاحية، ولم تكن الفكرة بعيدة عن أعين الأمريكان المترقبين لكل ما يحدث في الاتحاد السوفييتي. فبعد دراسات متعمقة من قبل Stanley ورفاقه حول المنهج السوفييتي في تدريس الرياضيات والعلوم وبخاصة البرامج التي تقدمها الأكاديميات، خرج بتوصيات مهمة أثارت ضجة في حينها تشير إلى أن افتتاح أكاديميات للعلوم والرياضيات في الولايات المتحدة مسألة تتعلق بمستقبل الأمة الأمريكية. وبالفعل بدأت أول أكاديمية للموهوبين في مجالات العلوم والرياضيات في ولاية نورث كارولاينا في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٠م، وبعدها انتشرت هذه الفكرة في مواطن متعددة في الولايات المتحدة ومنها إلى كثير من دول العالم مثل: إسرائيل وكوبا وكندا والأردن، وعدد من الدول الأوروبية، وأخيرًا بريطانيا وكوريا الجنوبية.

الحاجة ملحة

هذه الأكاديميات أحد أنماط البرامج التي يمكن أن تقدم لأمثال عبدالرحمن وسالم في بلادنا وهناك غيرها، المهم أن نبدأ العمل بإرادة قوية، ومنهجية علمية، مستعينين بالله عز وجل أولاً ثم بهمم الرجال والنساء أولي العزم متمعنين في النظر، متأنين في العمل، فنحن بحاجة إلى أعين الحكماء، كما أننا بحاجة إلى عزيمة الشباب. أنا لا أشك أبدًا في وجود طاقات بشرية عالية الجودة فيما بيننا تضاهي أعلى المعايير والمواصفات العالمية إن لم تتفوق عليها، إلا أن المشكلة ليست في انعدام وجودها ولكن في صناعتها. إن من فضل الله عز وجل على البشرية وكمال عدله أنه لم يختص جنسًا ولا لونًا ولا عرقًا بقدرات عقلية عالية دون الآخرين، ولكن الشعوب والأمم تتنافس في تلمس هذه القدرات في أفرادها وتحمل مسؤولية بعثها، ومن ثم تهيئة البيئة المناسبة لصناعتها واستثمارها. لا يوجد شعب محكوم عليه أن يبقى في أذيال الحضارة، مقتات على فتات موائد الأمم، مستعبد مدى الزمن إلا بمحض اختياره علم ذلك أم لم يعلم. فهل من إرادة للكشف عن الكنز الذي لا ينضب؟! وهل من إرادة لاستثماره حيث لن نخسر؟! ■

كيف تصبح معلم قراءة فعّالاً؟

محمد سالم* ـ الرياض

* كلية التربية ـ جامعة الملك سعود .

يواجه أطفال القرن الحادي والعشرين تحديات كبيرة تتطلب منهم استخدام القراءة والكتابة بأشكال مختلفة. في الوقت الذي يتطلب فيه من المعلمين تعلم طرق جديدة لتدريس القراءة والكتابة لإعداد طلابهم للمستقبل. فبإمكان المعلمين أن يحدثوا تغييرًا في حياة الأطفال. هذا المقال صُمم ليساعد المعلمين ليصبحوا معلمي قراءة فعّالين. فقد قام الباحثون بفحص وتجريب العديد من الممارسات التدريسية، وتوصلوا إلى استنتاجات بشأن الطرق الأكثر فعالية في تدريس الطلاب عمليات القراءة والكتابة، إضافة إلى استعمالها كأدوات للتعلم.

ولنبدأ بتعريف مصطلح «لترسي» Literacy، فهو يستخدم للدلالة على معرفة القراءة، لكن هذا المصطلح قد تم توسيعه ليشمل القراءة والكتابة معًا. ولذلك أصبح يعني في الوقت الحاضر «القدرة على إتمام المهام المعقدة باستخدام القراءة والكتابة المرتبطة بعالم العمل والحياة خارج المدرسة» (Cases in Literacy, 1989,p.36)، ويُعرّف المعلمون هذا المصطلح تعاريف مختلفة، حيث يعتقدون أنهم سيحتاجون إليها في القرن الحادي والعشرين. فاعتمادنا مثلاً على الراديو والتلفاز في نقل الأفكار قد نبهنا إلى أهمية «اللغة الشفهية»، وهي القدرة على التعبير وفهم اللغة المتحدث بها. ومن هذه التعريفات: القراءة والكتابة المرئية «Visual Litera-cy»، ويعني القدرة على ابتكار المعنى من خلال الرسوم الإيضاحية. وهذا النوع من تعليم القراءة والكتابة يلقى اهتمامًا بالغًا.

وقد استخدم مصطلح القراءة والكتابة «Literacy» استخدامات مختلفة، وذلك من خلال الحاسب الآلي، ومن خلال العلوم والرياضيات، حيث يتكلم الطلاب النصوص العلمية والرياضية. وفي عام ١٩٨٧م دعا هيرسش Hirsch إلى تعريف آخر لهذا المصطلح يدعى ثقافة القراءة والكتابة «Cultural Literacy»، وذلك لتعريف الأطفال الأفكار العظيمة والمثاليات من الثقافات السابقة، والتي تحدد وتشكل طبيعة المجتمع الحالي. ومع ذلك فإن مصطلح القراءة والكتابة «Literacy» ليس قانونًا يُقرأ من كتب معينة أو مفاهيم تعرف، وإنما أداة وطريقة قادمة لمعرفة العالم، ووسيلة للمشاركة بشكل كامل في المجتمع.

وتُعد القراءة والكتابة عمليتين من عمليات بناء المعنى. إلا أن الأطفال في بعض الأحيان يصفون القراءة بأنها نطق الكلمات بشكل صحيح، والكتابة بأنها وضع جميع الحروف بشكل منظم، لكن عندما يطبقون ذلك فإنهم يركزون على الملامح السطحية فقط للقراءة والكتابة. وفي الواقع فإن القُرّاء يتوصلون لمعنى الكلمات في الكتاب الأساس معتمدين على معرفتهم وخبرتهم الذاتية. وبالمثل يقوم الكتّاب بأخذ الأفكار وتنظيمها معتمدين على معرفتهم بالتهجي والقواعد ليعبروا عنها على الورق أو على شاشات الحاسب الآلي. ويُعد الوعي الصوتي وحل الرموز والقراءة بصوت غير مسموع جزءًا من أجزاء القراءة، لكن جوهر القراءة هو خلق وابتكار المعنى. وفي الوقت نفسه فإن التهجي والكتابة بخط اليد، واستخدام الحروف الكبيرة بدقة، وبشكل صحيح جميعها من أجزاء الكتابة ولكن بدون أفكار مهمة للاتصال.

ومن خلال البحوث التي أجريت خلال السنوات الخمس والعشرين الأخيرة، ومن خلال الممارسات الفعالة التي استخدمت من قبل المدارس الجيدة نستطيع أن نجيب عن

السؤال التالي:

من هو معلم القراءة الفعّال؟

معلم القراءة الفعال يكوّن مجتمعًا قرائيًا داخل فصله:

تُعد غرف الصف الدراسي الخاصة بالقراءة، مواقف اجتماعية من خلالها يقرأ الطلاب ويناقشون ويكتبون في الأدب. وبتعاون المعلم مع الطلاب ينشأ مجتمع فصلي، وهذا النوع من المجتمع يؤثر تأثيرًا قويًا في تعليم الطلاب وفي تطلعاتهم؛ فالمعلم الفعّال في القراءة يؤسس مجتمعًا من المتعلمين، من خلاله يكون لديهم دافعية للتعلم حتى يندمجوا بشكل فعال في أنشطة القراءة والكتابة. ففي المجتمع الفصلي تكون الشراكة التي من خلالها يبتكر المعلم وطلابه، ويعمل الطلاب كعائلة واحدة يحترم كل عضو فيها الآخر، ويشجع كل منهم الآخر، ويدعمون تعلم بعضهم البعض.. وذلك من أجل أعمال جيدة مشتركة تهم المجتمع آخذين في الاعتبار الفوارق بين مستأجر ومالك المنزل، بمعنى أنه في مجتمع الفصل يعُد الطلاب والمعلم أنفسهم مالكين للفصل، آخذين على عاتقهم تحمل المسؤولية سواء في تعلمهم أو في تصرفاتهم بشكل تعاوني من عمل للواجبات، وإعداد لأوراق العمل واهتمام بالفصل... إلخ. على عكس الفصل التقليدي الذي يعتبر الطلاب والمعلم أنفسهم مستأجريه في العام الدراسي. وهذا لا يعني أن المعلم يتخلى عن مسؤولياته للطلاب في المجتمع الفصلي بل يمارس دوره كمرشد، وموجه، ومعلم، ومراقب، ومدرب، ومسجل لطلابه. وبالرغم من مشاركة الطلاب له هذه الأدوار فإن المسؤولية الكبرى تبقى في يد المعلم.

وللمجتمعات الفصلية خصائص عشر مرتبطة بالتعلم، وتدعم تفاعل الطلاب مع الأدب تذكرها «جيل تومبكنز» Gail Tompkins على النحو التالي:

* **المسؤولية**: الطلاب مسؤولون عن تعلمهم وسلوكهم وإسهاماتهم داخل الفصل، حيث يرون أنفسهم ذوي قيمة وأعضاء مشاركين بفعالية في المجتمع الفصلي.

* **الفرص**: للطلاب فرص للقراءة والكتابة لأغراض ذات أهمية، فهم يقرؤون كتبًا حقيقية، ويكتبون لجمهور حقيقي، لزملائهم، وآبائهم، وأجدادهم، ولأعضاء المجتمع، ونادرًا ما يستخدمون كتب التمارين.

* **المشاركة**: يُدفع الطلاب للتعلم والمشاركة الفعالة في أنشطة القراءة والكتابة. ولديهم ميول لكتب يقرؤونها، ولذلك يختارون ما يقرؤون، مبينين كيف يستجيبون للكتب، وأي مشاريع قرائية أو كتابية سينهجون.

* **التوجيه**: يزود المعلمون الطلاب بأدلة توجيهية عن مهارات واستراتيجيات القراءة والكتابة، في حين يلاحظ الطلاب ذلك آخذين بالتوجيهات للمشاركة من أجل تعلم أفضل ما يفعله القُرَّاء والكتّاب.

* **المخاطرة**: يُشجع الطلاب لاكتشاف الأفكار والموضوعات، ويخاطروا بدلاً من التركيز فقط على الإجابات الصحيحة. ويقوم المعلمون بتطوير اختياراتهم



عن طريق مهارات واستراتيجيات جديدة.

* **التعليمات:** يُعد المعلمون قراء وكتابًا خبراء، وذلك ما يتيح لهم تقديم تعليمات للطلاب من خلال بعض الدروس تخطط وتدرس لمجموعات صغيرة، أو للفصل كاملاً، أو بشكل فردي ليتمكن الطلاب من تحقيق مشاريع قرائين وكتابين لها معنى.

* **الاستجابة:** يكون للطلاب فرص للاستجابة بعد القراءة من خلال المشاركة حول انطباعاتهم عن القصص التي قرؤوها. وذلك من خلال الكتابة في سجل الأداء القرائي، والمشاركة في حوارات، ويسألون ويتنبؤون بنهايات القصص ما يعمق استيعابهم. وعندما يكتب الطلاب فإنهم يتبادلون مسودات كتاباتهم التحضيرية من أجل التغذية الراجعة حتى يتسنى لهم المواصلة ونشر كتاباتهم وعرضها على زملائهم وعلى جمهور حقيقي.

* **الاختيار:** غالبًا ما يختار الطلاب الكتب التي يقرؤونها، والموضوعات التي يكتبون فيها، كما يختارون أيضًا المشاريع التي سيؤدونها بعد قراءة الكتب. ويقوم الطلاب بتحديد اختياراتهم في إطار حدود يضعها لهم المعلمون، وعندما تُعطى لهم فرصة الاختيار فإنهم غالبًا ما يكونون مشجعين، ومقدرين لخبراتهم التعليمية بشكل كبير.

* **الوقت:** يحتاج الطلاب إلى وقت كبير من أجل ممارسة أنشطة القراءة والكتابة. فهم يحتاجون إلى ساعتين أو ثلاث يوميًا كوقت مستقطع للقراءة والكتابة. ومن الخطأ تجزئة برنامج الفصل إلى مراحل وقتية، ومن المهم عدم إضاعة الوقت، وعدم تداخل البرامج التعليمية.

* **التقييم:** يعمل المعلمون والطلاب معًا لوضع أسس التقييم، ويقوم الطلاب بمراقبة أعمالهم وتقييمها ومشاركتهم في الأنشطة القرائية والكتابية. وبدلاً من فرض التقييم على الطلاب واستغلال المعلمين ذلك، يشارك المعلمون الطلاب مسؤولية تقييم تقدمهم.

هذه الخصائص العشر يمكن عرضها من خلال الجدول اللاحق، وقد كتبت سوزان هبلر Susan Hepler في عام ١٩٩١م عن أن التحدي الحقيقي للمعلم هو كيفية بناء نوع من القراءة والتعلم. ولذلك أطلق فرانك سمث Frank Smith في عام ١٩٨٨م على هذه النوعية من الفصول «أندية القراءة والكتابة» والتي يشعر فيها كل طالب بنوع من القبول والانتماء، فلا يوجد أحد مهمل لأنه لا يقرأ أو لأنها لا تقرأ مثل ما يقرأ الآخرون. ويتجاوز التواصل في الفصل الدراسي إلى ما خلف جدران الفصل أيضًا ليشمل المدرسة من الداخل، والمجتمع الخارجي، ويتزاور الطلاب في الفصول ويجتمعون لمناقشة أنشطة القراءة والكتابة. ويتفاعل الآباء مع أبنائهم ويظهرون قيمة ما يقوم به الأبناء، ويشجعونهم لاستصدار جريدة مدرسية يعرضون من خلالها كتاباتهم. فالطلاب يختارون الكتب التي سيقرؤونها بأنفسهم والأنشطة التي ينغمرون فيها، ويصبحون مسؤولين عن تعلمهم. ولقد أشار دونالد جرافز Donald Graves في عام ١٩٩٤م إلى أن طلاب هذه الفصول يحتاجون إلى الفرص، والأدلة الإرشادية والاختيار، والوقت، إضافة إلى الالتزام. ■

المراجع

Cass in Literacy: An agenda for discussion (1989). Newark, DE: International Reading Association and the National Council of Teachers of English.

Hepler, S. (1991). Talking our way to leteracy in the classroom community. The New Advocate 4, 179-191.

Hirsch, E.D. Jr. (1987). Cultural Literacy: What every American needs to Know. Boston: Houghton Mifflin.

Smith, F. (1988). Joining the Literacy Club: Further essays into education. Portsmouth, NH: Heiremann.

Tompkins, Gail (1997). Literacy for the 21 st Century, A Balanced Approach Merrill, an imprint of Prentice Hall, New Jersey.

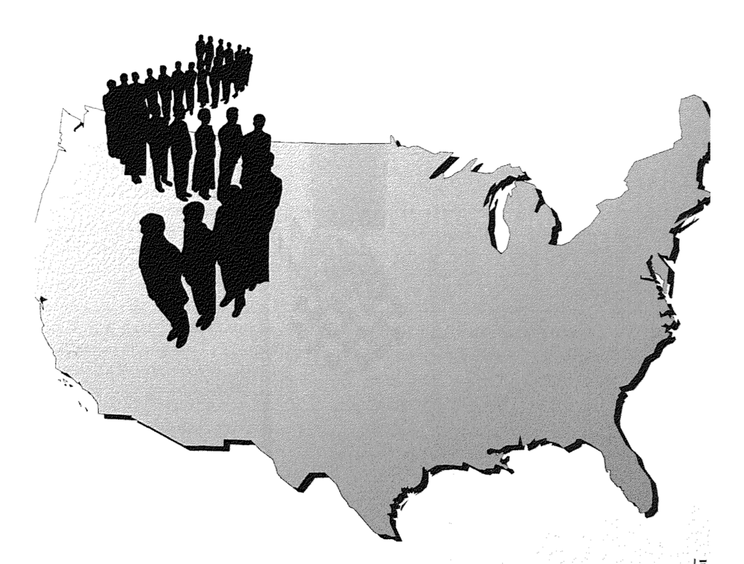
خصائص مجتمع المتعلمين

الخاصية	دور الطلاب	دور المعلمين
المسؤولية	الطلاب مسؤولون عن أنشطتهم ومشاركتهم الكاملة في الفصل وعن عمل الواجبات ومهام أخرى بصورة جماعية تعاونية.	يضع المعلمون القواعد، وعندما يكونون قدوة ومثاليين في تصرفاتهم، يتوقعون أن يكون طلابهم على مستوى المسؤولية.
الفرص	يغتنم الطلاب فرص التعلم المتاحة لهم في الفصل، ويقرؤون باستقلالية خلال درس القراءة، ويتقاسمون كتاباتهم في أثناء وقت المشاركة.	يوفر المعلمون الفرص للطلاب لممارسة نشاطات القراءة والكتابة بطرق متعددة.
المشاركة	يشارك الطلاب بشكل فعال في نشاطات القراءة والكتابة، ويشجعون بقراءة أدب حقيقي لينخرطوا في نشاط يجدون به معنى.	يسهل المعلمون الموضوعات للطلاب، وذلك بتخطيط الوحدات التعليمية معهم، ثم يتيحون لهم فرصة المشاركة في أنشطة تعليمية.
التوجيه	يلاحظ الطلاب ما يقدمه المعلمون من توجيهات وإرشادات عن مهارات واستراتيجيات القراءة والكتابة التي يستخدمونها.	يزود المعلمون الطلاب بتوجيهات وأدلة إرشادية عن ماذا يفعل القراء والكتّاب وما يحتاجون إليه.
المخاطرة	يكتشف الطلاب ما يتعلمونه، ويخاطرون في طرح الأسئلة، ويخمنون، وينظرون إلى التعلم كعملية اكتشاف.	يشجع المعلمون الطلاب على المخاطرة، والتكهن، وعرض ما يفكرون به دون تردد.
التعليمات	ينظر الطلاب إلى المعلمين من أجل أن يزودوهم بالتعليمات والتوجيهات والمهارات المتعلقة بالقراءة والكتابة، ويشارك الطلاب في دراسة الدروس ويقدمون ما تعلموه بطريقتهم الكتابية والقرائية.	يقدم المعلمون التعليمات إلى الطلاب من خلال دروس مختصرة، ويتم تزويدهم بالمعلومات سواء في جماعات أو فرادى أو للفصل ككل.
الاستجابة	يستجيب الطلاب للكتب التي يقرؤونها بوساطة الكتابة في سجل الأداء القرائي. ويتقاسمون الكتابة في مجموعات ويحصلون على تغذية راجعة من بعضهم البعض، ويتقاسمون أيضًا مشاريع قد أنجزوها.	يوفر المعلمون فرصًا للطلاب للمشاركة والاستجابة في أنشطة قرائية، في حين يشجع الطلاب بعضهم البعض.
الاختيار	يختار الطلاب الكتب التي سيقرؤونها، وكذلك نشاطات الكتابة، ويطورون بعض المشاريع في هذا الصدد، ويتم الاختيار في نطاق حدود ثابتة يحددها المعلمون.	يشجع المعلمون الطلاب في اختيار ما يروق لهم من كتب يودون قراءتها، وبعض الأنشطة الكتابية، ويُسمح لهم بالمشاركة في صنع القرارات عن طريق العمل داخل الصف الدراسي.
الوقت	يحتاج الطلاب وقتًا كبيرًا للقراءة ونشاطات الكتابة ويعملون أبحاث أيام وأسابيع، ولديهم الفهم بالعناصر الأساسية في أثناء القيام بعمل الواجبات.	ينظم المعلمون برنامج الفصل لإتاحة الوقت الكافي للطلاب للقراءة والكتابة، ويضع المعلمون مع الطلاب الخطوط العريضة لمشاريع القراءة والكتابة.
التقييم	يفهم الطلاب كيف سيقيمون وتوضع لهم الدرجات، ويشاركون في تقييم أنفسهم، وذلك بوضع أعمالهم المنجزة في ملفات لقياس أدائهم.	يجعل المعلمون الطلاب يشاركونهم في عملية التقييم، ووضع خطط التدرج قبل البدء بدراسة الوحدات التعليمية. في الوقت الذي يعقد فيه المعلمون مع الطلاب اجتماعًا لمساعدتهم على كيفية جمع أعمالهم في ملفات لتقييمها.

العدول من «متاهة » الخطاب العاطفي إلى جادة «البراجماتية»! :

الطريق إلى العقلية الأمريكية

محمد فالح الجهني* . المدينة لمنورة



*قسم التربية - كلية المعلمين .

القرار في الولايات المتحدة الأمريكية ليس قرارًا شخصيًا فرديًا، مرهونًا بالحالة النفسية أو المزاجية لمن يخرج القرار باسمه واعتماده. بل إن القرار الأمريكي، في حقيقته، قرار جماعي مؤسسي يخرج بعقلية وإرادة المؤسسة؛ وإن نُسب القرار الأمريكي إلى فرد أو آخر. وطريق المؤسسة التربوية الأمريكية، في أصولها الفلسفية، وليس في إدارتها وتنظيماتها الميدانية، يشكل طريقًا سليمًا وجادة قويمة لفهم العقلية الأمريكية الجماعية، ومن ثم محاولة التأثير فيها.

مواطنو الولايات المتحدة الأمريكية اليوم، ليسوا شعبًا من أصل واحد؛ ولكنهم خليط من شعوب متعددة هاجروا إليها من بلاد مختلفة وأماكن متباينة - أوروبا في الغالب- في رحلات استعمارية في البداية، ثم تحول الغرض إلى البحث عن فرص الرخاء والثراء، وهروب من ظلم واستبداد أنظمة الحكم الشمولية في أوطانهم الأصلية، فثورة، فإعلان للاستقلال وصياغة لدستور خاص، وبذلك أصبح المهاجرون إلى أمريكا أمة واحدة يحمل أفرادها الجنسية الأمريكية.

كان هناك هدف واحد يجمع كل المهاجرين إلى أمريكا، وهذا الهدف تلخّص في: «سرعة تحقيق الثراء على المستوى الفردي، وسرعة توفير الرخاء للمجتمع بأسره». وبسبب وحدة الهدف ووضوحه، إضافة إلى ما تذخر به الأرض الجديدة من طبيعة بكر وأرض خصبة معطاء ومناجم غنية وخيرات وافرة، فقد اكتسب المهاجرون إرادة يندر مثيلها، استطاعوا بوساطتها تعمير قارة بأكملها وإقامة صناعة شاملة وتحقيق مجتمع الوفرة خلال قرنين من الزمان فقط. وبتأثير الكفاح الشديد المتواصل، مع الطبيعة ومع الظروف، وبسبب السباق اللاهث مع المتنافسين ومع الزمن، وبحكم النشأة وطبيعتها وأسلوبها،فقد ترسخت في عقول المهاجرين إلى أمريكا فلسفة مفادها: «أن الوسيلة المحقّقة لكسب المال، هي وحدها الوسيلة الصحيحة والفعّالة!»، بمعنى آخر: «أن الفكرة أو الاقتراح أو العمل، يكون صحيحًا بمقدار ما يؤدي إلى نجاح!!»؛ وعليه، فليس هناك ضرورة ولا لزوم للوقوف عند مناقشة مسبقة للفكرة، أو تحليل مبدئي للاقتراح، أو تشريح أولي للعمل، مادامت النتيجة حلقات من الجدل والهرطقة التي لا تنتهي، أو أبنية من النظريات قد تتعارض وتتصادم، أو صيغ من البدائل المتعطلة؛ فلم يكن الوقت يسمح للمهاجرين بهذا الترف العقلي، الذي قد أوجد الفلسفة الإغريقية وغيرها من الفلسفات الهائمة في عالم الأفكار النظرية المجرّدة.

إن فلسفة الأمريكيين نشأت من ظروفهم، وصدرت عن طبيعتهم، وخلاصتها «أن أي فكرة تتحدد بالنتائج العملية التي تؤدي إليها!!»؛ وهذا نتاج واقعي، لشعب عملي، يعمل قبل أن يضع نظرية عقلية، ويبحث دون أن يضيع جهده في صياغة أطر فكرية. وقد تعدّدت الأسماء التي عرفت بها الفلسفة الأمريكية في الولايات المتحدة: العملية - الذرائعية - الوسيلة - الأداتية، لكن الاسم الأشهر لفلسفة الأمريكيين هو البرجماتية Pragmatism؛ والكلمة ذات أصل

يوناني يعني (عملي). ووفقًا للمعايير العلميّة، التي تصنّف الفلسفات إلى مثالية ومادية، فإن الفلسفة البرجماتية ترتمي وبكل قوة في أحضان النسق الفلسفي المادي.

البرجماتية.. الحياة بعقلية أمريكية

في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، بدأ المجتمع الأمريكي يحدد ملامح شخصيته، ويرسم لنفسه خرائط للفكر، ويوجد لنفسه فلسفة خاصة به. غير أن الفلاسفة والمفكرين الأمريكيين، لم يتبعوا أساليب الفلسفة الأوروبية، التي درجت على وضع صيغ كاملة عن المسائل الكونية والعقلية والوجودية والأخلاقية وغيرها، وإنما عبّروا تعبيرًا واضحًا بسيطًا عن الروح الأمريكية وآمالها وفهمها للحياة، فكانت الفلسفة البرجماتية.

تمت صياغة البرجماتية،خلال قرن من الزمان، على يد ثلاثة من كبار الفلاسفة الأمريكان، هم تشارلز بيرس Charles Pierce (١٨٣٩م-١٩١٤م)، ووليم جيمس William James(١٨٤٢م-١٩١٤م)، وجون ديوي Dewey(١٨٩٥م-١٩٥٢م). وهذا لا يعني أنهم وحدهم فرسان ميدان البرجماتية، فقد تبعهم في الولايات المتحدة جورج هيربت ميد (١٨٦٣م - ١٩٣١م)، وفي بريطانيا ف.س.س. شيللر، وفي إيطاليا جيوفاني بابيني؛ أي أن الفلسفة البرجماتية صُدِّرت إلى خارج الولايات المتحدة الأمريكية، لكنها بقيت أمريكية الهوية والمنشأ والنكهة. فالبرجماتية ليست نتاجًا لمفكر واحد، ولا هي انعكاس لرأي فيلسوف بعينه، وبناء لرجل مفرد، وإنما كانت البرجماتية في حقيقتها، تعبيرًا فكريًا عن الروح الأمريكية، التي تكونت خلال ظروف الكفاح الطويل، وتشكلت في أثناء قيام الصراع بين المهاجرين الأمريكيين وظروفهم البيئية والاجتماعية والنفسية.

فتشارلز بيرس، وهو المؤسس الأول للبرجماتية، قد شغلته الإجابة عن السؤال التالي: How to Make our Ideas Clear? «كيف نجعل أفكارنا واضحة ومحددة؟» ثم حدّد معنى ووضوح أي فكرة، بأنه النتائج الفعلية التي تؤدي إليها تلك الفكرة. أي أن الأمر إذا لم يكن نابعًا من التجربة، فلا يمكن أن يكون له تأثير مباشر في السلوك. بعبارة أخرى أنه ليس له معنى!: وهذا هو لب «نظرية المعنى» لتشارلز بيرس.

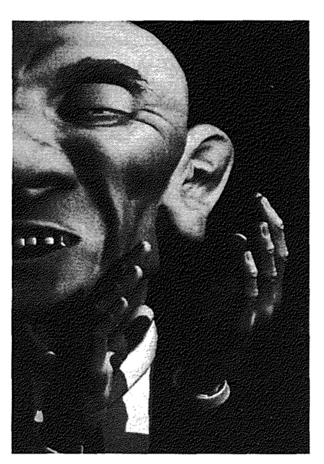
أما وليم جيمس، فقد رأى أن العالم ليس مفروضًا على الإنسان، بل إن الإنسان يقتطع لنفسه ما يريده من مجرى الحوادث المتصل. وعليه فالإرادة والمصلحة الذاتية أوليّان في طبيعة الإنسان، والمعرفة ليست إلا أداة لتحقيقهما. وأضاف جيمس «أن الصدق (الحقيقة) هو كل ما يؤدي بالإنسان إلى الوصول إلى غرضه!»؛ أي أن جيمس قد ألبس المعنى الذي تكلم عنه بيرس سابقًا طابع النفع. و بهذا فقد ربط جيمس المنفعة بالصدق، فالصدق ماله منفعة!!؛ وهذا هو جوهر «نظرية الصدق (الحقيقة)» لوليم جيمس.

وتلا بيرس وجيمس، فارس البرجماتية الثالث «جون ديوي»، الذي رأى: «أن التفكير الذي تثيره مشاكل الواقع إنما هو الوسيلة الوحيدة لفهم الوجود»، وهذا أبسط تلخيص لفحوى «النظرية المنطقية» لجون ديوي.

الفلسفة البرجماتية تتلخص اليوم في أفكار موجزة من أشهرها: أن النجاح المادي الملموس دليل على صحة السبل المتبعة - الحقيقة ماله نتيجة - التجربة هي السبيل الوحيد للوصول إلى الحقيقة - لا بد من التجربة وإعادة التجربة باستمرار - النتيجة من خلال التجربة هي الحكم النهائي - الوسيلة المحققة لكسب المال هي وحدها الوسيلة الفعالة... إلا أن هناك عدة مبادئ أساسية محددة، للفلسفة البرجماتية، يمكن إجمالها في الآتي:

* الحقائق نسبية ولا يمكن الوصول إلى حقيقة مطلقة؛ فالعالم المادي هو كل شيء، وهو في حالة تغير

الفلسفة البرجماتية تتلخص اليوم في أفكار موجزة من أشهرها : أن النجاح المادي الملموس دليل على صحة السبل المتبعة - الحقيقة ماله نتيجة - التجربة هي السبيل الوحيد للوصول إلى الحقيقة - لا بد من التجربة وإعادة التجربة باستمرار



وبالتالي ليس هناك حقائق مطلقة.

* كل شيء في حالة تغير وفي حالة صيرورة وحركة مستمرة لا تتوقف؛ وبالتالي فالعلاقة بين المتغيرات متغيرة في ذاتها؛ إذاً فلا بد من إعادة التجربة، وإعادة الاختبار دائمًا، ومن وقت لآخر.

* الأفكار والرموز لا معنى لها منفردة، بل إنها تكتسب معناها من خلال الأشياء التي ترمز لها في الواقع. ولكي نميّز معنىً لفكرة ما، فإن علينا أن نضعها في بوتقة التجربة (اختلاف التعريف الإجرائي عن التعريف اللغوي القاموسي).

* كل أنواع الخبرات، بما فيها الفلسفة والنظريات العلمية والعقائد، لابد أن تفهم في ضوء الغرض البشري منها؛ فالأفكار ما هي إلا أدوات لتحقيق ما يصبو إليه الإنسان من غايات، والحكم عليها يكون بمقدار كفايتها في خدمة هذه الغايات (النتائج اختبار لصلاحية الأفكار).

* الطريقة العلمية، هي أسلم طريقة لاختبار الأفكار؛ فعندما نترجم الفكرة في صورة فروض، ثم نختبر هذه الفروض في بوتقة التجربة، فإن الناتج هو أقرب ما يمكن الوصول إليه من معرفة (منطقية ديوي).

من برج الفلسفة إلى ميدان التربية

للتربية علاقة وثيقة بالفلسفة التي يتبناها مجتمع من المجتمعات. فالفلسفة في الغالب الأعم تنظير، والتربية أبرز ميدان لتطبيق هذا التنظير الفلسفي. لذلك فلكل تربية فلسفة تنطلق منها، هذا من ناحية. من ناحية ثانية، فالفلسفة تمد التربية بأمور تحليلية (نظريات، قوانين، نماذج فكرية...) مفيدة عند محاولة تصميم نظام تربوي متكامل. وقد تنبه جون ديوي لأهمية الفلسفة وعلاقتها بالتربية كتطبيق عملي لها، فكان الرجل الذي أنزل الفلسفة البرجماتية من برجها النظري - غير العاجي كالفلسفات القديمة- إلى ميدانها التربوي، وأكسبها مزيدًا من الواقعية والعملية؛ وهذا ما اشتهر به ديوي من بين فلاسفة البرجماتية.

واستنادًا إلى الطبيعة المادية للفلسفة البرجماتية، ولمبادئها ونظرتها الخاصة والفريدة إلى الوجود والكون والقيم، فقد كانت ملامح الفكر البرجماتي التربوي، الذي بلوره ديوي، تؤكد وجوب أن تكون أهداف التربية وليدة للظروف الحالية، مرنة قابلة للتغير بقيمها ونظرتها إلى الواقع والحياة، لتتلاءم مع الظروف المتغيرة باستمرار. ولابد أن تعمل أهداف التربية على إطلاق فعاليات الإنسان وتحريرها، ووضع الغاية نصب عيني المتعلم، وألا تقف كثيرًا عند أساليب وملابسات بلوغ الغاية. كما أكدت فلسفة ديوي للتربية على الخبرة كأساس للتعلم؛ بشرط أن تكون الخبرة مستمرة متواصلة نابعة من الواقع وقابلة للتطبيق؛ مع ضرورة تنظيم ظروف الخبرة والبيئة المحيطة. ولابد -بحسب التربية البرجماتية- من واقعية المدرسة ومحوها للغيبيات والثنائيات؛كثنائية الروح والجسد،وثنائية الجسم والعقل، وثنائية الدنيا والآخرة ... إلخ. وقد دعا جون ديوي إلى أن تستبدل بكلمة العقل كلمة «الذكاء»؛ وقال إن التربية ملزمة بأن تعمل على تنمية الذكاء عن طريق إتاحة الفرص المتنوعة لنموه. وقد أكّد ديوي كثيرًا أن طريقة التفكير العلمي هي الطريقة الوحيدة للتربية السليمة. فديوي يرى

أن التربية التقليدية ممثلة بالمدرسة التقليدية، قد قتلت روح الابتكار، بما تذخر به من أنشطة تعليمية لا تتجاوز الحفظ والتسميع والنقل والتقليد والتكرار...إلخ؛ ولذلك اعتنى ديوي بأمر التفكير كثيرًا، وحاول إقامته على أسس من التجريب العملي العلمي. ورسم ديوي عددًا من الأسس التي ينبغي أن تقوم عليها عملية التعليم، وأهمها أن يجد التلميذ نفسه في وضع خبرة حقيقي يتركز حول مشكلة، تكون بمنزلة حافز للتفكير، وبشرط أن تكون هذه المشكلة طبيعية المصدر - غير مصطنعة - وتخص التلميذ نفسه، ليكون التعلم اكتشافًا وابتكارًا وليس مجرد تكديس معلومات.

المتاهة

بحت أصوات الكثيرين من العرب والمسلمين، وغيرهم من المحايدين، وتكسّرت أقلام آخرين، في محاولات يائسة لمخاطبة متخذي القرار الأمريكان في الولايات المتحدة، ومحاولة التأثير في هؤلاء من منظور إنساني أخلاقي. ومن أقربها إلى الذاكرة تسابق الكتاب العرب إلى صياغة رسائل مفتوحة إلى الرئيس الأمريكي تحت العنوان الشهير والمتكرر «رسالة إلى الرئيس ...»، ناهيك عن رسائل الزعماء العرب ومفاوضاتهم المستديمة مع الساسة الأمريكيين في محاولات لم تصب قدرًا من النجاح للتأثير في الساسة الأمريكان تجاه قضايا العالم العربي والإسلامي. وهذه الرسائل والمفاوضات والمحادثات والاتصالات بجميع مستوياتها وفي مجملها أو في غالبها الأعم، تتعلق بالسياسات الجائرة تجاه الفلسطينيين- على سبيل المثال - أو التعامل مع قضايا العالم العربي والإسلامي بشكل عام، أو ربما كانت فيما سبق تتعلق بالحسم العسكري الأمريكي القاسي خلال عقود القرن العشرين الميلادي، كما حدث في اليابان، أو في الحرب الكورية، أو غزو فيتنام وغيرها.

والحقيقة أن الخطاب العربي ذا المنطق الإنساني والأخلاقي، أيًا كانت طريقته أو مستواه، لم يفتقر إلى الصياغة المؤثرة أو إلى قناة الإيصال المناسبة، وإنما كان يفتقر إلى أساس وأرضية فهم مشتركة بينه، كخطاب أخلاقي إنساني، وبين التفكير والسلوك البرجماتي النفعي الصرف لدى المؤسسات السياسية الأمريكية؛ بدءًا من العامل البسيط حتى رئيس الجمهورية، ومن أبسط المؤسسات إلى البيت الأبيض أو المحكمة الفيدرالية أو الكونجرس الأمريكي.

الجادّة

لقد ترسّخت البرجماتية بأفكارها النفعية، في عقلية وسلوك الفرد الأمريكي من خلال المؤسسة الاجتماعية الأكثر تأثيرًا في تكوين الشخصية الإنسانية وهي(المدرسة). فقد دعا جون ديوي - ونجح في ذلك حتى خارج أمريكا- إلى صياغة أهداف المدرسة كمؤسسة اجتماعية، وأهداف التربية عمومًا كعملية صناعة عقول وسلوكيات، صياغة واقعية نفعية برجماتية، خالية من القيم الأخلاقية والإنسانية أو العوالم الغيبية أو مصادر المعرفة العلوية والخفية.

العقلية البرجماتية الأمريكية، لم تأت نتيجة لجدل فلسفي فكري يقبع في كتب الفلاسفة وتنظيراتهم، وإنما جاءت كسلوك براجماتي راسخ في الذهنية والسلوك الأمريكي الجماعي، من خلال مشروع تربوي مذهل بلوره جون ديوي، واستطاع من خلاله تحويل الفلسفة النظرية البرجماتية ونظرتها المادية النفعية الخالصة نحو الكون والقيم والحياة، إلى مشروع سلوكي ممارس على مستوى المدرسة، ثم إلى آفاق المجتمع الواسع.

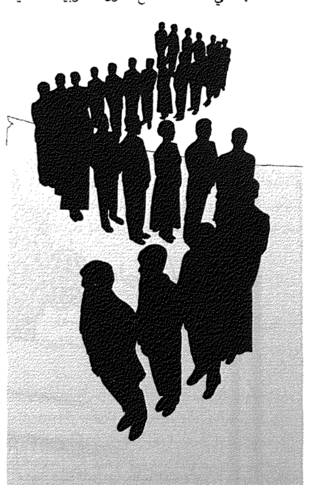
و بما أن البرجماتية، وهي الأساس الفلسفي للتربية في الولايات المتحدة، تهتم بالنتيجة أو الفائدة، دون النظر إلى ملابساتها أو كيف تم الوصول إليها، فقد استمرأ الأمريكيون، في سلوكهم السابق واللاحق، الظلم والاستبداد ومارسوهما بشكل صارخ في أكثر

البرجماتية في حقيقتها، تعبيرًا فكريًا عن الروح الأمريكية، التي تكونت خلال ظروف الكفاح الطويل، وتشكلت في أثناء قيام الصراع بين المهاجرين الأمريكيين وظروفهم البيئية والاجتماعية والنفسية.

من مكان وأكثر من زمان، في تناقض واضح مع أحد أهم الأحلام التي هاجروا من أجلها؛ وهو حلم تحقيق العدل والمساواة والحرية الإنسانية.

ففي البداية أوقعوا ظلمًا فادحًا بالهنود الحمر، سكان الأرض الأصليين، تمثّل في أنواع من القتل والتشريد والإجلاء واحتلال الأرض بالقوة. ثم تمثّل استبداد الأمريكيين في سنوات الهجرة والاستقرار في القارة الأمريكية، بصورة أقسى، في خطف الزنوج الأفارقة من بلادهم، اعتمادًا على بدائية وسائل المقاومة لدى الأفريقيين في ذلك العهد، ثم جلبهم إلى الأرض الجديدة، وتسخيرهم عبيدًا، يعملون الليل والنهار، تحت لهيب السياط، وذل الرق، وأسر القيود! وهناك من يفسّر كثيرًا من السلوكيات الأمريكية الجماعية (السياسية والعسكرية والاقتصادية) وتخبطها السياسي وتدخلها العسكري السافر في بلدان العالم العربي والإسلامي على أساس براجماتي.

حاولت بعض الدول العربية وحاول بعض المفكرين العرب، في فترات سابقة،الإيحاء للولايات المتحدة بأن مصلحتها في التحالف مع الدول العربية النفطية



وتحقيق ما يبدو لأول وهلة أنها مصالح مشتركة بين الطرفين، وفق طريقة التفكير البرجماتية. إلا أن العقلية الأمريكية البرجماتية لا تحصر النفع في النفط فقط، خصوصًا وأن النفط ثروة ناضبة لا محالة، والتعامل البرجماتي على أساس المصالح النفطية ذو أثر نفعي محدود بنضوب النفط أو بتوافر مصدر بديل للطاقة. إن المنفعة اللامحدودة، من وجهة النظر الأمريكية البرجماتية (العصرية)، تكمن في خلق عقلية عالمية استهلاكية تابعة، تستوعب كل ما تفرزه الولايات المتحدة الأمريكية من سلع وخدمات وسلوكيات وأفكار وأنماط للحياة والعيش. وهذا غزو واستعمار من نوع جديد غير مسبوق.

لابد أن يسلك العرب النهج البرجماتي نحو التفكير الأمريكي ومحاولة التأثير فيه من خلال المنطق البرجماتي النفعي ذاته، وخلق مصالح مشتركة ذات أبعاد جديدة تتجاوز سياسة النفط والمراهنة عليه كمصلحة مشتركة؛ هذا للمستقبل القريب. أما على مستوى المستقبل البعيد فالطريق يبدأ من خطوة حوار وفهم وتأثير وتأثّر باتجاه المعمل الكبير، الذي يفرز العقلية والسلوك الأمريكي الجماعي؛ وهو نظام التربية الأمريكي وأصوله الفلسفية البرجماتية.■

المراجع

١- د . سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، سلسلة عالم المعرفة (١٩٨) يونيو ١٩٩٥م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت .

٢ - المستشار . محمد سعيد العشماوي، البرجماتية : نظرة أمريكية للعالم، مجلة العربي، ع /٤٧١ ، فبراير ١٩٩٨م، وزارة الإعلام، الكويت

٣- د . محمد عيسى فهيم، محاضرات في مادة فلسفة التربية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الفصل الدراسي الثاني، ١٤٢٠هـ.

تعقيبًا على «صورة الآخر في فلسفة التربية الإسلامية» :

غابت الموضوعية في تيار التسويغ والمجاملة لـ«الآخر»

عبدالعزيز آل عبداللطيف* . الرياض

دراسات

صورة الآخر في فلسفة التربية الإسلامية (١-٤)

«ليسوا سواء»

دراسات

صورة الآخر في فلسفة التربية الإسلامية (٢-٤)

تحريم ابتدائهم بالسلام أو كراهته قول اجتهادي

السلام.. تحية لأمتنا وأمان لأهل ذمتنا

68

* عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود . الرياض .

اطلعت على الحلقة الأولى والثانية من بحث «صورة الآخر في فلسفة التربية الإسلامية»، ومع تقديري للجهد المبذول في هذا البحث إلا أن ثمة ملحوظات على ذلك الجهد أذكرها على سبيل العموم والإجمال، ثم أذكر أمثلة ونماذج تفصيلية على تلك الملحوظات.

غلب على البحث ردود الأفعال، واستحوذت تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر على تفكير الكاتب وتقريراته، فسلك مسلك التبرير والتسامح المفرط «والمبالغة» في الاحتفاء «بالآخر»، فغابت الموضوعية العلمية في تيار التسويغ والمجاملة للآخر، واستولت الانتقائية في تقرير النتائج وما خالف تلك النتائج - التي قررها الباحث - من نصوص شرعية فتؤول أو تخصص!

ومن جملة «المفقودات» في هذا البحث: غياب اللغة الشرعية في كثير من التقريرات، واستعمال الألفاظ الموهمة المجملة - حمّالة وجوه - كالتعايش وحرية الرأي...

ومن الملحوظات التفصيلية على تلك الحلقتين ما يلي:

* جاء عنوان البحث «صورة الآخر...»، ولفظ «الآخر» عائم لا ينضبط، فهو بمعنى غير، ألا يسع الباحث أن يسمي «الآخر» بما أسماه الله تعالى في مثل قوله سبحانه: ﴿**هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن**﴾ (التغابن: آية٢). فالآخر هو الكافر، والله سبحانه أعلم وأحكم وأرحم حيث أطلق عليه اسم الكافر دون الآخر!

* ساق الباحث - في عنوان المقالة - قوله تعالى: ﴿**ليسوا سواء**﴾ دون أن يتم الآية الكريمة، وكان على الباحث ألا يجعل من آيات القرآن عناوين صحفية مثيرة، فتبتر الآية دون استكمالها، ما يؤدي إلى سوء فهم، لا سيما وأن الباحث قد طالب بالنظر إلى سياق الآيات.

* أشار الباحث إلى اهتمام وزارة التربية في فرنسا بصورة العرب والمسلمين من خلال اختيار نصوص من قصص ألف ليلة وليلة والأيام لطه حسين. فيقال: هل يمكن فهم الإسلام وحقيقة المسلمين من خلال كتاب سمر وأساطير، أو من خلال طه حسين الذي أشرب حب الأوروبيين فنادى بالسير على طريقة الغرب جملة وتفصيلاً؟ وهل فرنسا بهذا الغباء أو الجهل حين تقرر أساطير و«أيام»؟ وقد بلغ بها الكيد إلى إعداد فتوى تجعل الجهاد ضد الفرنسيين من باب إلقاء النفس إلى التهلكة، وضرورة الرضا بحكم الفرنسيين في الجزائر - زمن الاستعمار -[1].

* تحدث الكاتب عن القيام لجنازة الكافر بشيء من الانتقائية، وكأن الكاتب لم يكتف بهذا القيام الدؤوب للغرب من قبل حكومات المسلمين، فأراد لشعوب المسلمين أن تقوم لجيف الكفار.

كان من المهم أن تعرض هذه المسألة بموضوعية، وأن نحذر من الأحادية في التقرير، فهناك خلاف في مسألة القيام لجنازة المسلم فضلاً عن الكافر، كما أن المراد بأهل الأرض هاهنا أهل الذمة كما جاء في الصحيحين، وجاء تعليل القيام بعدة روايات لم يذكرها الباحث، منها رواية للحاكم «إنما قمنا للملائكة»، ورواية لأحمد «إنما تقومون إعظامًا للذي يقبض النفوس»، ورواية ابن حيان «إعظامًا لله الذي يقبض الأرواح»[2].

* قرر الباحث الكرامة الإنسانية بناء على قوله تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بني آدم..**﴾ الآية.

وكان عليه أن يقرر ما جاء في قوله تعالى: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ (سورة التين آية ٤-٦).

فإذا انحرف الإنسان وكفر بالله تعالى، انتكس إلى أحط الدركات، بل تصبح البهائم أرفع منه.

* تحدث الكاتب عن حرية اختيار الكافر وعدم الإكراه، وكان عليه أن يجمع أطراف المسألة فيورد - مثلاً - قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول

الله..». الحديث أخرجه البخاري ومسلم.

* لم يكن الكاتب دقيقًا في نقله حيث قال: «لا يجوز إجبار أسير أو كتابي..» وفي هذا يقول ابن حزم: «واتفقوا أن من أسر بالغًا منهم فإنه لا يجبر على مفارقة دينه» وبالرجوع إلى كتاب ابن حزم، نلحظ أنه قال: أسير كتابيّ، ولم يقل أسير أو كتابي. ولا يخفى تفاوت المعنيين، كما أن ما نقله الباحث كان مبتورًا، فقد جاء النص بتمامه على النحو الآتي: «واتفقوا أن من أسر بالغًا منهم فإنه لا يجبر على مفارقة دينه أعني إن كان كتابياً» هكذا قال ابن حزم في مراتب الإجماع ص١٢٠ .وقع الكاتب في لبس وتلبيس فظن أن «التوحيد الكلي» متحقق عند اليهود والنصارى، وأطلق هذا الحكم دون أن يفصّل أو يفرّق بين اليهود الذين اتبعوا موسى عليه السلام والنصارى الذين اتبعوا المسيح عليه السلام فهؤلاء مسلمون، وأما اليهود القائلون بأن عزيرًا ابن الله، وكذا النصارى القائلون بالتثليث فهؤلاء كفار اتفاقًا، كما حكاه ابن حزم قائلاً: «واتفقوا على تسمية اليهود والنصارى كفارًا واختلفوا في تسميتهم مشركين» مراتب الإجماع ص١١٩ .

* احتج الكاتب بخطاب رسول الله ﷺ إلى


دراسات

صورة الآخر في فلسفة التربية الإسلامية (١-٤)

«ليسوا سواء»

هرقل عظيم الروم، في تسويغ مخاطبة الملوك بألقابهم المعروفة، وكان على الكاتب أن يتم الحديث ويورد نص الخطاب لهرقل حيث قال المصطفى ﷺ: «سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين» أخرجه البخاري، فالمقام مقام دعوة وهذا اللقب - عظيم الروم لمصلحة التألف - كما حرره الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٨/١ .

وقد قال الحافظ ابن حجر: «قوله «عظيم الروم» فيه عدول عن ذكره بالملك أو الإمرة، لأنه معزول بحكم الإسلام..»... وفي حديث دحية أن ابن أخي قيصر أنكر أيضًا كونه لم يقل ملك الروم، فتح الباري ٣٨/١ .

* أورد الكاتب تفسير التدافع بالانتخاب الطبيعي، ويبدو أن الكاتب يتوارى من تقرير الصراع بين الحق والباطل، وجهاد أعداء الله تعالى، مع أن آية البقرة ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** ﴾ (آية ٢٥١)، جاءت بعد قصة طالوت وجالوت، وانتصار المؤمنين وقتل داود جالوت، ثم بيّن الله فائدة الجهاد فقال: ﴿ **ولولا دفع الله الناس..** ﴾ الآية، كما حرره السعدي في تفسيره ص٩٠، كما أن آية الحج ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع..** ﴾(آية ٤٠)، نظير الآية السابقة، فيدفع الله بالمجاهدين في سبيله ضرر الكافرين.

يقول العلامة السعدي: «ودلّ ذلك على أن البلدان التي حصلت فيها الطمأنينة بعبادة الله، وعمرت مساجدها، وأقيمت فيها شعائر الدين كلها، من فضائل المجاهدين وبركتهم. فإن قلت: نرى الآن مساجد المسلمين عامرة لم تخرب في ديار الكفار، أجيب بأن جواب هذا السؤال داخل في عموم هذه الآية وفرد من أفرادها.. فتراعي الحكومات مصالح ذلك الشعب الدينية والدنيوية، وتخشى إن لم تفعل ذلك أن يختل نظامها، وتفقد بعض أركانها..» أ.هـ ملخصًا، تفسير السعدي ص٤٨٩ .

* زعم الكاتب أن أهل الذمة لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وإنما يكون ذلك لأهل القبلة من أهل الإسلام كما في قوله ﷺ: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم، وله ما لنا عليه ما علينا» أخرجه البخاري، أفتجعل - يا دكتور أحمد - المسلمين كالمجرمين!

* نقل الكاتب مقولة من قال: إن الولاء والبراء منوطان بحالتي السلم والحرب، إذًا الأصل التعايش في حال السلم، والاستثناء هو التناحر في حال الحرب.

وهذه مغالطة مكشوفة؛ فالولاء والبراء أوثق عرى الإيمان، وأصل الولاء الحب، وأصل البراء البغض، والحب والبغض أمر فطري لا انفكاك عنه، فكل إنسان سواء كان برًا أو فاجرًا لديه هذه الغريزة الفطرية من مشاعر الحب والبغض، وهؤلاء الذين يسعون إلى استئصال مشاعر الكراهية تجاه الكافرين (الآخر) لا يخالفون الثوابت الشرعية فحسب، بل يصادمون الطبيعة البشرية. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة، كما أن البغض والكراهة أصل كل ترك» جامع الرسائل ١٩٣/٢ .

* نقل الباحث مقررًا أن معتنقي الإسلام في ظل السلام بعد صلح الحديبية ستون ضعفًا مقارنة بمن أسلم من قبل، وغاب عن الباحث أن هذا الصلح إنما جاء بعد جهاد مستمر وغزوات متتابعة وسرايا متوالية، والله تعالى هو الحكيم في تقديره وتشريعه، وها هم الكثير من بني جلدتنا قد بحّت حناجرهم وكلّت أقدامهم في السعي نحو الغرب من أجل المناشدة بالسلام العالمي، فما زاد الكفار إلا عتوًا ونفورًا عن الإسلام.

* تكلّف الباحث في تأويل قوله تعالى: ﴿ **ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى..** ﴾ فالآية التي تليها تبين أنهم قوم من نصارى آمنوا بمحمد ﷺ، حيث قال سبحانه: ﴿ **وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ (المائدة: ٨٣).

ولا موجب للشغب والاحتجاج بلفظ «أقرب» و«أشد» فقد يأتي أفعل التفضيل على غير بابه كما جاء في التنزيل ولغة العرب.

* يبدو أن الباحث - سامحه الله - شرق بآية في كتاب الله تعالى تعكر مقصوده، فأشار إلى رقمها ثم تكلف في تأويلها، أما الآية فقوله تعالى: ﴿ **ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم** ﴾ (البقرة: آية ١٠٥)، وقد امتطى - الدكتور الدغشي - مركب التأويل المتعسف، فادعى بلا بيّنة أن هذا من إطلاق «الكل» وإرادة «البعض»، مع أن الآية جاءت باسم الموصول المفيد للعموم[٣].

* بالغ الكاتب في حقوق الآخر.. وغفل عن الشروط العمرية وما فيها من الأحكام، ومنها: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترط على نصارى الشام حين صالحهم - ألا يحدثوا في مدينتهم كنيسة، ولا يجددوا ما خرب، ولا يظهروا شركًا، وأن يوقروا المسلمين، ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم، ولا يتقلدوا سيفًا، ولا يبيعوا الخمور، وأن يجزّوا مقادم رؤوسهم، ولا يظهروا صليبًا.. فإن خالفوا شيئًا مما شرطوه فلا ذمة لهم، وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق.

قال ابن القيم - عن هذه الشروط: «وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها، فإن الأئمة تلقوها بالقبول، واحتجوا بها، ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم وفي كتبهم، وقد أنفذها بعده الخلفاء، وعملوا بموجبها» أحكام أهل الذمة ٤/٢ .

وأخيرًا إن علينا أن نأخذ هذا الدين بقوة واعتزاز، ومن ذلك أن نبغض الكفار والمنافقين ونتبرأ منهم كما جاء في النصوص المحكمة، وهذا لا يتعارض مع العدل والقسط إليهم، بل يتفق معه، كما يجب أن نتأسى برسول الله ﷺ فننظر فيه بعلم وشمول، فلا يقتصر على جانب كونه نبي الرحمة أو التسامح، كما لا يكتفي بكونه نبي الملحمة، بل إن المتعين أن نشتغل باتباع هديه في الحب والبغض، والولاء والبراء.

وإن يراعى في أثناء تطبيق الولاء والبراء أحوال المسلمين من قوة وتمكين، أو ضعف وعجز، ففي القوة لهم أن يبادروا بالجهاد لأعداء الله تعالى، وفي حال الضعف لهم أن يأخذوا بآيات الصبر والصفح والعفو كما حرر ذلك جمع من المحققين كابن تيمية في الصارم المسلول ٤١٣/٢ .

اللهم اجعلنا سلمًا لأوليائك حربًا على أعدائك وبالله التوفيق■

المراجع

(١). انظر تفصيل ذلك في الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية (من إصدار دارة الملك عبدالعزيز) ٢٤٩/١ .

(٢). انظر هذه الروايات كما ساقها الحافظ ابن حجر في الفتح ١٨٠/٣ .

(٣). انظر الجواب الصحيح لابن تيمية ٥٥/٢ .

تعقيب على التعقيب

كفانا مزايدة في الاستعلاء والعزة العمياء!

أحمد محمد الدغشي - صنعاء

حيث بعثت إلي (المعرفة) تعقيب احد القراء الافاضل وهو الشيخ الكريم د.عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف على حلقتين من دراستي الموسومة بـ(صورة الآخر في فلسفة التربية الإسلامية) للاطلاع، و إذا ما كان ثمة تعقيب على التعقيب ليكتمل الموضوع ويثرى من جميع جوانبه، فلم يكن ذلك – في واقع الأمر – مفاجئًا لي، إذ كنت استعد لجولة بل لجولات عديدة إذا استلزم الأمر ذلك، لإدراكي أن مخالفة السائد في أذهان قومي، بمن فيهم بعض المنتسبين إلى دائرة العلم الشرعي لن يمر بسلام، وفي ظني أن تلكم آفة التقليد. وأضعف حلقات النقاش هي تلك التي يستشهد فيها طرف بقول فقيه أو إمام في القديم أو الحديث مجردًا من الدليل البين، إذ ليس ذلك بأولى من قول فقيه أو إمام آخر، استنادًا إلى قاعدة «كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب الروضة الشريفة»، وأن العالم يستشهد له لا به». ولعل القارئ الكريم لا يزال يتذكر أن كاتب الدراسة أشار إلى انه لم يعتمد الأقوال الفقهية – على عظمة قائليها – إلا على سبيل الاستئناس و إقناع ذوي التقليد المسكونين بمعرفة القائل، لا ماذا قال. ومع تقديري البالغ لملحوظات الدكتور الفاضل آل عبداللطيف الذي ناقش المضامين إلى حد كبير، دون النزول إلى مستوى إقحام النوايا وشخصنة الموضوع كمنهج عام، كما خلا تعقيبه من الاستشهادات الفقهية المجردة إلى حد معقول، لكنه وقع في بعض تلك المزالق إلى حد ما، كما سأشير لاحقًا، ولا ضير. فأرى أن التعقيب – بكل مآخذه المحدودة – يعد خطوة متقدمة بالنظر إلى حالة منهج الحوار لدينا بالأمس القريب.

وفي البدء أود الإشارة إلى جملة من الملحوظات العامة على التعقيب وذلك على النحو التالي:

أولاً: ليت الشيخ الفاضل مضى في مناقشته بعيدًا عن التصنيف وما يستلزمه - عادة - من اتهام للنوايا ووقوع في منزلق المقررات المسبقة، ومن ثم الأحكام الجائرة. وما وصفه لكاتب هذه الدراسة بأنه من تيار التسويغ والمجاملة للآخر، بما صرح به تارة وألمح إليه أخرى في ثنايا التعقيب إلا دليل على الوقوع في هذا المنزلق. ومثل هذه الأوصاف لاتقود إلى نتيجة إيجابية، ولا تساعد على تفهم وجه الخلل - إن وجد - لمراجعته، كما أنه ليس بعسير على الطرف الآخر مبادلة الاتهام بمثله كالقول إن التعقيب ينتمي إلى مدرسة العنف باسم الجهاد والتكفير الضمني للمخالف، وحاشا لله أن ينجرّ كاتب هذه السطور إلى الوقوع في شيء من ذلك تجاه الشيخ الفاضل آل عبداللطيف. بيد أن غيره لن يتورع - ربما - من وصمه بذلك، وبدلاً من أننا كنا ندّعي هدف الوصول إلى الحق، فإذا بنا نقع في شرك التباري بتسجيل مواقف الإدانات المسبقة، وهل هكذا يكون حوار الكبار؟

ثانيًا: ليس دقيقًا أن دراستي عبارة عن ردود أفعال وخصوصاً على أحداث الحادي عشر من سبتمبر فالله يعلم، وبعض أصدقاء الكاتب يدركون كذلك أن فكرة هذه الدراسة تعود إلى بضع سنوات خلون. كما أن هذا المنحى تفكير أصيل لدى الكاتب، وتفاعله مع الأحداث حوله تفاعل إيجابي لا انفعال سلبي قادت إليه الأحداث الأخيرة في الولايات المتحدة أو في المنطقة. وهذا ما كان أشار إليه في بداية دراسته في الحلقة الأولى. وهل هذا بدع من القول؟ كلا، فالتفاعل الإيجابي المشار إليه منهج قرآني يؤكده نزول القرآن منجمًا بحسب الأحداث، وأسباب النزول الثابتة بالسند الصحيح تعزز هذا المعنى، كما أن

التبليغ النبوي حول الأحداث التي كانت تدور من حوله جزء من هذا التفاعل الإيجابي كذلك. أما كون التفاعل القرآني أو النبوي حاكمًا لامحكومًا أو فاعلاً لا منفعلاً بخلاف ما يجري اليوم فهذا من جملة الدعاوى التي تفتقر إلى الإثبات.

ثالثًا: ليت فضيلة الدكتور آل عبداللطيف أمهلنا والقراء قليلاً حتى نهاية الحلقة الرابعة من الموضوع، إذ لكان وفر عليه وعلينا وعلى قرائنا الكرام عناء تكرار بعض المسائل التي ورد ذكرها في الحلقتين الأخيرتين اللتين لم يكن قد اطلع عليهما بعد، كما سنرى لاحقًا.

وهاك الآن - عزيزي القارئ - بعض التعليقات العجلى على تعقيب فضيلة الدكتور آل عبداللطيف، وذلك على النحو التالي:

* اتهام الدكتور آل عبداللطيف لكاتب الدراسة بأنه خلص إلى نتائج انتقائية مؤولاً لكل ماخالفها، حكم عام يفتقر - حقًا - إلى البرهنة التفصيلية والإثبات العلمي الموضوعي، وسيرى القارئ الكريم أن هذا المنهج - مع الأسف - هو منهج الدكتور الفاضل، حين يجد نفسه محاصرًا بنصوص عديدة تخالف المقررات المسبقة المثبتة في ذهنه والسائدة في مدرسته.

* القول إنه قد غابت عن الدراسة اللغة الشرعية في كثير من التقريرات اتهام آخر يبعث على التساؤل الاستنكاري عن مقصود الدكتور آل عبداللطيف باللغة الشرعية؟ فهل هي الألفاظ والمباني والتراكيب والصيغ؟ فهذه متوافرة إلى حد كبير بشهادة الدكتور الفاضل. أما الجزء الغائب - حسب فهمه - فليس في المضامين والمعاني والدلالات كذلك. ولا أظن الأستاذ الجليل يختلف معنا في أن اللغة الشرعية ليست الألفاظ والمباني والتراكيب والصيغ اللغوية والشرعية على نحو مطرد، فثمة اعتبار للاصطلاح العرفي الذي يصنف ضمن الحقائق اللغوية والشرعية.. وهو رهن بأهل كل بيئة، وأهل كل فن، وليس لأي من الاصطلاحات - بما فيها الاصطلاحات الفقهية - صفة التوقيف في كل حين، ولا نزاع في ذلك - بحسب علم العبدالفقير. فما المقصود بغياب اللغة الشرعية إذًا؟ أخشى أن يكون مقصود الأستاذ الكريم باللغة الشرعية حصرها في اصطلاحات الفقهاء. ولئن حصل ذلك - وأرجو ألا يكون - فيكون الخلط الشديد قد وقع بين الفقه والشريعة، وثمة مفاوز بينهما في غير ما حالة، كما لايخفى على المحققين من أهل الفقه أنفسهم.

إن كاتب الدراسة تربوي ينتمي إلى حقل أصول التربية الإسلامية، ودراسته الأولية شرعية في إطار كلية التربية، وطبعي أن يوائم في دراسته بين لغة الفقهاء - وليس الشرع بالضرورة - وبين تخصصه، فما العيب في ذلك؟وهل بوسع أحد اليوم أن يدعي أنه لايستعمل بعض المفردات والاصطلاحات المعاصرة غير الفلسفية السائدة؟ وأعني بغير الفلسفية: المفردات والاصطلاحات ذات الدلالات الفكرية والجذور والمضامين الأصلية عند أصحابها من غير المسلمين، تلك التي لا تنطبق عليها قاعدة (لامشاحة في الاصطلاح).

* أخذ عليّ الدكتور آل عبداللطيف وصفي لغير المسلم بالآخر متسائلاً: «ألا يسع الباحث أن يسمي (الآخر) بما أسماه الله تعالى في مثل قوله سبحانه ﴿**هو الذي خلقكم فمنكم مؤمن ومنكم كافر**﴾(التغابن آية ٢).فالآخرهو الكافر، والله سبحانه أعلم وأحكم وأرحم حيث أطلق عليه اسم الكافر دون الآخر».

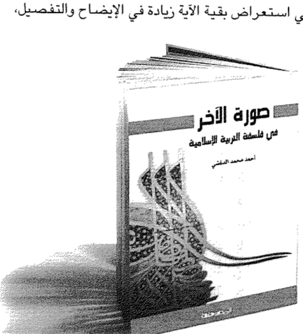
ولا أظن مؤمنًا موحدًا يختلف مع الدكتور الكريم في تقرير هذه الحقيقة البدهية من أن غير المؤمن برسالة محمد ﷺ ودينه كافر قطعًا، وحتى غير المسلم فإنه يعد المسلم كافرًا، لكفرانه بدينه. والغريب أن يطرحها الدكتور الكريم موضعًا للنقاش بيننا، ولكنه سوء الظن، والتصنيف الجاهز، ولزوم مالايلزم - مع بالغ الأسف -. وهو ما قاد الدكتور الفاضل إلى هذا الاستخلاص القائل إن تسميتنا للكافر بالآخر يخالف وصف الله - تعالى - له بالكافر كما في الآية التي ذكرها، إذ لايخفى على كل من يتلو القرآن الكريم فقط - ولا أقول من يتعامل معه دراسة وتفسيرًا - أنه مليء بوصف جمهرة كبيرة جدًا من هؤلاء الكافرين - وهم اليهود والنصارى - بأوصاف أخرى غير الكفر، الذي هو حقيقة بدهية متبادلة لاتستدعي التركيز دومًا، وأبرز هذه الصفات: (أهل الكتاب). وللأستاذ الكريم آل عبداللطيف أن يجمع الآيات التي ذكرت الكافرين من اليهود والنصارى بوصف الكفر، ثم يقارنها بتلك التي وصفتهم بصفات أهل الكتاب فقط، ولينظر بعد ذلك هل ثمة وجه متكافئ بينهما؟

إني لأسأل الأستاذ الكريم ومن يذهب مذهبه: ما مدلول خلو القرآن الكريم من مخاطبة غير المسلم بوجه

عام بخطاب الكفر المباشر إلا في موضعين من القرآن فقط وهما الآيتان (٧) من سورة التحريم والآية(١) من سورة الكافرون، ولكل من الآيتين السياق الخاص الذي يفسر سر التخصيص لهما بهذا الأسلوب؟

إني لآمل أن تحتل قضية تحقيق الهداية لغير المسلم في نفوس دعاة الإسلام اليوم الهدف الأسمى، لا أن تحتل مسألة تسجيل المواقف التي تزعم الاستعلاء وعدم الانهزام غاية المنى، حتى لو لم يسلم امرؤ واحد.

* زعم الدكتور آل عبداللطيف حفظه الله - أني جعلت من قول الله تعالى ﴿ليسوا سواء﴾ عنوانًا صحفيًا مثيرًا موصيًا الباحث بـ «ألايجعل من آيات القرآن عناوين صحفية مثيرة فتبتر الآية دون استكمالها...» ونصيحته مقبولة لو كان هذا هو الذي تم. غير أن الباحث لاعلاقة له بالعنوان الذي تصدر الموضوع (ليسوا سواء) بل هو عمل فني خالص اجتهدت هيئة التحرير فيه، ولها مسوغاتها المهنية الخاصة، حيث لم تزعم أنها غدت مجلة علمية محكمة ذات مواصفات محددة في النشر، هذا مع أن البحث في أصله كان معدًا للنشر في مجلة علمية محكمة لولا إطالته التي تخالف شروط النشر، المطالبة - عادة - بحد أدنى من صفحاته بكثير. في هذه الحالة فقط يكون هذا إثارة صحفية غيرمقبولة في بحث علمي. ومع تأكيدي أني مثل الدكتور الكريم لاعلم لي بالعنوان المثير - إثارة محمودة - «ليسوا سواء» إلا بعد اطلاعي على العدد في السوق منشورًا، إلا أني لم أجد أي إثارة تغريرية تتناقض ومتضمنات البحث. وأما الجانب الذي يعني الباحث فهو إيراده للشاهد البيّن في دراسته وهو ما يعد الاستمرار في استعراض بقية الآية زيادة في الإيضاح والتفصيل،



لأن المعنى لم يكتمل كما فهم فضيلة الدكتور. وللقارئ العزيز بل لأهل الاختصاص والمهتمين قبل ذلك أن يحكموا الآن وبعد قراءتهم للآية الكريمة التي أوردها الباحث عما إذا كان المعنى مكتملاً في جملته، أم أن ثمة بترًا يؤدي إلى سوء الفهم. فالآية التي أوردت نصها تقول: ﴿**ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون**﴾ (آل عمران:١١٣)، فهل يغيب عن الفهم أن من هذه صفته من تلاوة آيات الله ومن السجود على هذا النحو، هو مؤمن بالله واليوم الآخر، آمر بالمعروف، ناه عن المنكر، مسارع في الخيرات، من الصالحين، وأن ذلك محفوظ له عند الله تعالى العليم بالمتقين؟وهو ما تضمنته الآيتان اللتان لم يأت على ذكرهما الباحث، باعتبار أن ذكر شيء من لوازم الموضوع - وهو ما تقدم - يغنينا في موطن الاستشهاد عن ذكر بقية الآيات. وهل هذا أسلوب بدعي من الاحتجاج العربي البلاغي يمكن مقارنته بمنهج: ﴿**فويل للمصلين**﴾؟!

* أما إشارة فضيلة الدكتور آل عبداللطيف إلى ما كنت ألمحت إليه من اهتمام وزارة التربية في فرنسا بصورة العرب والمسلمين في مناهجها، وتساؤله الاستنكاري كذلك عن إمكان فهم الإسلام من خلال قصص ألف ليلة وليلة والأيام لطه حسين...إلخ فكأن الأستاذ الفاضل يعتقد أن إيرادي لذلك كان في معرض الإعجاب والثناء على صنيع الفرنسيين. وكل قارئ لبيب لما كتب العبدالفقير لايستنتج ذلك فيما أعتقد إلا أن يكون مسكونًا بحكم مسبق خاطئ عن الباحث وفكره ومدرسته الوسطية، وإلا فبالله كيف يستخلص باحث في مستوى الدكتور آل عبداللطيف ذلك؟! غاية ماقصدت إليه - ياسيدي - هو استلهام العبرة من خصومنا الحضاريين حين يهتمون بدراستنا، ولكن على هذا النحو من التشويه والإيغال في إذكاء العداء الحضاري، على حين نعطيهم الذريعة في ذلك حين نلزم الصمت حيال بهتانهم من خلال اعتمادهم على الأساطير والأسمار، وما لايمثل مصدرًا معتمدًا من الناحية العلمية، فلم لا ندحض ذلك بتقديم الصورة الحقيقية المتكاملة عن تصور المسلم للآخر من

خلال نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة؟ وكيف ينبغي أن يتربى جيلنا على هذه المتضمنات والمعاني، كي لا نكون فتنة للذين كفروا؟ وأظن أن الدكتور الكريم يميز بين عداء الدوائر الأجنبية الاستكبارية في الغرب وبين عامة شعوبها التي تمثل ضحايا لها. وطرح استعلائي عدائي كالذي يروج له بعض الغيارى غير الواعين من أبناء جلدتنا إنما يسهم في تعزيز تلك الصورة الخاطئة عن دين الرحمة للعالمين.

* قال الدكتور الفاضل عن مسألة القيام للجنازة «تحدث الكاتب عن القيام لجنازة الكافر بشيء من الانتقائية، وكأن الكاتب لم يكتف بهذا القيام الدؤوب للغرب من حكومات المسلمين. فأراد لشعوب المسلمين أن تقوم لجيف الكفار». ثم طالب أن تعرض المسألة بموضوعية، بعيدًا عن الأحادية في التقرير، وتحرير الخلاف فيها، زاعمًا أن المراد بأهل الأرض في الحديث أهل الذمة، كما جاء في الصحيحين، متهمًا الباحث بأنه لم يورد الروايات المفسرة للعلة في ذلك، وأورد بعض تلك الروايات.وهنا أقول لايخفى على القارئ الفطن أن ردود الأفعال وواقع الأمة المغلوبة على أمرها من وراء بعض أحكام الدكتور آل عبداللطيف وتقريراته، إذ ماذنبي وذنبك وذنب الشعوب المسلمة، بل وما ذنب الإسلام أولاً إذا كانت ثمة تجاوزات أو حتى عظائم ذنوب وموبقات ترتكبها حكومات أو أفراد أو جماعات متلبسة بالإسلام، وإلا وقعنا في تناقضات لا آخر لها إذا كانت القاعدة أنه مادام حاكم أو فرد أو جماعة ما تفعل هذا الخطأ أوتلك الخطيئة، ثم تبحث لها عن مسوغ من الشرع أو لا تبحث، فتصبح ردة الفعل عندنا عمياء لاتميز بأن الحكم الشرعي وما يتلبس به المذنب من سلوك آخر مناف له.

عجبًا لك - أخي الفاضل - أوَ تريدني أن أذكرك بما اتهمت به أخاك من أن رد الفعل هو المسيطر على دراسته، وهو منه براء - بإذن الله - بل هذا ما وقعت فيه أنت تمامًا هنا؟!مع التأكيد أن في مسألة القيام لجنازة المسلم وغير المسلم حكمًا شرعيًا ثابتًا بنص الحديث الصحيح، لايغير منه سلوك فرد أو جماعة أو حكومة. على أن من البداهة أن هذا الحكم لايتناول الأعداء



المحاربين ومن في حكمهم، سواء كانوا أهل كتاب أم غيرهم، وإنما المقصود كل مسالم أو معاهد داخل المجتمع الإسلامي أو خارجه، دون اقتصار ذلك على أهل الذمة وحدهم، كما أصر الدكتور، إلا أن يقصر ذلك المسلك عليهم وحدهم، استنادًا إلى ماورد في الصحيحين. وهو أمر- في الواقع - يتناقض مع العزة الإسلامية التي ما برح الدكتور يرهب كل مخالف له بأنه مفرط فيها. كما أنه يخالف منهجه الظاهري هنا، حيث لا أعلم رواية صحيحة أوردت غير اليهودي، أي النصراني مثلاً، فكيف قبل الدكتور الفاضل قياس النصراني على اليهودي، وأنكر سريان ذلك على كل معاهد أو مسالم آخر؟ هل المسألة انطباعات تقررها التربية المدرسية الخاصة، أم هي قضية منهجية منضبطة؟ وحين أوردت الرواية التي أشار إليها الدكتور آل عبداللطيف أوردت كذلك الرواية الصحيحة الأخرى في صحيح مسلم التي ضرب عنها الدكتور آل عبداللطيف صفحًا حين أبى إلا هذا الحصر، وانتقى ما ينسجم وقناعته، على حين أن يتهم أخاه بالانتقائية والأحادية.

إن الرواية الأخرى هي الرواية التي فهم منها بعض رواة الحديث نفسه المعنى الذي لايقصرها على أهل الذمة من اليهود والنصارى وحدهم، بل تتناول كل كافر غير محارب. وأعيد إلى ذهنه والقارئ الكريم الرواية الأخرى في مسلم: «فعن ابن أبي ليلى عن قيس بن سعد وسهل بن حنيف أنهما كانا بالقادسية، فمرت جنازة فقاما لها، فقيل لهما «إنها من أهل الأرض». وقد ذكرت في الدراسة ما ذكرنا به بعض الباحثين من أن سكان القادسية يوم ذاك كانوا مجوسًا، مما يفيد تناول الحكم كل إنسان بصرف

النظر عن دينه ومعتقده.

وتبقى أمور ثلاثة أمام الدكتور الكريم - إذا ظل مصرًا على فهمه الخاص لدلالة الحديث - أولها: أن ينكر حقائق التاريخ فيزعم أن أرض القادسية كانت موحِدة أو أن سكانها كانوا أهل كتاب حينذاك، وهو اعتراض افتراضي لا أحسب باحثًا في مستوى الدكتور الكريم يوقع نفسه فيه. والأمر الثاني أن يحتج فضيلته بأن القاعدة المحكمة في هذا أننا نسن بالمجوس سنة أهل الكتاب، وهذا كفيل بدحض تأكيده أن ذلك خاص بأهل الذمة من اليهود والنصارى وحدهم. أما الأمر الثالث فهو أن يعترض فضيلته على قيس بن سعد وسهل بن حنيف بدعوى أن لاحجة في فهمهما ولا فعلهما حتى وإن كانا من رواة الحديث محل النزاع في فهم دلالاته، وهنا يقال : أفيكون الاحتجاج الذي لايجوز مخالفته هو في فهمنا وفعلنا المعاصر؟!

أما مسألة العلة التفسيرية لهذا القيام فقد اضطر الدكتور إلى أن يصول ويجول ويبحث في الروايات الغريبة والشاذة، التي يعوزها التحقيق، لمناقضتها السافرة للعلة التفسيرية الصريحة البيّنة في صحيح مسلم التي قال فيها النبي ﷺ أليست نفسًا «جوابًا على من اعترض بقوله:«إنه يهودي».

ولاحظ أن من اعترض من الصحابة. رضوان الله عليهم - كما يعترض كثيرون اليوم - سكت رضى وقناعة بالحكم النبوي، غير أن في الناس الأمس واليوم - وبعضهم ينتسب إلى أهل العلم - من يشعرك بأنه يستدرك على النبي - أستغفر الله - على حين يشنع على المخالف له في الفهم بأنه منهزم مجامل عقلاني لايقف عند حد دلالة النص وظاهره !

على أننا لو سلمنا معك بالصحة فيما أوردت من روايات لحملنا ذلك على تعدد الوقائع كما في أمر الجنازة وأنها يهودية في رواية ويهودي في رواية أخرى، وكلتاهما في صحيح مسلم، غير أن هذا لاينفي الرواية الأصلية الصحيحة الصريحة المعللة للقيام بكرامة الإنسان من حيث هو إنسان حيًا وميتًا. هذا مع التشديد على الفارق الواضح بين رواية في صحيح مسلم صريحة وروايات أخرى في غير السنن الأربع، ناهيك عن الصحيحين أو أحدهما .

* أما عن مبدأ الكرامة الإنسانية المستند إلى قوله تعالى:﴿ ولقد كرمنا بني آدم... ﴾الآية. فإنه لا يتعارض ومبدأ التكريم الخاص للموحد المؤمن في قوله تعالى:﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم.ثم رددناه أسفل سافلين.إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات... ﴾الآية من سورة التين. ذلك أن الآية الأولى محمولة على عموم الجنس الإنساني من حيث هو أدمي فهو مكرم، ويؤكد هذا المعنى الحديث آنف الذكر:«أليست نفسًا». على حين تحمل الآية الثانية على التكريم الخاص بالتوحيد والاستقامة وحسن المسلك. أي أن درجات هذا التكريم هي في مدى الاستقامة، أما حين لايرتقي الإنسان في سلم الاستقامة فإنه ينحدر إلى أسفل السلم، غير أن هذا لاينفي عنه التكريم الأصلي، وإلا فكيف سنفسر - على سبيل المثال - قوله ﷺ في الحديث السابق عن اليهودي أو اليهودية - بتعدد الروايا ت في صحيح مسلم - الذي قام النبي لجنازته أوجنازتها:«أليست نفسًا»؟

* طالبني الدكتور آل عبداللطيف حين تحدثت عن حرية الاختيار أن أجمع أطراف المسألة فأورد، مثلاً، حديث «أمرت أن أقاتل الناس حى يشهدوا أن لا إله إلا الله...»الحديث. ولو أن الدكتور الفاضل صبر على أخيه حتى نهاية الدراسة لألفى ماطالب به قائمًا في ثنايا الجزء الثالث من الدراسة ص ٩٥ – ٩٦، وهناك تمت مناقشة الاستدلال بالحديث بما يبدد شبهة الإكراه، ولعلك تكون قد اطلعت عليه بعد نشره.

* لعل الخطأ المنهجي الحقيقي والوحيد الذي أشكر الدكتور الكريم على تنبيهه لي عليه، وأجد من الشجاعة ما يدفعني لأن أقر بأنه كان يتطلب دقة وضبطًا، ما ورد من النقل عن ابن حزم فيما يتصل بعدم جواز إجبار الأسير الكتابي على مفارقة دينه، حيث أوردت تقرير علماء الإسلام أنه لايجوز إجبار الأسير أو الكتابي نقلاً عن ابن حزم رغم أن عبارة ابن حزم تقتصر فقط على الأسير الكتابي. وأنا وإن كنت انطلقت لاشعوريًا في ذلك من تقرير حقيقة أن الإكراه مرفوض في دين الله بموجب النصوص العديدة التي أوردت طائفة منها في الدراسة، وهو ماأؤكده هنا، غيرأن ذلك لايؤذن بنقل متسرع يوحي أن صاحبه قد صرّح به، والأمر غير ذلك .

* ومن اتهامات الدكتور آل عبداللطيف أنني وقعت في اللبس والتلبيس حين دعوت إلى

القواسم المشتركة بين أهل الأديان السماوية، إذ لم أفرق بين اليهود الذين اتبعوا موسى والنصارى الذين اتبعوا عيسى، فهؤلاء هم المسلمون. أما اليهود القائلون إن عزيرًا ابن الله والنصارى القائلون بالتثليث فهؤلاء كفار اتفاقاً.والواقع أن وصفه لأخيه باللبس أو التلبيس يتضمن اتهامًا للنوايا كنت أربأ بالدكتور الكريم أن ينزلق إليه. فهل يعتقد ـ مرة أخرى ـ أن العبدالفقير يعد اليهود والنصارى مسلمين بالمعنى الاصطلاحي للإسلام، حتى يضطر إلى الاستشهاد بمقولة ابن حزم؟ أما عدم تفريقي بين الصنفين المذكورين من اليهود والنصارى فهو لزوم ما لا يلزم، إذ إن المقصود في سياق الحديث عن أسس التعامل مع الآخر هو التوحيد على سبيل الإجمال، المتضمن الألوهية والرسالات واليوم الآخر. أما الدخول في التفاصيل فهذا إقحام لا مسوغ له هنا. وحتى يتبين أكثر مقصودي فدعني أتساءل: هل يمكن أن ينازع أحد في أن الفرق والطوائف الإسلامية التي يشوب اعتقادها قدر قليل أو كثير مما يتناقض صراحة والتوحيد النقي مصنفة ضمن المسلمين الموحدين على سبيل الإجمال؟ أي أننا إذ نتحدث عن المسلمين لانستثني تلك الفرق والطوائف الموصومة بالشرك والانحراف في التوحيد، رغم أننا إذا تحدثنا في سياق التوحيد النقي وما يناقضه نأتي عليها بالذكر والتفصيل من غير تثريب. وهل نسيت (مقالات الإسلاميين) لأبي الحسن الأشعري، رغم أنه أورد في كتابه من لايمكن عدهم في إطار الإسلام من الأساس؟

* احتج عليّ الدكتور حين استشهدت بجواز مخاطبة الملوك بألقابهم المعروفة استنادًا إلى مخاطبة النبي ﷺ لهرقل بوصف «عظيم الروم». وطالبني بأن أتم الحديث المتعلق بمخاطبة النبي ﷺ لهرقل حيث ورد فيه:«سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم.....». الحديث. مستخلصًا ـ تبعًا لابن حجر ـ أن:«المقام مقام دعوة، وهذا اللقب ـ عظيم الروم ـ لمصلحة التأليف».ومع أني أوردت محل الشاهد من الحديث فقط ـ وهو عرف علمي جار من غير تثريب ـ إلا أن ليس في تتمة الحديث ما يشغب على سلامة الاستشهاد الذي خلصت إليه، ولا شك أنني في هذا تبع لآخرين ـ إذ هذا شرط عند بعض مقلدة أهل العلم ـ ولكني لست مضطرًا إلى إيراد نصوصهم لما سبق أن ألمحت إليه في بداية الدراسة ومستهل الرد من أن ليس قول هذا الفقيه أوذاك بأولى من سواه إلا بقدرما يمتلك من سند علمي مكين. ولست أدري لماذا أغفل الدكتور الكريم الروايات الصحيحة الأخرى التي أوردتها في الدراسة كتلك التي رواها ابن عباس في البخاري أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى فأمره أن يدفعه عظيم البحرين إلى كسرى؟ إلا أن الحديث صريح في أن من العاديّات ذكر مقامات الناس ومنازلهم حتى لو لم يكن ذلك في معرض الخطاب للدعوة والتأليف بل بوصف ذلك أمرًا واقعًا. ومع هذا فهل يظن الدكتور الكريم في أخيه أنه لايرى ضرورة للدعوة؟كيف فهم ذلك رغم أن ثاني الأسس في التعامل مع الآخر التي أوردتها في الدراسة هي الدعوة إلى الله. ومخاطبة الآخرين بمثل ذلك الأسلوب الحكيم من أجل هذا الهدف أمر لايمكن لمسلم، فضلاً عن كاتب يحترم نفسه وقراءه أن ينازع فيه. لكن من الواضح أن الدكتور يرمي إلى أنه إذا انتفى هذا الهدف فإن الخطاب يختلف، فلا معنى للمهادنة والتعايش، فضلاً عن إظهار معاني التلطف والمودة. والحقيقة أن منطقًا كهذا الذي لايرى في المسلم إلا داعيًا إلى فكرته فإن استجاب الآخر كان بها، وإن لم يستجب فإن السيف مصلت على رقبته على نحو أو آخر، أمر يتناقض تمامًا مع الروايات الأخرى المشار إلى إحداها، كما يتعارض مع قول الله تعالى:﴿ **ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنًا...** ﴾، ولا يتماشى مع حديث القرآن الكريم والسنة المطهرة عن اليهود والنصارى بوصفهم أهل كتاب.كما أنه يتصادم صراحة مع أحكام أهل الذمة من أهل الكتاب ومن في حكمهم، التي منها جواز عقد المصاهرة ورابطة النسب. ومعلوم أن الزواج يعني تحقيق المودة والرحمة مصداقًا لقول الحق ـ تعالى :﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم:٢١] . فبالله دلني على المعنى الذي تروم الوصول إليه وهو تحقيق هدف الدعوة الذي ما لم يتم فلا تعايش، فضلاً عن مودة ورحمة.

* حين أوردت تعبير السيد محمد رشيد رضا – وهو مفسر سلفي شهير– في تفسير قول الله تعالى :﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** ﴾ الآية، بأن ذلك هو مايعبر عنه بالانتخاب الطبيعي وصفني الدكتور

الفاضل بأنني أتوارى من تقرير الصراع بين الحق والباطل وجهاد أعداء الله تعالى. ثم أورد تفسير العلامة عبدالرحمن السعدي الذي يذهب فيه إلى تقرير حقيقة الصراع بين الحق والباطل وفق ما يراه الدكتور آل عبداللطيف صريحًا واضحًا. وسؤالي هل أنا متعبد بلفظ ما دون غيره مادامت الدلالات واحدة أو متقاربة؟وعجبي لك- يادكتور- تتوارى عن اتهام السيد رشيد رضا ولا تتورع عن اتهام العبدالفقير، مع أنه مازاد على أن أورد تفسيره؟ فما حجم تأثير التلميذ الصغير بجانب الإمام السلفي الكبير؟ وقد قيل: «زلة العالِم زلة العالَم». فإذا كانت ثمة زلة حقًا فهي واقعة على عاتق السيد رضا!

ومرة جديدة يقع الدكتور آل عبداللطيف في الاستشهاد غير الموفق عندما يعمد إلى تقديم قول لمفسر على آخر من غير مستند علمي قويم، فقد ظن أنه حجني بتفسير السعدي ونسي أو تناسى - ربما - أنني أوردت تفسير رضا، فما الذي رجح تفسير الأول على الثاني، على الرغم من أنني لا أعثر على تعارض حقيقي بينهما، وإنما هو اختلاف لفظي وتفصيلي ليس أكثر؟

* زعم الدكتور الكريم أني زعمت أن قاعدة «أهل الذمة لهم مالنا وعليهم ماعلينا» خاطئة، وإنما يكون ذلك لأهل الإسلام مستشهدًا بحديث لاعلاقة له بموضوعنا ألبتة، وكأنه سينسخ به جملة الآيات والأحاديث الأخرى التي استخلصت من خلالها هذه القاعدة الشهيرة. وأردف بقوله:«أفتجعل - يادكتور أحمد - المسلمين كالمجرمين؟». وأقول لك- يادكتور عبدالعزيز: لم أزعم ذلك أنا بل هذه قاعدة فقهية قديمة حديثة مقررة متعارف عليها بل ومتفق بين جمهور أهل العلم على صوابها.أما أن تجد من لا تروق له تلك القاعدة فهذا من قبيل النادر الذي لاحكم له. ولأهل العلم أن يقارنوا بين حديثي وحديثك في هذه المسألة بالذات ليحكموا من خلالها على سلامة منهجك العام أوخطئه، وكذلك العبدالفقير. خصوصًا أنك أبعدت النجعة حين ضخمت الأمر بقولك:«أفنجعل المسلمين كالمجرمين....»، ولأهل العلم - مرة أخرى - أن يحكموا بيننا هل كل مخالف لك من غير المسلمين مجرم على إطلاقه؟فأين تذهب إذًا بالآيات والأحاديث التي توصينا بالبر بالمسالمين من المشركين، فضلاً عن أهل الذمة والإحسان إليهم، كما تتوعدنا بعض النصوص النبوية الصحيحة التي أوردنا طائفة منها في الدراسة بعدم إراحة رائحة الجنة إن نحن آذيناهم، وأن إيذاءهم إيذاء مباشر للنبي- عليه الصلاة والسلام -. ولو كانوا مجرمين بإطلاق لما جاز لنا مصاهرتهم وإقامةعلاقة المودة والرحمة بين الزوج المسلم والزوجة الكتابية، كما تقوم بعد ذلك علاقات القرابة وصلة الرحم بين الزوج وأهل زوجته وأخوال أبنائه وبناته وخالاتهم، وأجدادهم وجداتهم... إلخ. أفيقع ذلك كله بين من نعتقد إجرامه، ولا شك أنه يعلم ذلك عنا، إذ إن بعضنا يعتقد أن هذا من قبيل إظهار العزة الإسلامية وإذلال غير المسلمين؟ ولماذا نستغرب كفرهم بالإسلام إذًا؟بل وتآمرهم عليه ومحاولة القضاء على أهله قبل أن يشتد عودهم فيتمكنوا من القضاء عليهم؟ فليتغدوا بالمسلمين -كما يقال - قبل أن يتعشى المسلمون بهم، ولهم حججهم الموضوعية في ذلك بفضل هذا المنطق الدعوي العجيب حقا !!

ويندرج في هذا ماأخذه عليّ الدكتور حين تبنيت قاعدة أن الأصل في العلاقات هو التعايش في حال السلم والاستثناء هو التناحر في حال الحرب. واصفًا ذلك بأنه مغالطة مكشوفة، إذ الولاء أوثق عرى الإيمان. فكأن الدكتور الكريم لم يستوعب من حقيقة هذين المبدأين إلا استلزامهما لمقاتلة كل مخالف لنا في الدين وإذًا فإن الإشكال آنف الذكر حاضر هنا كذلك.

* ظن الدكتور الكريم أنني إذ أنقل عظمة السلم مستشهدًا بعدد من أسلم بعد صلح



الحديبية أني أزهد في مبدأ الجهاد، ولذلك ذكرني بما سبق ذلك من غزوات الرسول قبل صلح الحديبية، وما آل إليه وضع دعاة السلام اليوم وطغيان معسكر الكفر إزاء دعواتهم.وهنا لايسعني إلا أن أبدي استغرابي مما طبع ذهنية الدكتور آل عبداللطيف من سوء ظن بعيد بأخيه. أو تظن أن أخاك ممن يرفض أو يخجل من شرعة الجهاد على أصوله ووفق فهم جمهور علماء الإسلام له كي تذكره بدعاة السلام الهزيل بل الاستسلام، ودهاقنة التطبيع؟! أبلغ بك الأمر هذا المدى لمجرد أنني أخالفك الرأي في حرصك على إعلان حالة الحرب الحقيقية على كل مخالف لك في الدين إلا أن تستعبده أو تسترقه؟!

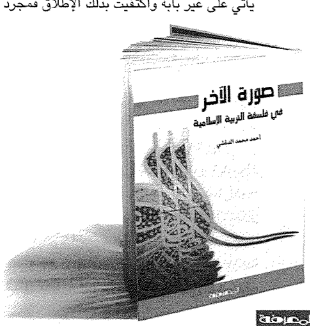
* واصل الدكتور اتهاماته للعبدالفقير فرماه بالتكلف في تأويل قول الله - تعالى: ﴿ **ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى..** ﴾ الآية والحمد لله أنك أقررت هذه المرة أن أخاك لم يبتر الآية كما زعمت من قبل، حتى إنك حين أردت أن ترد عليه مازدت عن إيراد الآية بتمامها وهو ماسبقك به وناقش ماقيل في ذلك.ولهذا فا عذرني إن قلت إنك لم تأت بجملة واحدة مفيدة تدحض ما توصل إليه، وما جئت بغير ما جاء به هو من إيراد لدعوى من زعم أنها فيمن آمن بمحمد ﷺ وقد فند ذلك بمنطق قوي في زعمه لم تقترب من ملامسة حجته بمثلها . أما إطلاق الألفاظ على عواهنها كقولك إن أفعل التفضيل قد يأتي على غير بابه واكتفيت بذلك الإطلاق فمجرد دعوى يعوزها الإثبات فيما نحن بصدده وأنى لك ذلك؟وأما الاتهام بالتأويل المتعسف ونحو ذلك فيؤسفني أن أردد ماقالته العرب قديمًا:«رمتني بدائها وانسلت».فهذا في الواقع من منهجك حين تجد نفسك واقعًا أمام نصوص محكمة صريحة صحيحة تخالف مسلماتك.وأنا أقبل حكم المحققين من أهل العلم بين منهجي ومنهجك في هذا الجانب بالذات.

* زعم الدكتور الفاضل إغفالي الشروط العمرية. ولما كان يعلم أن كثيرًا من بنود هذه الاتفاقية - إن صح التعبير - مما يعوزه التحقيق في سنده ومتنه بل هو ضعيف وغير ثابت، ويتناقض مع محكمات الكتاب الكريم والسنة القولية والعملية للنبي- صلى الله عليه وسلم - والراشدين من خلفائه، فقد عمد إلى ترديد مقولة ابن القيم غير الدقيقة - على جلالة قدر ابن القيم - :«وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها». وهو هرب غير ذكي من تحكيم المنهج الحديثي العظيم.وكأنه بذلك سيريح نفسه من عناء البحث ونتائجه التي يعلم سلفًا أنها لن تكون في صالح دعواه. ولست أدري لماذا شنع فضيلة الدكتور على أخيه قبلاً على ذلك النحو المبالغ فيه حين زعم أن قاعدة «لهم مالنا وعليهم ماعلينا» فيمايخص أهل الذمة خاطئة بل استشهد على خطئها بقول الله تعالى:﴿ **أفنجعل المسلمين كالمجرمين...** ﴾، رغم أن شهرتها بين الفقهاء وعلماء الإسلام بما لامزيد عليه، وذلك من خلال جملة النصوص الشرعية الصحيحة القاضية باستنباط تلك القاعدة العامة.

ومن جانب آخر فهل يقبل الدكتور آل عبداللطيف تحكيم قاعدة المشتهر مع ضعف سنده ولا سيما في قضايا كلية كبرى في كل حين؟ أرجو أن يجيبني، وبناء على إجابته أستطيع أن أقدم له جملة من التفاسير والأحكام والقواعد المشتهرة التي تفتقر إلى السند العلمي الصحيح، وعلمي أنه أول من يردها لهذا السبب قبل غيره.

* وأما حديث الدكتور في آخر تعقيبه عن ضرورة الاعتزاز بالدين فنرجو من فضيلته ألا يقع في شرك المزايدة على مخالفيه في هذا الأمر - من حيث لم يقصد - ، فإذا كانت العزة تعني لديه ادعاء الغيرة على الدين أكثر مما يدعو إليه الدين نفسه، وإنما بسبب التأثر بأحداث التاريخ القديم والمعاصر فلا شأن لنا بهذه العزة العمياء، والاستعلاء الأهوج، ذلك أن الذي دفع إلى هذا المسلك أحداث طارئة، وليس نصوصًا محكمة.

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه■



في أوغندا :

مهمة التعليم مكافحة الفقر

المصدر : صحيفة هيرالد تربيون الدولية، ٣ اكتوبر ٢٠٠٤م
الكاتب : ريتشارد سينج
ترجمة : أحمد أبوزيد محمد

تنعكس رغبة أوغندا لتحقيق تطور حقيقي في ابتسامات أطفالها من الطلاب، وفي حقيقة مؤداها أن كثيرًا من الأطفال الآن يذهبون إلى المدرسة. فمنذ عام ١٩٩٧م، عندما بدأت الحكومة في تقديم التعليم الابتدائي العالمي، ارتفع عدد المسجلين في المدارس الابتدائية من ٣ ملايين إلى ٧,٦ مليون طالب في عام ٢٠٠٤م. وقد أدى هذا إلى زيادة معدل القراءة والكتابة من ٦٥٪ من عدد السكان إلى ٧٠٪ الآن. وافتتحت المدارس في أماكن لم تكن بها مدارس من قبل مطلقًا، ولكن مع ذلك ما زال هناك سبيل ما على الحكومة أن تسلكه كي تصل إلى المناطق الفقيرة في البلاد.

وقد حققت أوغندا أيضًا قفزات في مجال التعليم الثانوي والعالي إلى درجة أنها تجذب طلاب كثيرين من دول أخرى. وزاد عدد المسجلين في المرحلة الثانوية على سبع مئة ألف طالب، إلا أن القطاع الخاص هو الذي يتولى توفير غالبية المدارس في هذه المرحلة. أما الطلاب الراغبون في مواصلة تعليمهم العالي، فأمامهم فرصة للالتحاق بـ١٢ جامعة أهلية، بالإضافة إلى أربعة معاهد تمولها الدولة. وتوفر هذه الجامعات والمعاهد معًا ٧٥ ألف مقعد للدراسة.

إن التعليم في أوغندا يتم التعامل معه باعتباره أحد العناصر الجوهرية لمكافحة الفقر. أما معركة تحقيق صحة طيبة للمواطنين فعنصر أساس آخر لتحقيق هذه الغاية، على الرغم من أنها معركة ستستغرق من البلاد وقتًا أطول إلى أن تحقق النصر، خصوصًا أن أوغندا تنوء بأعباء أمراض ثقيلة من بينها الملاريا والإيدز (مرض نقص المناعة المكتسبة). وحل هذه المعضلة ينبع من تضافر الجهود الدولية المساندة وتصميم الحكومة على الاستمرار في إنفاق المخصصات الحكومية على برامج الرعاية الوقائية ونشر المعلومات الصحية العامة السليمة على نحو أفضل. وتتضمن خطط الحكومة الحالية تجنيد مزيد من آلاف العاملين في مجال التمريض، وزيادة كمية الأدوية التي يتم توفيرها لعلاج المرضى، وبناء مئتي وحدة رعاية جديدة للأمهات.

النمو السكاني وتحديات التنمية

صرح وزير المالية الأوغندي، جيرالد سندولا، أن معدل النمو السكاني المرتفع في البلاد، والذي يصل إلى ٣,٦٪ سنويًا، يشكل تحديًا خاصًا في حملة مكافحة الفقر. ويضيف أن معدل الإنجاب يصل إلى ٦,٩ طفل لكل سيدة، وهو ما يعد أعلى معدل خصوبة في قارة إفريقيا بأسرها.

وعلى الرغم من أن معدل الفقر في الدخل قد انخفض خلال فترة التسعينيات من ٥٦٪ إلى ٣٤٪، فإن معدل الفقر قد عاد إلى الارتفاع ثانية إلى ٣٨٪ في عام ٢٠٠٣م. وتفسر خطة التحرك للقضاء على الفقر هذه الانتكاسة بأن أعلى ارتفاع في معدل الفقر قد حدث في شرق أوغندا، حيث تدفقت أعداد ضخمة من النازحين إلى المنطقة، وذلك هربًا من مناطق الصراع في الشمال.

وتلقى رغبة الحكومة الصادقة في المبادرة لتبني مواقف خلاقة وتعاونية لمواجهة تحديات التنمية اعترافًا على نطاق واسع. فقد اعترفت المؤسسات الدولية بالانخفاض الحاد في انتشار مرض «إتش آي في» المسبب للإيدز، وهو الأمر الذي يعزى الفضل فيه للرئيس يوري موسيفيني الذي اعترف صراحة بالمشكلة منذ بدء الثمانينيات فصاعدًا، وشجع أيضًا على إقامة حوار شامل ساهم بدوره في مساعدة الشباب الأوغندي على أن يصبح أكثر وعيًا بالأمور الصحية.

وقد اتسمت خطة التحرك لمكافحة الفقر المعدلة بالصراحة؛ ولذلك وضعت مسألة «استعادة الأمن» على قمة أولويات الحكومة الحالية. فقد قدرت الخطة أن أوغندا فقدت ٣٪ من إجمالي إنتاجها المحلي سنويًا من جراء استمرار النزاعات، فالنازحون لا يمثلون عبئًا ماليًا فقط، وإنما لا يستطيعون أيضًا أن يقدموا أي مساهمة في اقتصاد البلاد.

وتهدف الخطة أيضًا إلى إيجاد السبل الكفيلة برفع مستوى الدخول المتدنية، وتحسين نوعية التعليم الذي يتلقاه الطلاب، ومنح الناس الوسائل التي تعينهم على تنظيم حجم الأسرة، واستخدام الموارد العامة للبلاد على نحو يتسم بالشفافية والفعالية. والخطة بهذه الأهداف والمضامين تعتبر بمنزلة وثيقة تحتذى للدول الفقيرة الأخرى. ■

الحاجة ماسة إلى تربية بيئية

ضمير ميت.. بيئة ملوثة

ليلى الموسى - الأحساء

بعد الطفرات العلمية الهائلة وتطويع مقدرات البيئة لخدمة الإنسان وارتفاع مستوى المعيشة في أقطار معينة وانتشار حمى الاستهلاك وتزايد جشع التسويق وغياب الوعي البيئي، ابتدأت الصيحات تتعالى بضرورة إعادة النظر إلى العيان وكتبت التقارير عن حدوث خلل في التوازن البيئي.

المهاترات البيئية تبدو استفزازية من كل الناس لكنها من المسلم أشد، وذلك لأن الإسلام رسم خطوطًا عريضة لا يمكن تجاوزها. فالأرض التي نعيش عليها جزء من الكون، إنه كون صديق مأنوس أعده خالقه لاستقبال الحياة وحضانتها وكفالتها وإقامتها، وسخره لهذا كله، وأمره فأطاع ﴿**ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين**﴾. فأقوات الخلق مقدرة فيها منذ خلقها، وفيها الكفاية. وهي أقوات مدخرة في تربتها الغنية العجيبة التي تنبت باستمرار وعلى مدار العام، لكن بطاقة معينة، إذا تجاوزها مسرفًا انخفضت قدرتها.

وفي الهواء الأكسجين، وثاني أكسيد الكربون، والنيتروجين، بنسب معينة غير قابلة للعبث. وفي جوف الأرض المعادن والبترول والغاز والمياه الجوفية، ولا يزال البشر عيالاً على هذه المدخرات، لكن مهما كانت كميات هذه الأقوات فإنها قابلة للنفاد، ولم تخلق لنا نحن فقط، بل للأجيال من بعدنا، لذا فالاستنزاف كفيل بنضوب كل هذه الأقوات. ﴿**والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون * وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين**﴾، فالمسلم يجد نفسه مع الأرض صديقًا خلقه الذي خلقها، بل إن بينه وبينها لحمة قرابة ونسب عريق فهو من الأرض نشأ وإليها يعود ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم**﴾.

إن الشعور بالسلام بين المسلم وبين الحياة والأحياء مسألة ذات قيمة شعورية، ذات أثر في حياة الإنسان الواقعية، فهو يستطيع مع هذا الشعور أن يمضي في طريقه مطمئنًا، وكلما كشف سنة من سنن الحياة جعلها للخير لأن كشفها لم يجئ نتيجة معركة إنما جاء نتيجة صداقة. فالسلام الروحي ضروري للإنسان، وأولى مراحله السلام مع الكون والبيئة من حوله، لقد كان رسول الله ﷺ يحب الكون ويحب بيئته، فكان يرى الهلال ويستقبله بفرح وهو يقول:«ربي وربك الله»، وكان يستقبل قطرات المطر بفرح ويقول:«إنها قريبة عهد عند الله». فهذا الشعور الإسلامي الصحيح اللطيف لا ينشأ في القلب إلا بالمعرفة الصحيحة لحقيقة الكون كما يعرضها القرآن. كان ﷺ يقول عن أحد:«هذا جبل يحبنا ونحبه» فيخلع عليه الحياة ويشعر بالحب منه كما يشعر بالحب له، وهذا هو الشعور الإسلامي الصحيح اللطيف الجميل لهذا الكون وما فيه، وهو لا ينشأ في القلب إلا بالمعرفة الصحيحة لحقيقة الكون كما يعرضها المنهج القرآني المتفرد الجميل، بل إن التربية البيئية كانت واضحة في عهد الرسول ﷺ وصحابته، قال الرسول ﷺ :«من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار». حملها الإمام أحمد على السدر الذي في الفلاة.

ومن روائع ما جاء به القرآن وأكدته السنة تدريب المسلم إذا أحرم بالحج أو العمرة أن يحترم البيئة فلا يحل صيدها، ولا يقطع شجرها، وجعل من مكة وحرمها محمية أبدية. ولعل من أوائل ما حفظناه من الحديث النبوي الشريف أن امرأة دخلت النار في قطة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض. وأن بغيًا من بغايا بني إسرائيل غفر الله لها لأنها سقت كلبًا كان يلهث من العطش. ومن الترهيب في حديث السدرة إلى الترغيب في جعل

غراس النبت من أعظم الأعمال الصالحة «ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل منه له صدقة».

وفي الحديث:«لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها الأسود البهيم».

فقتل الحيوانات بشكل متعمد وغير مباشر فيه حساب، والإبادة لنوع أمر غير وارد شرعًا. يقول الإمام أبوسليمان الخطابي إنه كره إفناء أمة من الأمم، وإعدام جيل من الخلق، حتى يأتي عليه كله فلا يبقى منه باقية. لأنه ما من خلق إلا فيه نوع من الحكمة، وضرب من المصلحة، وإن كان ولا بد فاقتلوا شرارهن وأبقوا ما سواها. وفي الحديث الصحيح روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال:«نزل نبي من بني إسرائيل تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج تحتها ثم أمر بيتها فأحرق بالنار فأوحى الله إليه فهلاً نملة واحدة». هذه قصة حدثت في جيل لبني إسرائيل، أوحى الله بها إلى نبيه بشأن نملة!! نعم نملة، نحن نسحقها ولا نلوي على شيء، ففي شريعتنا اعتُبر هذا عدوانًا، والعدوان بجميع صوره لا يحبه الله، ولا سيما إذا كان في صورة الإبادة، وفي حديث أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم الأسود عن عبدالله: «كنا مع النبي ﷺ في غار وقد أنزلت عليه ﴿ **والمرسلات عرفًا** ﴾ فنحن نأخذها من فيه رطبة. إذا خرجت علينا حية فقال اقتلوها فابتدرناها لنقتلها فسبقتنا، فقال رسول الله ﷺ: وقاها شركم ووقاكم شرها». فقوله: وقاها شركم فكأنه اطمأن وارتاح لما حدث، نجت الحية من الشر لتعيش وتكمل دورة حياتها بعيدًا عن الإنسان.

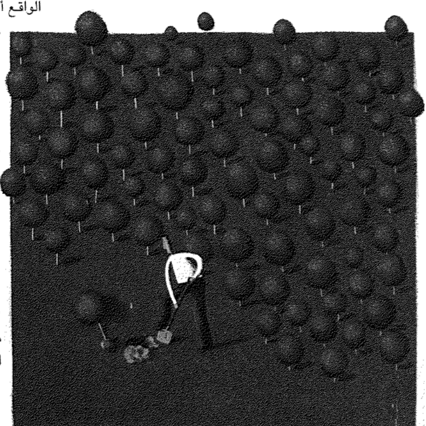
لكن اختيار الناس منهجًا غير منهج خالقهم أوجد خللاً في علاقة الإنسان بالكون والبيئة من حوله وظهرت الروح الاستعمارية وسادت السياسة النفعية المؤقتة التي تدمر كل شيء غير آبهة بالأجيال اللاحقة بها، لذلك كان ولا بد من سنن الله سبحانه وتعالى ﴿ **ظهر في الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون** ﴾. فالجزاء من جنس العمل في الحياة الدنيا وفي الآخرة. أما في الحياة الدنيا فخط الرجعة مفتوح لعلهم يرجعون، فالشعور بالخوف على المستقبل ونذير الخطر لدى الإنسان يجعله يعد العدة للمواجهة، لذا ظهرت المنظمات الإنسانية وآلاف المتطوعين لدرء هذا الخطر الذي يكمن في تهديد التوازن البيئي. ولعل نقطة البداية هي زيادة الاستهلاك أي الإسراف في كل شيء في الوقود والطعام والشراب واللباس...إلخ، ﴿ **كلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾ فالإسراف والجشع يحركان دوامة العبث البيئي.

البيت الكبير

البحار عجلة التوازن البيئي، وقد كان يعتقد لأجيال خلت أنها بمنأى عن التلوث، وتستطيع استيعابه لكن الواقع أثبت عكس ذلك، بل إن البحار سريعة التأثر بالضغوط البيئية، فالبحر الميت (البقعة الأكثر انخفاضًا في العالم) يهبط مستوى سطحه نحو متر سنويًا بسبب تجفيف مياهه لصناعة الأملاح وانحسار نهر الأردن.

وفي عالم البحار تعد الشعاب المرجانية بمنزلة بيت كبير للعديد من الكائنات البحرية التي تحصل على الغذاء والمأوى من هذه الشعاب.

وتعتبر مناطق للتزاوج للعديد من أنواع الأسماك والكائنات البحرية الأخرى، وذلك لتوفر الغذاء والمكان المناسب لوضع البيض. ومن ثم فإن هذه الشعاب تعتبر مناطق حضانة الصغار، ومن الخطر إزالتها وتدميرها لأن هذا سيؤثر في المخزون السمكي، وتعمل الشعاب المرجانية مناطق حماية للسواحل من العواصف والأمواج التي تهب عليها. وقد كان الاتجاه نحو صناعة



الأدوية من البحر، خصوصًا أن الاختبارات أثبتت توفر المواد الأولية لهذه الصناعية في الكثير من الكائنات البحرية من بينها المرجان. كما تم حديثًا استخلاص هرمون يستخدم في علاج بعض أمراض القلب، وبعض أمراض المعدة وهو موجود في بعض أنواع المرجان بتركيز يصل إلى خمسة ملايين مرة من وجوده في أي مكان آخر، كما يدخل المرجان في عمليات استبدال العظام المكسورة، وذلك لتشابه تركيبها مع العظام البحرية، لكن المخاطر التي تتعرض لها الشعاب المرجانية تؤدي إلى موتها، فخلال العقدين الماضيين فقد العالم ٢٠٪ من شعابه المرجانية ومن التهديدات التي تواجه الشعاب المرجانية كإنشاء قرى ومدن ساحلية بطريقة غير مسؤولة. ففي بعض الأماكن يتم صب الإسمنت فوق الشعاب المرجانية لزيادة مساحة الشاطئ، وتلوث مياه البحار الناتج عن التسربات البحرية، والصيد الجائر، واستخدام السيانيد، وكيماويات أخرى سامة؛ من شأنها أن تدمر ٧٠٪ من الشعاب المرجانية خلال العقود القليلة القادمة.

الصيد المفرط

إن جرائم الصيد التي ترتكبها السفن العملاقة تتمثل في شباك الصيد الضخمة التي تؤدي إلى اضطراب الحياة ونظام البيئة البحريين، فهي تتدلى كالستائر فتشكل حائطًا بطول يفوق عشرين كيلو مترًا وعمق عشرين مترًا. إن عددًا يفوق خمسة آلاف من الثديات البحرية منها حيتان العنبر (pilotwhale) والدلفين المخطط وعدد كبير من السلاحف التي تدنو الآن من شفير الانقراض - يكتشف كل عام هالكة في شباك الصيد!! وفي كل صيف يتوجه قباطنة الصيد لتنظيف المحيطات وتحويل السمك إلى مال. والمؤسف حقًا أن أساطيل الصيد ترمي حوالي اثنين وسبعين مليون طن من الصيد غير المرغوب فيه ما يعادل ثلث كمية الأسماك المصطادة سنويًا، وذلك لأسباب مختلفة، فقد تكون صغيرة جدًا أو اتلفت في أثناء عملية الصيد أو تجاوزت العملية المطلوبة!!

الأسماك تتغير

إن كل فرد يمضي ما بين ثماني ساعات وعشر ساعات على الشاطئ أو على مركب في البحر يولد ما مقداره ٢,٥ كيلو غرام من المخلفات الصلبة ونصف كيلو غرام من البلاستيك. ولو افترضنا أن نحو ١٠٠٠ شخص فقط يقصدون شواطئ الخليج يوميًا فهذا يعني أن ٢,٥ طن من المخلفات الصلبة ونصف طن من البلاستيك ترمى في الخليج يوميًا.

البلاستيك يحتاج إلى أكثر من ٥٠ سنة ليبدأ في التحلل ومياه الخليج تحتاج إلى مئة عام لتستبدل، من هنا يجب أن تبدأ حساباتنا لمدى الدمار البيئي الذي نحدثه في الخليج. وردًا على القائلين إن جزءًا كبيرًا من هذه المخلفات يتحلل بيولوجيًا ويشكل طعامًا للأسماك، لكن هذه المخلفات الغذائية تؤدي إلى نمو طحالب تستهلك الأكسجين المذاب في الماء وتمنعه عن اليرقات والأسماك الصغيرة والكائنات البحرية الأخرى، كما تعزز تكاثر أنواع جديدة من البكتريا قد تسبب تحولاً جينيًا في الأسماك. وهناك أبحاث علمية في هذا الخصوص تظهر أن الأسماك بدأت تتغير أحجامها وأشكالها وبدأت أعدادها تقل.

العالم ينقرض من حولك

الانقراض أمر طبيعي وربما ضروري في منظومة الحياة لكن الانقراض اليوم يتم بمعدل أكبر أربعين مرة من معدل الانقراض الطبيعي، حيث كان الانقراض في الماضي يتم خلال ملايين السنين. أما الانقراض اليوم فيكفيك أن تعلم أننا فقدنا مئات الآلاف من الأنواع خلال الخمسين سنة الماضية فقط، وإليك بعض الإحصاءات المسجلة:

* تمثل الثديات ما يقرب من ٤٣٠٠ نوع، ستين منها انقرضت وست مئة وخمسين نوعًا مهددًا بالانقراض.

* الزواحف حوالي ٤٧٠٠ نوع انقرض منها عشرون نوعًا، وهناك ٢١٠ أنواع مهددة بالانقراض.

* أما الطيور فقد انقرض منها ٧٥ نوعًا من إجمالي ١٠٠٠٠ نوع أشهرها الحمام الزاجل وهناك ما يقرب من ١١٠٠ نوع مهدد بالانقراض. لقد أعد المؤتمر العالمي للحفاظ على البيئة تقريرًا كشف فيه أن ربع الثديات مهددة بالانقراض بعد عشرين عامًا، بالإضافة إلى أنواع من الضفادع والرخويات والقشريات ومئة نوع من الأسماك البحرية منها: القرش والتونة. فبعد ٢٥ عامًا من فيلم الرعب (الفك المفترس) جاء الدور على أسماك القرش لتواجه رعبًا مماثلاً من الإنسان،

حيث تتعرض أسماك القرش لمجازر مخيفة نتيجة تنامي الإقبال على الحساء المصنوع من سمك القرش، والورتك والشفنين تقتل سنويًا. ويحذر بيئيون من أن هذه الحيوانات الرشيقة قد تختفي من البحار إذا لم توضع ضوابط لصيدها.

رئات الأرض تحترق

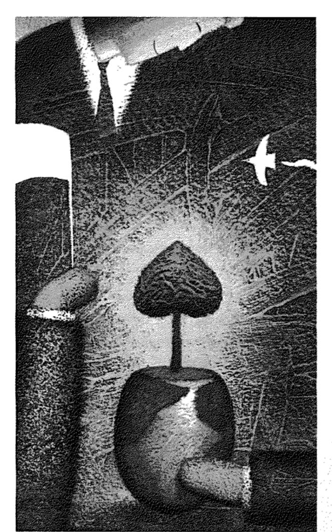
كانت البرازيل حتى عام ١٩٧٠م تحتوي على غابة، تسعة وتسعين منها عذراء في الأمازون، أما الآن فقد أزيل منها ما يقارب مساحة فرنسا، فقد تم قطع أشجارها وتم إحراق ما بين ١٢٪ - ١٦٪ من كامل المناطق النباتية. وتبلغ هذه المساحة ثلاثة ملايين هكتار أي ما يقارب مساحة بلجيكا، وتحوي غابة الأمازون على أكثر من نصف الكائنات الحية على هذا الكوكب؛ فهي جنة تنوع بيولوجي، ما أثر هذا القطع في تركيب الغلاف الغازي. إن عملية قطع الأشجار للصناعات الخشبية تشكل الخطر الأكبر على الغابات المطيرة القديمة، ولا سيما الأمازون فهناك ٢٥٠٠ منشر وشركة لقطع الأشجار و٢٦ شركة عالمية تعمل في الأمازون. ووفقًا للحكومة البرازيلية فإن ٨٠٪ من عمليات القطع في الأمازون هي عمليات غير شرعية.

أزمة ضمير

إذًا الأزمة التي نحن بصددها ليست أزمة اقتصادية أو سياسية، بل أزمة ضمير لا راعي له سوى منهج الله، أما إذا ترك وشأنه. وأعتقد أن الممارسات البيئية الخاطئة لا علاقة لها بالبيئة، فإن صوت الضمير سيخبو حتى يتلاشى كما حدث ويحدث، ولك أن تعرف أن من آثار موت الضمير الإنساني أن الإنسان لم يتورع من امتلاك كمية من القنابل النووية التي تستطيع أن تفجر الأرض ٢٣ مرة، بل إن علماء البيئة في باكستان وضعوا تقارير تبين أن قسوة الإنسان وجشعه البيئي كفيل أن يختصر عمر الحياة على الأرض إلى ٥٠٠ عام فقط.

ومنذ الثورة الصناعية ولعدة قرون اهتم الإنسان بالتنمية محاولاً تحقيق أكبر معدلاتها، كما عرف العالم النهج التخطيطي كوسيلة من وسائل زيادة معدلات التنمية في شتى مجالاتها، غير أن سعيه الدؤوب إلى تحقيق معدلات متزايدة من النمو جاءت في كثير من الأحيان على حساب بيئته التي يعيش عليها، إذ إن كثيرًا من مشروعات التنمية في أرجاء المعمورة كانت لها آثار سلبية في البيئة، ومع تفاقم المشكلات البيئية زاد الاهتمام بقضايا البيئة، وزادت بالتالي جهود المحافظة على البيئة، ومن ثم اتبع الإنسان سلوك النهج التخطيطي في إطار بيئي سليم، وصار واضحًا تمامًا ضرورة التلازم بين التخطيط والتنمية كعنصرين مهمين لاستمرارية تطور البشرية، إلى أن اتفق العلماء في مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية الذي عقد في ريو دي جانيرو على تعريف ذلك التلازم بـ(التنمية المستدامة).

ومن الثابت أن توفير المعلومات وزيادة القدرات والكفاءة التدريبية والمهارات هي من بين العناصر الأساسية والضرورية لمتخذي القرار بصفة عامة لتمكينهم من اتخاذ قرارات صحيحة كما نصت على ذلك أجندة أعمال القرن (٢١) الصادرة عن مؤتمر ريو دي جانيرو حول البيئة والتنمية. ونصت الأجندة نصًا في



أحد فصولها أنه لا ينبغي إهمال دور الأطفال والطلاب نظرًا لأهمية دورهم المتزايد تجاه البيئة حاضرًا ومستقبلاً، لتعودهم سلوكيات معينة تستهدف حماية البيئة وتنميتها.

ومما لا شك فيه أن التربية البيئية تساهم في رفع الوعي البيئي لدى الناس، وتغيير العادات غير المرغوبة بيئيًا، وتبديلها إلى سلوك بيئي إيجابي يساهم في تحقيق التنمية المستدامة، غير أنه من الأهمية بمكان مشاركة جميع فئات المجتمع ورجال الفكر والصناعة والإعلام وجمعيات النفع العام من خلال برامج مدروسة للتوعية البيئية.

لذلك لا بد من تسخير الإعلام من صحافة وتلفزيون من خلال التركيز على برامج البيئة، ولا بد أيضًا من أن تتناسب المناهج الدراسية المدرسية مع هذه الخطة، وأن تعقد الحلقات في المدارس للأطفال والكبار، وأن يشجعوا على طرح البحوث في هذا المجال مع رصد جوائز لها للوصول إلى الحلول المثلى.

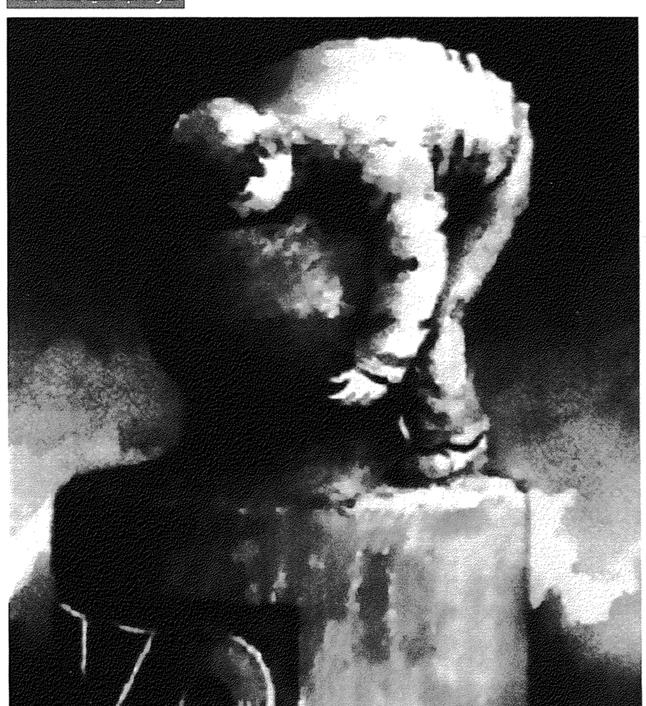
إن التربية البيئية من أحدث أنواع التربية في عصرنا وأعظمها خطرًا، فمن الأهمية بمكان معرفة ما يتعلق بالبيئة المحيطة بالإنسان. والمحافظة على عناصرها المختلفة، مما يهددها بالتدمير والتلوث، خصوصًا أننا أبناء الصحراء بكل ما تعنيه هذه الكلمة من النقص في الموارد الطبيعية كالماء والأشجار.■

المراجع

- صحيح مسلم.
- كتاب (مقومات التصور الإسلامي) سيد قطب.
- منشورات جمعية السلام الأخضر.
- مجلة البيئة والتنمية العدد ٤٠ - ٤١ .
- مجلة الكوثر ١٢ .
- كتاب التلوث وحماية البيئة (محمد العودات).
- موقع إسلام أون لاين.
- موقع green peace.

النفس المطمئنة وقوة الإرادة

الحارث عبدالحميد حسن* . بغداد



*استشاري الطب النفسي .

منذ البدايات الأولى لتأسيس تاريخ الفلسفة وعلومها، وموضوع «النفس» يأتي في مقدمة الطروحات والمباحث الفلسفية. فقد تحدث عنها سقراط وأفلاطون وأرسطو، وأسهب فيها فلاسفة المسلمين، مثل الفارابي والكندي وابن رشد وغيرهم. وترددت هذه الكلمة، جمعًا أو مفردة في كتب التوحيد لكل الأديان وخصوصًا الأديان السماوية.

وحظيت «النفس» بمكانة كبيرة ومؤثرة في القرآن الكريم، فجاءت لتعبر عن الذات الإنسانية، جسدًا وروحًا. وعلى الرغم من التباين إلى حد الاختلاف، أو الاتفاق إلى حد الائتلاف بين الفلاسفة والمنظرين والعلماء عبر الزمان والمكان، لمعنى مصطلح «النفس»، فإن الجميع باختلاف اللغة أو الفكر أو العقيدة، أعطوا للنفس قيمتها وقوتها في أن واحد. ودون الخوض بمعنى النفس وجوهرها، وما يصدر عنها من سلوك أو عمليات عقلية متعددة، يركز المنظرون على اختلاف عقائدهم ودياناتهم وأيديولوجياتهم الفكرية على النفس المطمئنة. والطمأنينة هنا، تعني الأمان، والشعور الجواني بالأمن الداخلي للنفس، وهذا دون شك، يمثل حاجة ضرورية وأساسية من حاجات الفرد واحتياجاته. ويجعل العلم الحديث في دراسة النفس، حاجة الأمان، الثانية في سلم أو هرم الحاجات الإنسانية بعد حاجة الجوع والعطش والهواء. ويبدأ الفرد بالبحث عن الطمأنينة والأمان منذ السنين الأولى في عمر الطفولة، إذ يجدها بين أمه وأبيه وأعضاء أسرته. وبعد أن يكبر، يبدأ بالبحث عنها بين أقرانه وأصدقائه وأبناء مجتمعه.

وتحتاج الطمأنينة في النفس إلى العديد من الخصائص والمستلزمات، كما تحتاج إلى منظومة كاملة ومتوازنة من القيم الأخلاقية والإنسانية. فلا طمأنينة دونَ تَعلُّم وتدريب على الصبر والتأني. ولا أمان دون إحساس عميق ومتجدد بالحُب والمحبة والتسامح والسلام. وبهذه القيم مجتمعة يتطور مفهوم التقوى، والذي يَعبُرُ عَنهُ بالعمل الصالح والسلوك الطيب الكريم. إذًا، نستنتج أن سلاح النفس المطمئنة هو الإيمان، الإيمانُ باللهِ، وكتبهِ ورُسُلِهِ، والإيمان بالذات، حيث التقوى والعمل الصالح، وحيث الصبر والتأني، وحيثُ الحُب والتسامح والكرم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والإنسان المؤمن المطمئن، هو الإنسان الشجاع، القوي. ولا تعني الشجاعة هنا، التهور، والاندفاع، وإنما رجاحة العقل، وقوة البصيرةِ والسريرة وصفاءُ الروح ونقاؤها. ونعني بالقوة، أيضًا، قوة العقل وتوازنهِ، ودهاء الفكر وسلامته، وهنا يلتقي الإيمان بالشجاعة، والطمأنينة بالقوة.

ويرتبط مفهوم الطمأنينة في النفس، بمفهوم الرضا والقبول، كما يرتبط بمفهوم الخلود والحياة الآخرة. فقد وعد الله تبارك وتعالى النفس المطمئنة بالجنة في كتابه العزيز، القرآن الكريم. والإيمان بالجنة، يعني الإيمان بالحياة الآخرة، والسؤال الكبير الذي طالما يجول في أذهاننا، هو: كيف نجعل من نفوسنا مطمئنة؟ والإجابة عن هذا السؤال، كبيرة أيضًا، بحجم السؤال نفسه وقوته. وقد كان لنا في معرض حديثنا عن النفس المطمئنة، إجابة ولو جزئية، عندما تناولنا: الإيمان والتقوى والشجاعة والصبر والتأني والمحبة والحب الكبير للذات وللآخر. ولكن لا يمكن لكل هذا أن يتحقق إلا من خلال قوة الإرادة. والإرادة مفهوم نفسي بياني وعرفاني في آن واحد.

فلا يوجد في منظومة الدماغ البشري عضو أو مركز أو موقع يمكن تسميته بإرادة، لذا فهي ملكة من ملكات العقل، والعقل بمعنى الفكر، هو نتاج العمليات الفيزيولوجية والبايولوجية مجتمعة في الدماغ البشري. وهي قوة عظيمة وخارقة في النفس البشرية، بها يرتقي الإنسان إلى أقصى الدرجات، وبها أيضًا ينحدر إلى أسفل الطبقات، لأن الإرادة الحية والفاعلة تتحكم في السلوك وتسيطر على الأفعال وتتفاعل مع العمليات العقلية في مجموعها، مثل الإدراك والتذكر والتفكير والتصور والتخيل. ومن أجل نفس

شجاعة وقوية ومؤثرة، لا بد من إرادة قوية وحية وفاعلة. لذلك فإن قوة الإرادة تعني فاعليتها وتأثيرها على مجمل السلوك الإنساني، فرديًا كان أم جماعيًا. ولا يمكن للإرادة أن تكون قوية وفاعلة إلا من خلال الوضوح في كل عمليات التفكير والإدراك والاستيعاب. فكلما اتضحت المواقف والصيرورات أمام العقل الفردي، وتوازنت قواه وعملياته، تقوت الإرادة من أجل الفعل والعمل الخلاق والمبدع والمؤثر. فلا يوجد عطاء إنساني أو إبداع عقلي، أو ابتكار ذهني إلا بالإرادة الفاعلة، لأنها هي وحدها القوة المحركة والدافع المحرك لسلوك ما، أو من أجل تحقيق هدف ما. وكما يقول علماء النفس: إن لكل سلوك دافعًا، نقول إن الإرادة الحية، هي التي تخلق السلوك الفعال الذي يحركه الدافع.

وعودة إلى النفس المطمئنة، التي لا يمكن أن تتشكل وتتكون وتنمو وتطور بصدق وإخلاص وإيمان ومحبة، إلا بقوة الإرادة المخلصة، التي لا يلويها الخضوع والاستسلام، ولا يشوبها الخوف أو الرهاب، ولا يزعزعها الظلم أو الهوان.



إذًا لا بد لنا اليوم أكثر من أي وقت مضى، أن نتحلى بقوة الإرادة، إرادة الخير والمحبة والسلام، إرادة الوئام والألفة والتسامح، إرادة الصبر والشجاعة والمطاولة والتأني، من أجل أن نحظى بنفس مطمئنة مؤمنة محبة متوازنة ومستقرة، لنرضي الله تبارك وتعالى ونحظى ونفوز بجنته الخالدة، ونحن رافعو رؤوسنا بكل شمم وإباء ومحبة وصفاء وشجاعة ومضاء من أجل حياة أفضل في عالم الناسوت وحياة أنقى في عالم الملكوت.

ولو جئنا إلى عالم اليوم.. إذ تزدهر ثقافة الموت وفنون الشر والكراهية والبغضاء والعنف، مقابل ثقافة الحياة وفنون الخير والمحبة والتسامح والعفو والاعتذار، نرى الإنسان الصافي فيه حائرًا أمام روح التكالب والعراك والمقاتلة، ومحبطًا أمام نزعة التعصب والتطرف والعدوانية. أين نحن من ديننا الكريم؟وقيمنا الفاضله الكريمة؟ التي تمتد أصولها ونظمها وقوانينها، عميقًا في بطن التاريخ الإنساني ومنذ فجر الحضارات السومرية والفرعونية واليونانية وغيرها.

إن قوة الإرادة في النفس المطمئنة، تملي على المثقفين والتربويين والمفكرين وأولي الأمر وأصحاب القرار أن نعيد قراءة الواقع بعين رائقة ونفس شفافة وعقل راجح وحكيم، ونبدأ بإعادة النظر بمناهجنا التعليمية على مختلف المستويات وابتداء برياض الطفل، وبرسالتنا الإعلامية، المرئية والمقروءة والمسموعة، وبأساليبنا التربوية في تنشئه الأجيال على المحبة والخير والسلام. وفي الوقت نفسه، لا بد لنا أن نكون صريحين وواضحين وجريئين مع الآخر، لنتحاور بشجاعة وسلمية حول حقوقنا في الحياة الحرة الكريمة، حقوقنا في الماء الصالح للشرب والهواء النقي والعلاج السليم والعدالة الاجتماعية، التي يموت في سبيلها الآلاف من الأطفال والنساء والشيوخ . نتحاور مع الآخر في حقوقنا حول الفقر والجوع الذي يعانيه الملايين من شعوب الأرض في دول الجنوب، لماذا نتصارع على الهيمنة والسيطرة والتهديد والتخويف تحت قوة السلاح بعيدًا عن الحكمة والالتزام بقيم الفضيلة وشرائع حقوق الإنسان؟ إن ثقافة المحبة بين الشعوب التي تؤدي بالضرورة إلى السلام، لا تكتمل إلا بثقافة الواقع المبني على الحوار السلمي، الحوار الهادئ الذي لا يمكن تحقيقه إلا عندما يصغي الآخر بقدر ما نصغي نحن!.. وبهذا يتحقق الائتلاف وترتفع راية القيم الفاضلة وتنحو النفس نحو الطمأنينة مع تجديد الطاقة الذاتية وقوة الإرادة.



اللجنة الوطنية لرعاية السجناء والمفرج عنهم وأسرهم

هيئة أهلية خيرية

أسرة السجين ... ضحية بلا ذنب

مشروع سلة رمضان لأسر السجناء الفقيرة

١٠٠,٠٠٠ سلة

قيمة السلة ١٠٠ ريال

تشتمل على ١٤ صنفاً

مساهمتكم معنا في هذا المشروع المبارك دعم وأجر لايضيع

نستقبل زكواتكم وصدقاتكم

طريقة المساهمة في المشروع :

- إيداع مبلغ مقطوع في حساب المشروع مع إرسال قسيمة الإيداع بالفاكس .
- تحويل من حساب إلى حساب (عبر أجهزة الصرف الآلي)
- تحويل من حساب إلى حساب عبر الهاتف المصرفي ٨٠٠١٢٤٦٦٦٦
- كتابة شيك باسم اللجنة وإرساله .

حسابات اللجنة

شركة الراجحي ٣٦١٠٠٠١٠٠٠

شركة الراجحي (زكاة) ٣٦١٠٠٠٠٠٦٩

البنك الأهلي التجاري ٢٢٣٤٩٦٠٠٠٠٠١٠٧

هاتف مجاني : ٨٠٠١٢٤٤٣٤٤ فاكس : ٢١٧١٦١١ ص . ب ٢٥٠٠٣ الرياض ١١٤٦٦

الموقع الالكتروني : www.pcare.org.sa

إذا أراد العرب أن يتحاوروا فليذهبوا إلى فرانكفورت!

أسامة أمين - ألمانيا

2004

عربي

معرض فرانكفورت للكتاب ٢٠٠٤
Frankfurter Buchmesse 2004
Frankfurt Book Fair 2004

Arabische Welt – Blick in die Zukunft
Arab World – Visions of the Future
العالم العربي - رؤى المستقبل

Ehrengast – Guest of Honour – ضيف الشرف
Ausstellungen • Autoren • Film • Tanz • Theater

Präsentation des Ehrengastes
Messegelände: Forum – Ebene 1 und Freigelände

Arabische Verlage
Messegelände: Halle 6.1

INFORMATION
Frankfurter Buchmesse
www.buchmesse.de

Arab World
www.frankfurtbook-arabguest.net

Kontakt-Büro Frankfurt
www.arabworld2004.de

6. – 10. Oktober 2004

FRANKFURTER MESSE

كان معرض الكتاب الدولي في فرانكفورت، هذا العام، ذا نكهة فريدة، لأن العالم العربي الذي كان (ضيف الشرف)، جعل منه فرصة ذهبية، للقاء والتحاور، لكن ليس بين الحضارتين العربية - الإسلامية والغربية - المسيحية، كما كنا نتمنى، بل بين العرب انفسهم من جانب، وبين المشتغلين بأمر العرب من الأوروبيين، من جانب آخر. ولكنه يبقى رغم كل المآخذ تجربة فريدة، تستحق التأمل فيها، لمعرفة ما لها وما عليها.

يقف المذيع الشهير بالتلفزيون المصري، يحاور كبار الزوار من العرب، عن رأيهم في المعرض، فيشيد كل متحدث بدور حكومته الرشيدة، التي لم تبخل بشيء من الإنفاق على مشاركة بلاده في أكبر معرض كتب في العالم. ثم يلتقي المذيع من جديد حاكم إمارة عربية، قرر أن ينفرد بمشروع مستقل، وتولى تمويل ترجمة وطباعة حوالي ٥٠ كتابًا، كلفت حوالي مليوني يورو، وأخيرًا يجري حديثًا مع أدباء وكتاب عرب كثيرين.

ثم وجدت أطقم المذيعين والمصورين والفنيين في بقية محطات التلفزيونات العربية، يفعلون الشيء نفسه، يرافقون المسؤولين القادمين في الليلة الماضية، ليطرحوا عليهم الأسئلة التي كان من الممكن طرحها على أرض الوطن، قبل الإقلاع مباشرة، وكانوا سيحصلون على الإجابات نفسها، دون حاجة إلى شد الرحال، ونقل المعدات، وحجز الفنادق، والهرولة وراء معالي الوزير، وأخذ موعد مسبق من مدير مكتبه.

(ضيف الشرف) العالم العربي ١٩ دولة فقط

يعلم الجميع أن عدد الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية، يبلغ ٢٢ دولة، إلا أن ثلاث دول قررت ألا تشارك في جناح العالم العربي، وفضلت إحداها أن يقام جناحها في الصالة الخاصة بألبانيا، والتي يفصلها جدران كثيرة عن المشاركة العربية. وأخرى قررت أن تكون في الجناح نفسه، بشرط أن تكون بعيدة بعض الشيء عن بقية الدول العربية، مصرة على أن توضح لكل من طلب التفسير، ومن لم يطلب، أنها تنأى بنفسها عن هذه المشاركة.

وما دام الأمر كذلك، فلا عجب أن نجد أعلام الدول العربية الـ ١٩ فقط تزين مدخل البوابة الرئيسة، وفي الجانب الآخر من الشارع، رفعت منظمات صهيونية أعلامًا إسرائيلية، تستنكر من المبدأ منح العرب صفة (ضيف الشرف)، لأنهم «يرفضون وجود دولة مستقلة ومعترف بها في الأمم المتحدة وذات سيادة»، ليس ذلك فحسب، بل طالبوا بتدخل النيابة العامة في فرانكفورت، للتحقيق في وجود كتب «تعادي السامية، وتمجد الشيخ أحمد ياسين، وتطالب بزوال دولة إسرائيل، قبل عام ٢٠١٠م».

ولم يقتصر الأمر على (الدول المارقة) الثلاث، وعلى المنظمات الصهيونية، بل خرج علينا كتّاب عرب مزعومون، مقيمون في الغرب منذ عشرات السنوات، تخصصوا في ترسيخ الصورة المشوهة عن العالم العربي، ينتقدون كل شيء: استبعاد الدول العربية للمثقفين المعارضين، وفرض القيود على الثقافة، واستمرار وجود محرمات الدين والجنس في الأعمال الأدبية، ودور المؤسسات الدينية في مصادرة الكتب، والرقابة على المطبوعات على يد أجهزة الدولة. إلا أن المشكلة هي أن الإعلام

الألماني، تأثر بشكاوى هؤلاء (المساكين)، من باب (شهد شاهد من أهلها)، وكرروا هذه الاتهامات بحذافيرها.

عمرو موسى لمجلة (المعرفة): الغرب محق في بعض نقده

توجهت إلى أمين عام جامعة الدول العربية، السيد عمرو موسى، وقلت له: «المعرفة»، تريد أن تعرف رأيه في الانتقادات الغربية، والاتهامات اليهودية، فقال إن بعض الانتقادات التي يوجهها الغرب لأوضاع الثقافة عندنا في محلها، ولذلك فإن هذه المشاركة لن تنعكس إيجابًا على صورة العرب في الغرب فحسب، بل قد تجعلنا نعيد النظر في الأوضاع عندنا، ونغير من السلبيات الموجودة.

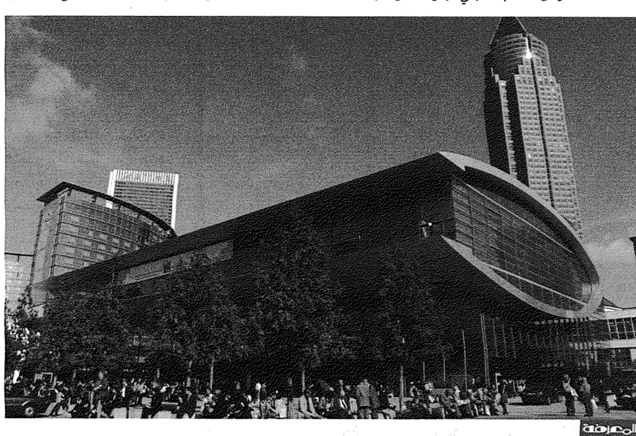
وسألته عن المظاهرة الصهيونية عند بوابة المعرض، وحملات التشهير في الإعلام والشجب والاستنكار، فقال ضاحكًا: دعونا نعمل في هذه المرة، ونترك لهم الشجب والاستنكار. أما استمرار بعض العرب في الانتقادات بسبب ودون سبب، فأعاد إلى الأذهان التردد وعدم الثقة التي أبداها الكثيرون منذ اليوم الأول لترشيح العالم العربي ليكون (ضيف الشرف) لمعرض الكتاب الدولي، وكيف كان هو متفائلاً منذ البداية، بأنه سيكون مشروعًا ناجحًا.

ورغم أن إدارة معرض الكتاب، اعتبرت أن المعرض هذا العام، كان «ناجحًا إلى أقصى درجة»، وأن العالم العربي كان «أكثر ضيف شرف تشويقًا وإثارة للاهتمام في تاريخ المعرض»، فلابد من تحديد معايير هذا النجاح.

مرحبًا بك في (زقاق المدق)

كان نجيب محفوظ الحاصل على جائزة نوبل في الأدب، حاضرًا من خلال أعماله المترجمة إلى الألمانية، والبالغ عددها ٢٢ عملاً، وفي كلمته في الافتتاح، والتي عاتب فيها الطرفين العربي والغربي على انتظارهما حدوث مواجهات خطيرة بينهما، حتى يسعى كل منهما إلى محطة اللقاء، إلا أن الحضور الأكبر لمحفوظ، كان في روح (الزقاق)، التي هيمنت على الجناح العربي، زحام كبير، وتدافع بين الناس، وطوابير للحصول على كتاب هدية، أو فانلة (تي شيرت) عليها شعار المعرض، أو لوحات مصورة للكعبة، أو حتى التمور والمعمول.

وتتوزع على جوانب (الزقاق)، صفحات من الخط العربي البديع، على ورق من نوع فاخر، ونقوش إسلامية فريدة من نوعها، تعرف الزوار بجمعية المكنز الإسلامي لإحياء السنة النبوية، من خلال نشر مسند الإمام أحمد أبن حنبل، كما تقدم طبعات متنوعة للمصحف الشريف. تجتذب هذه النقوش فرق التصوير الغربية، لتجد فيها ضالتها لمشاهديها، الذين لا يختلفون على الإعجاب



الشديد بهذا الخط العربي.

كان الجناح السعودي من أكثر الأماكن استقطابًا لكبار الزوار، وفي كل مرة يحدث زحام، ويكاد الطريق (الزقاق) يصبح مغلقًا، يهرول رجال الشرطة الألمان، ويتوجهون مباشرة إلى الجناح المواجه للمملكة، وهو الجناح الذي اختار أن يتربع بين الدول العربية، رافعًا علمًا لـ(كردستان)، ويسأل رجال الشرطة الجيران الأكراد الذين يفهمون اللغة العربية، ويتحدثون في الوقت نفسه الألمانية والتركية والفارسية، عن هذه الشخصية الكبيرة، فيخبرونهم بأن الزائر هو الوزير الفلاني، أو الشيخ العلاني، فيراقب أفراد الشرطة الموقف، حتى ينجلي الزحام، ثم ينصرفون.

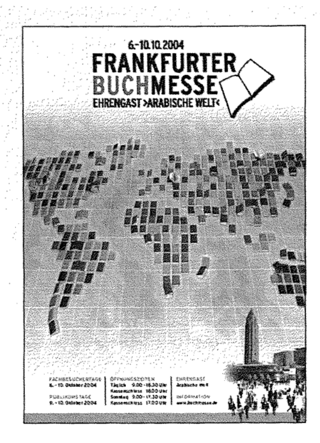
وبجانب جناح (كردستان)، وقف رجل عنده كرش، مرتديًا ملابس الطباخين، وأطلق على نفسه الشيف رمزي، معلنًا عن كتاب جديد لوصفات الطعام المغربي، والتونسي، واللبناني، والمصري، والأردني، والسوري، والليبي، والإماراتي. لكن جمهور الزوار يشاهد محتوى الكتاب فيسيل لعابه، ولكن لا وجود للطعام، وعندها يتلقفهم الشاب المصري، الواقف على الناصية، ليسلمهم بطاقة عليها دعاية لمطعم فيه كل ما شاهدوه في الكتاب، وأكثر.

يصيبك هذا الانتشار العربي بالدفء، فتنسى البرودة التي تميز التعامل مع الناس في الغرب، فتوزع الابتسامات لكل الناس، وتفشي السلام، ثم تلحظ فجأة أن الجناح العربي، أصبح مقصورًا على العرب، أو الأجانب من أصل عربي، مثل غازي طوال، الأردني الأصل، الذي لم تجد وزارة الخارجية الألمانية حرجًا في تعيينه مستشارًا لسفارتها في المملكة العربية السعودية، وهو المنصب الذي يستحيل أن يصل إليه عربي يحصل على جنسية دولة عربية أخرى.

تتساءل: أين ذهب الزوار؟ وهل نحن في معرض الكتاب في دولة عربية أم في قلب أوروبا؟ ثم تتذكر أن غالبية الكتب المعروضة باللغة العربية، وأن غالبية المشرفين على الأجنحة العربية يتحدثون الإنجليزية، وليس الألمانية، فتتوقع أن تجد الألمان، وبقية الغربيين في قاعات الندوات والمحاضرات، التي لا أول لها ولا آخر.

ندوات من العاشرة صباحًا حتى الحادية عشرة مساء

بين أجنحة الكتب المطبوعة والإلكترونية، وبين مقر المحاضرات، تقطع مسافة تستغرق عشر دقائق مشيًا على الأقدام، لتجد محاضرين من دول عربية عدة، بينهم



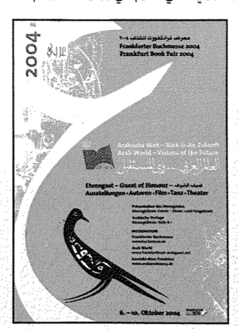
شخص ألماني تائه وضائع، فمثلاً في ندوة (المجتمع العربي في عصر متغير) والتي شارك فيها أبو بكر أحمد باقادر من السعودية، ومصطفى الفقي من مصر، ومحمد عبدالله المطوع من الإمارات، وحليم بركات من سوريا، وكل من أحمد بيضون، وفهيمة شرف الدين من لبنان، جلست السيدة بيرجيت شيبلر الألمانية، تتفرج على النقاش العربي حينما ترتفع حرارته، وحينما يتبادل المثقفون والجمهور الاتهامات بعدم القدرة على تحليل المشكلة، ناهيك من اقتراح حلول لها، فالبعض يعلن ضرورة التخلص من الدين وإزالته من الحياة العامة، والآخر يؤكد أن تعدد الزوجات من تراث الماضي الذي لابد من التخلص منه، أما ثالث فيرى أن كل ما سمعه من محاضرات يعيد اجترار نفس الصراعات الفكرية التي دارت رحاها في نهاية القرن الماضي، ويعرب رابع عن امتعاضه من عدم طرح القضية الفلسطينية والوضع في العراق. ثم تصل ورقة كبيرة إلى رئيس الجلسة، عليها اسم جمال عبد الناصر، فيسأل: «هل هذا شعار، أم هناك شخص بيننا يحمل اسم الرئيس المصري الأسبق؟»، يقف الشاب الأسمر النحيف من آخر القاعة، ليبشر الملأ بأن «جمال عبد الناصر موجود بينكم»، وأنه يريد أن يطرح سؤالاً عن

تأثير قانون الخُلع الساري في مصر على المجتمع العربي.

وكذلك كان هناك خمسة محاضرين عرب في ندوة (حوار الثقافتين العربية والألمانية ودور الاستشراق الألماني فيه)، مقابل شخص سويسري واحد هو راينهارد شولتسه، ولم يختلف الوضع في ندوة (الاتجاهات المعاصرة في الفكر العربي)، أو في ندوة (الثقافة العربية الإسلامية، وقضايا التقدم)، حيث جلس سبعة مثقفين عرب، أمام أودو شتاينباخ، مدير معهد الشرق في مدينة هامبورج.

جونتر جراس: ليس العرب، بل نحن منبع الإرهاب والعنف

ولكن إلى جانب الكثير جدًا من الندوات العربية - العربية، والتي لم تكن تستدعي القدوم إلى أوروبا لعقدها (على أرض محايدة)، فإن دور النشر الألمانية والسويسرية التي تخصصت في نشر ترجمات الأدب العربي، ركزت على التوازن في أنشطتها، فكان الأديب اليمني جالسًا بجانب الناقد الألماني، والأديبة الفلسطينية سحر خليفة، تتحاور مع سياسي غربي في صراع الشرق الأوسط، إلا أن واحدة من أكثر اللقاءات إمتاعًا للجمهور الألماني، كانت تلك الأمسية مع الأديب الألماني جونتر جراس، الحاصل على جائزة نوبل، الذي لم يأت لقراءة أعماله، بل لقراءة ترجمة قصائد عربية، للأديبة العراقية آمال جبوري، التي تقيم في برلين، وتترجم لجراس أعماله إلى العربية.



استغرب الكثيرون من أديبهم الفذ، الذي يرتضي أن يكون مجرد قارئ الترجمة لأديبة عربية، ليس لها عشر حظه من الشهرة، فأراد البعض استفزازه، وسؤاله عن العنف والإرهاب في العالم العربي، وحتى في بلده العربي المفضل في اليمن، فرد بغضب: «يبدو أن بعضنا يتناسى أن الحروب الصليبية انطلقت من أوروبا، وأننا نحن الذين علمنا العالم العنف».

سور برلين العرب

عمومًا ليس من الإنصاف في شيء أن نقول إن المعرض، مر وكأنما لم يحدث، فمجلة شبيجل المرموقة، أصدرت عددًا خاصًا بعنوان (أسطورة الشرق بين الخيال والحقيقة في الأدب)، وصحيفة دي تسايت الأسبوعية، التي يصدرها المستشار الألماني الأسبق هيلموت شميدت، أصدرت ملحقًا خاصًا عن معرض الأدب العربي، ومحطات الإذاعة والتلفزيون الألمانية لم تتوقف عن بث برامج خاصة عن الشرق وقضاياه. ولكن من العدل أيضًا أن نذكر أن التناول ظل مقتصرًا في غالبية الأحيان على النقل الغربي لصورة الشرقي.

ويبدو أن سور برلين الذي أسقطه الألمان بين شطري وطنهم، مازال قائمًا في أذهانهم، وأذهاننا أيضًا، لأنهم يصرون على فهم شرق اليوم، من خلال ألف ليلة وليلة، ونحن أيضًا مازلنا نراهم بعيوننا نحن، لا بعيونهم.

وماذا بعد.

ربما كان من الإنصاف أن نشيد بما قامت به جامعة الدول العربية، من إنجاز غير مسبوق، بهذا الحجم، وبهذا المستوى المشرف، وأن نشد على أيدي المشرفين على جناح المملكة العربية السعودية، لكن بشرط ألا يتوقفوا عند ما تحقق، بل يواصلون الطرق على الحديد وهو ساخن، فيستمرون في زيارة الجامعات الألمانية، والنقاش مع الأكاديميين، ويقدمون الفنون الشعبية للجمهور المتذوق للفن، ويترجمون قصص أطفال من الشرق، تحبب الجيل القادم في وطننا العربي، الجذاب بثقافته وحضارته. وأخيرًا لا بد من رصد جميع ردود الفعل الألمانية، لمعرفة ما ينبغي مراعاته في المرات القادمة، وما أثار فضول الزوار، وجذب اهتمامهم، بحيث نستمر في عرضه، وذلك من خلال الدعوة إلى مؤتمر ضخم، يشارك فيه المثقفون العرب، ومحاوروهم من الألمان، من الذين ساهموا في البرنامج المكثف لمعرض الكتاب الدولي، للتعرف على آرائهم.



حملة وطنية لترشيد المياه

متوسط الاستهلاك العالمي للفرد ١٥٠ لتراً وفي السعودية ٢٦٨ لتراً!!

تأتي «حملة التوعية والترشيد الوطنية» التي دشنها ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في ١٨ / ٨ / ١٤٢٥هـ لتنفي إحصاءات غير دقيقة سابقة ساهمت في تنامي مفهوم الاكتفاء المائي والمخزون الذي لا ينضب في المملكة لدى المواطن والمقيم على حد سواء.





وعزز ثبات هذا المفهوم انخفاض سعر تعرفة المياه في المملكة، حتى انحصر الترشيد في مدارك فئة التزمت النص الشرعي والحكمة المنطقية مما انعكس على طبيعة السلوك الفردي والجمعي في استهلاك المياه، فظهرت سلبيته في نمطين: عدم المبالاة بتسربات الشبكات المائية، وهدر المياه بكميات كبيرة. ولا أدل على هذين النمطين من ارتفاع معدل استهلاك الفرد في المملكة ٢٨٦ لترًا يوميًا مقارنة بالمتوسط العالمي لاستهلاك المياه ١٥٠ لترًا يوميًا؛ رغم التباين الظاهر في توافر المياه وطبيعة البيئة.

وتنطلق رؤية وزارة المياه والكهرباء من أن جهدها في توفير كميات إضافية من المياه إلى المنازل والمرافق لن يكون مجديًا مهما بلغ، ما لم يتحقق الوعي الاستهلاكي لدى جميع فئات المجتمع. لذا كان في شعار هذه الحملة «القرار بيدك» تحويل للمسؤولية كاملة إلى المستهلك، ودعوة له لاختيار مؤكد أن سيكون الترشيد.

وتعتبر هذه الحملة امتدادًا لحملات توعوية سابقة، إلا أنها قدمت بُعدًا جديدًا (إضافة إلى الكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية) يتمثل في التوزيع المجاني لمليون ونصف المليون حقيبة ترشيدية على منازل مدن المملكة (كمرحلة أولى)، تحتوي كل حقيبة على ثلاث عشرة قطعة ثبتت بالتجربة فاعليتها في توفير ٣٠٪ إلى ٤٠٪ من الهدر المنزلي، وهي عبارة عن:

* الأدوات المرشدة: ويقوم مبدأ عمل هذه الأدوات على إشباع المياه الخارجة من الصنبور بكمية من الهواء، فيزيد معدل تدفق الخليط، وهو ما يرفع كفاءة الصنبور بكمية أقل من المياه.

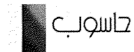
* أكياس الإزاحة لصندوق الطرد (السيفون): وهي عبارة عن أكياس بلاستيكية محكمة الإغلاق تعبأ بالمياه ويتم وضعها في صناديق الطرد القديمة التي تتجاوز سعتها اثني عشر لترًا من المياه لتقليل الصرف بمعدل ثلاثة لترات.

* أقراص كشف التسربات: وتستخدم هذه الأقراص في الكشف عن تسربات صناديق الطرد، حيث توضع فيها لعدة دقائق، ومع تغير لون المياه يمكن اكتشاف التسربات بشكل أوضح.

وسوف تشمل هذه الحملة المباني العامة والمساجد والمدارس، وستتولى فرق من وزارة المياه والكهرباء، وضع المرشدات فيها.

أما تسربات الشبكات المائية فلدى وزارة المياه والكهرباء خطة موسوعة تهدف إلى خفضها إلى أقل حد ممكن وهو ٥٪ خلال السنوات الخمس القادمة.

ولإبراز أهمية هذا الحدث فقد أقامت وزارة المياه والكهرباء حفلاً شهد انطلاقة الحملة وتدشين موقع الوزارة على الإنترنت (www.mowe.gov.sa)، وتوزيع الإصدار الأول من نشرة «التطوير» التي تحمل آخر أخبار وزارة المياه والكهرباء ومشروعاتها القادمة، كما شهد الحفل تكريمًا للشركات والمؤسسات الراعية للحملة.■



أنشئ صفحتك الشخصية بنفسك وبسهولة

منى الخضيري . الرياض

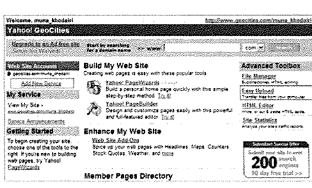
لدى الكثير منا الرغبة في الحصول على صفحة شخصية ينقل إليها كل ما يهمه من ملفات صوتية أوصور أوبرامج ليشارك الآخرين بها، أوحتى صفحة شخصية تكون مرجعًا للآخرين للتعرف عليه أو لعرض ما يرغب في نشره، وبالمجان!

في هذا العدد سنتحدث عن أحد أشهر المواقع العالمية التي تقدم لك هذه الخدمة وبالمجان وتستطيع التعامل معها بكل سهولة في نقل ملفاتك إليها ودون استخدام أي برامج لذلك.

الموقع هو: www.geocities.com والتابع لموقع Yahoo.

كل ما تحتاج إليه هوالحصول على بريد في الياهوو والذي ستستفيد من خلاله من جميع خدمات الياهوو الرائعة والمتعددة، بالإضافة إلى استضافة مجانية مدى الحياة لسعة ١٥ ميغا بايت. فبعد التسجيل في الياهوو وتسجيل بياناتنا العامة والسرية نقوم بالدخول إلى الموقع عن طريق الرابط في الأعلى أو عن طريق الصفحة الرئيسة للياهوو التي سنجد بها رابطًا للموقع.

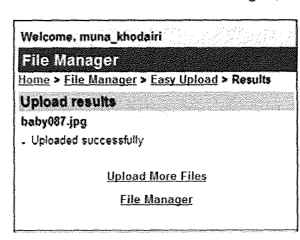
فبعد تسجيل الدخول إلى الموقع، نستطيع الوصول إلى رابط للصفحة الخاصة بنا، ولكن بالطبع لم نقم بتحميل الصفحة الرئيسة التي تنقل الزوار إلى الصفحات الفرعية، لذا لن يتم عرض أي ملفات ما لم تكن لدينا صفحة رئيسة، كذلك نجد في الصفحة الأولى عدة خيارات لبناء الصفحة الشخصية، سنقوم بتجاهلها واعتماد صفحتنا الشخصية وملفاتنا بالطريقة اليدوية، لذا سنقوم باختيار خيار رفع الملفات المبسط Easy Upload.



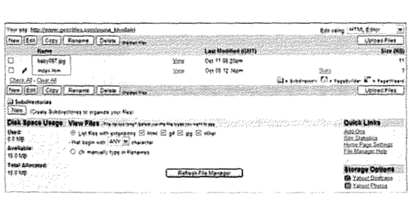
هذا الخيار سينقلنا إلى صفحة تتيح لنا نقل عشرين ملفًا دفعة واحدة، من صور أو مستندات أو ملفات مضغوطة أو صوتيات وغيرها، بحجم يصل إلى خمسة ميغا بايت.

نقوم باستعراض ملفاتنا التي أنشأناها عن طريق برنامج تصميم صفحات الإنترنت كالفرونت بيج، أو حتى ملفاتنا التي نريد نشرها في الإنترنت. ويجب التأكد من أن الملفات أو أسماء الملفات باللغة الإنجليزية، ومن ثم ننقر على زر Upload Files.

سننتقل إلى الصفحة التالية التي تبين أن عملية النقل تمت بنجاح.



بعد ذلك سنجد خيارين، أولهما لنقل المزيد من الملفات، والآخر للانتقال إلى مدير الملفات. عند اختيار الانتقال إلى مدير الملفات ستظهر لنا صفحة تحتوي على جميع الملفات التي قمنا بتحميلها إلى صفحتنا الشخصية على جهة اليسار من الشاشة. وتوجد لوحة تحكم للنسخ والحذف والتعديل وإعادة التسمية والنقل لكل ملف أو لعدة ملفات دفعة واحدة.



أيضًا نستطيع عمل مجلدات خاصة، كمجلد خاص للصور ومجلد خاص للصوتيات وغيرها عن طريق النقر على زر New في خيار Subdirectiries.

عند الانتقال إلى الصفحة التالية نكتب اسم المجلد بشرط أن يكون باللغة الإنجليزية ولا يحتوي أي رموز لأنه سيكون تابعًا للرابط الخاص بكل ملف نقوم بنقله إلى المجلد المحدد.

عند إنشاء المجلد المطلوب، سنعود إلى صفحة مدير الملفات والتي نستطيع من خلال الخيارات الموجودة أعلى

Enter the name of the directory you would like to create:
Subdirectory Name: Pictures
Create Subdirectory | Cancel

الملفات أن ننقل أي ملف كالصور إلى المجلد التابع لها لتنظيم الصفحة ولتسهيل عملية الوصول إلى الملفات. فعند اختيار ملف معين ننقر على زر Moveونختار في الخطوة اللاحقة المجلد الذي نود نقل الملف إليه.

ونستطيع تصفح المجلدات والملفات التي تحتوي عليها عن طريق مدير الملفات، فعندما نريد الحصول على رابط لملف معين ما علينا سوى النقر على خيار View.

وعند فتح متصفح جديد نجد به محتوى الصفحة وروابطها في شريط العناوين.

كذلك في خانة Disk Space Usage سنجد سعة الصفحة الشخصية وسعة المستخدم منها والسعة المتاحة للنقل.

بالطبع سنجد ملفًا افتراضيًا في مدير الملفات وهي index، وهو يفيد الذين يرغبون في أكثر من نقل ملفاتهم بل يريدون تأسيس صفحة شخصية يستطيع الزوار الاطلاع على صفحاتها عن طريق تعديل محتويات هذا الملف بوساطة برنامج الفرونت بيج، فتحتوي هذه الصفحة على روابط وإرشادات للانتقال من صفحة إلى أخرى بشكل منظم ومدروس.

بالطبع لن يستطيع أحد الاطلاع على محتويات الصفحة الشخصية الخاصة بنا ما لم نقم بإعطائهم رابطًا لملف معين، لذا عند الرغبة في عدم اطلاع الآخرين على ملفاتنا الخاصة يفضل عدم تسمية الملفات بالأرقام المتسلسلة مثل: 1، 2، 3، أوالأحرف لأنها ستكون سهلة على بعض المتطفلين أن يقوم بتغيير اسم ملف إلى أحد هذه الأرقام أوالأحرف وستظهر له الصفحة.

بهذا نكون قد انتهينا من فتح حساب ونقل ملفاتنا الشخصية إلى صفحتنا المجانية الخاصة ■

برنامج عربي

تغيير خلفية المجلدات الرئيسة

الموقع: www.elebda3.net



كما عودتكم زاوية حاسوب في تشجيع وشكر المبرمجين والمطورين العرب، نقدم الشكر في هذا العدد للمصمم إبراهيم الشرقاوي من موقع عالم الإبداع لتقديمه برنامجه الرائع لتغيير خلفية المجلدات إلى أي شكل قد ترغبون فيه.

عند تنزيل البرنامج من مكتبة البرامج في الموقع قم بفك الملف وتشغيله ستجد أنك لن تحتاج إلى تنصيبه وأن واجهة البرنامج بسيطة للغاية بحيث تستطيع التعامل معها بكل سهولة.

من خلال واجهة البرنامج ستجد الخيارات اللازمة لتغيير الخلفيات للمجلدات لنقش خلفية أوصورة لتكون خلفية للمجلد.

قم باختيار مشغل الأقراص الذي تريد تغيير خلفيته ثم حدد الخلفية المناسبة له، ثم حدد لون الخط للقوائم والملفات لكي تظهر بوضوح، تستطيع إدراج رمز للون محدد تريد استخدامه ثم انقر على زر تغيير الذي سيقوم بتغيير خلفية المجلد الذي قمت بتحديده.



أفكار وحيل

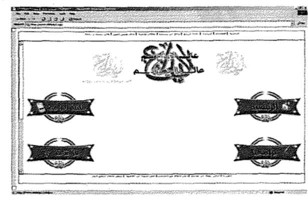
لمستخدمي برنامج مايكروسوفت وورد والذين يصعب عليهم الحصول على رسومات مناسبة لوثائقهم وللمعلمين أو الطلاب الذين يحتاجون إلى صور تدعم أبحاثهم واختباراتهم، يستطيعون ذلك من خلال البحث في الصور المرفقة مع برنامج الوورد عن طريق النقر على إدراج صورة ثم اختيار Clip Art والذي سيستحدث نافذة تستطيع كتابة كلمة من خلالها للبحث عن صورة مناسبة لها بين الصور المحفوظة في الحاسب، وعند العثور على الصورة المناسبة نقوم بتعيين مكانها في المستند ثم إدراجها وتعديل حجمها وخصائصها.

عند عدم العثور على الصورة المطلوبة ننقر على خيار قصاصات مباشرة والذي سينقلنا إلى موقع مايكروسوفت باللغة التي نريد، عندها نستطيع توسيع نطاق البحث، إما للبحث عن أصوات أوقصاصات فنية أوصور طبيعية وغيرها.

عند العثور على الصور المناسبة نضع إشارة على المربع الصغير أسفلها ثم سيقوم بتعبئة السلة بالصور التي نريد، عند الانتهاء من الاختيار والبحث نقوم بتحميلها إلى الحاسب بالنقر على زر تحميل، ومن ثم ستظهر لنا الاتفاقية للمرة الأولى، بعد تحميل الصور نستطيع إدراجها إلى المستند، سيتم الاحتفاظ بالصور في المعرض التابع للبرنامج في الحاسب لاستخدامها في مرات أخرى.

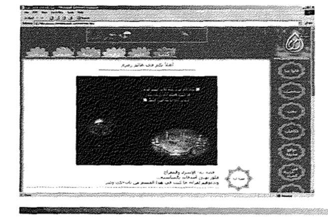


مواقع مميزة



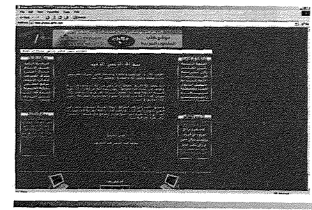
عالم الإبداع
www.elebda3.net

موقع شامل يحتوي على مكتبة ضخمة للبرامج والخطوط والبطاقات، كما يحوي منتديات نقاش تلبي جميع الرغبات■



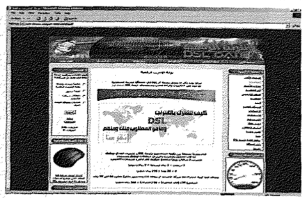
عالم زمزم
www.zamzamworld.net

موقع موجه لأحبائنا الأطفال، يهتم بتنمية مواهب وأفكار الطفل العربي، يحوي أقسامًا عدة منها التربية والترفيه والعلوم وغيرها ■



كتب الحاسوب العربية
www.cb4a.com

موقع عربي يحوي العديد من الكتب المختصة بالحاسب الآلي، الهدف منه تطوير قدرات الشباب العربي والإسلامي.■



بوابة الإنترنت الرقمية
www.adslgate.com

موقع يهم مستخدمي الإنترنت الرقمي adsl، يقدم جميع المعلومات اللازمة التي تخص هذا الموضوع.■



زيبرا زِد بِسِڤِن .. خطه سلس وعمره طويل
NEW
مزود برأس إضافي للعمل على شاشة
أجهزة الكومبيوتر والموبايل
Z7-A
Liquid Ink Rollerball
زيبرا
ZEBRA®
غطاؤه مشبك لمسك الأوراق
حقاً .. إنه أكثر من قلم ....
Made in Japan
الوكيل الوحيد في المملكة ... قرطاسية الخيرات ... جدة / فاكس : 6754263
عبّر عن موهبتك ..
ACRYLIC

- هجران

- أسبوع بلا تلفاز!

- واو .. wow!!



تفاعلاً مع ملف «لا»:

القرآن الكريم يفسح المجال للرد على المعترضين الذين قالوا «لا»

علاء الدين آل رشي - جدة

الحديث عن (لا) يعني الحديث عن حقيقة الإنسان الذي هو أكرم خلق الله.

هذا الكائن الرائع الذي أودع الباري فيه أسراره وآياته، وعلّمه أن يتلو كتابه المقدس، وأن يتعبد الله بتلاوته لاعتراض إبليس على الله ورفضه للسجود، في تربية قرآنية راشدة تحفز المسلم على قول «لا» وحماية من يقول «لا» ولو مس هيبة الكبار.

إن القرآن الذي يفسح المجال للرد على المعترضين الذين قالوا «لا» في وجه المقدس ووحي السماء ليدعو الإنسان إلى أمرين.

أولهما: أن يحتفي بمن يقول «لا»، وأن يسعى إلى حواره والجدل معه بالتي هي أحسن.

والأمر الثاني: أن يعوّد المسلم على أن تكون هناك معارضة لآرائه، ومع هذا لا يضيق ذرعًا بمن يخالفه، وأن يمهر نفسه على قول «لا». إن هذا الموقف القرآني هو نوع من التربية والرياضة الذهنية التي تقبل بقول «لا» و«نعم» وتحض على تداول سلمي للفكر دون أن تحول الرأي إلى (ديناميت) أو سجن نقمع فيه من يقول «لا» في وجهنا.

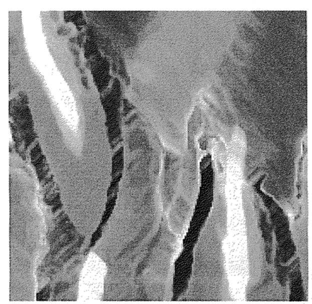
وغريب طرائق التفكير لدينا تفسر مواقفنا الرافضة لمن يقول «لا» أمامنا. فالعنف سيد الأحكام وأحدية الصواب أمر واضح، والثنائيات القاتلة تتحكم في تعاملاتنا، فنحن لا نعرف إلا «مع» أو «ضد» أو الثلاثية القائلة: «نافق أو وافق أو فارق»!!

ويبقى السؤال الكبير هو متى تصبح (لا) سلوكًا يوميًا وجراءة اعتادها الصغار ولم تعد تخص الكبار الذين يسمح لهم بما لا يسمح لغيرهم؟

إن هذه المفردة الخطيرة والنادرة في عالمنا العربي اليوم تستوجب من الدارسين بحثًا وفكرًا عن أسباب فقدانها في ربوع بلادنا.

إنه ما بقي المواطن العربي خاضعًا لحملات التأطير أو التزييف أو التغييب لوعيه فسيبقى يسبّح بأمجاد الكبار، وسيتقن قول «نعم» فما دام العمران يسير على حساب إنسانية الإنسان فلن يجيد أحد النطق بلا، وما دام المرء العربي شريد الذهن كليل البصر فاقد الإرادة موهوم الفكر يعزو أسباب ارتكاسه إلى الخارج ولا ينظر إلى داخله، ولا يصحح مقابحه السياسية وعيوبه الخلقية وذنوبه الجماعية بل يقتصر على شتم الآخر ويتوعده فسيبقى مع (نعم).

إن ثقافة «كاتم الصوت» التي تشيع في ربوع وطننا العربي ليست من إملاء من «أمريكا» أو نتيجة احتلال فلسطين؛ إنه من صنع أيدينا ويكاد يكون منتجًا عربيًا بامتياز.



هجران

قصة: منصور عبيد حسين - اليمن

منذ أيام وأنا أراه يجلس وحيدًا مبتعدًا عن زملائه، يجلس القرفصاء بمحاذاة أحد الصفوف وعيناه شاردتان في الفراغ، ويداه تداعبان التراب. اقتربت منه ذات يوم وسلمت عليه، وجلست إلى جواره لكنه لم يرد ولم يرفع نظره عن الأرض!! شعرت كأنهما سمرتا في الأرض ومع ذلك لم أستسلم. وعندما لم أجد منه ردًا دنوت منه، وقلت له بصوت خافت: لا أريد أن أراك خارج الفصل ثانية وإلا ستتعرض للعقاب من الإدارة، حينها رفع عينيه إليّ، كانتا مبللتين بالدموع، وأشار بيده إلى هناك فذهبت بنظري معها وكانت تحمل أكثر من معنى بينما الأخرى تمسح الدموع.

ثم قال: أترى البيوت المتراصة هنالك؟

- نعم. قلت ذلك.

- إنه هناك.. قال ذلك وألقى بعينيه ويديه إلى الأرض ثانية.

- من تقصد؟!

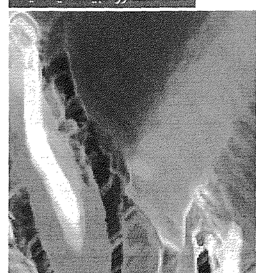
- أخي الأكبر.. كانت لغته حزينة.

- لم هو هناك؟!!

- بعد موت أبي تحمل مسؤولية رعايتنا أنا وأمي وأختي، ترك دراسته ليعمل في سوق القات كي يوفر لنا القوت الضروري، فتعلم القات ثم السيجارة، وهو ما أزعج أمي فأخذت تتشاجر معه كلما وجدت السيجارة بيده. كان يعود متأخرًا فأستيقظ أنا وأختي على صياحهما. بعدها ترك البيت. وبحثتُ عنه وعرفت أنه هناك. أرجوك ساعدني على إعادته وإلا سأترك المدرسة للعمل بدلاً منه.

لم أستطع أن أجيبه بشيء حتى «أنك ما زلت صغيرًا» لم تخطر على بالي في تلك اللحظة، كل ما فعلته أن شددت على يده وأدخلته صفه السابع. بعد أن وعدته بذلك.

وفي عصر ذلك اليوم ونحن في طريقنا إلى «هناك» وإذا الأزقة ضيقة والقمامة أكوام متناثرة وأكياس البلاستيك تداعب الرياح فتتطاير كأنها عصافير ملونة بلا مستقر. أما الأتربة فضجّت من مكوثها على الأرض



لتصعد إلى السماء. وعندما اقتربنا إذ برائحة غير مستحبة أنبأتنا بمياه المجاري التي غطت معظم الممرات، فالبلدية لا يهمها هذه الأزقة الضيقة، فشبه النظافة محصور في الشوارع الأمامية فقط!!

البيت المقصود وسط بيوت متراصة ذات دورين أو ثلاثة بعضها ملبّس من الخارج بالإسمنت وبعضها مهدم، تشتم من نوافذه الصغيرة وأبوابه شبه المغلقة رائحة الطين المبلل والبياض البلدي.

طرق البيت المطلوب فانحنى أحد الشباب خارجًا إلينا، ثم عاد ليخرج إلينا شاب آخر، شدّ الصغير يدي وقال: هذا هو أخي يا أستاذ. كان طويلاً أسمر له شعر مجعد، وخدّه منفوخ كالكرة وبيده النحيلة سيجارة داس عليها عندما اقترب منا، ثم رفع يده، ظننت أنه سيسلم علينا. صفع أخاه ليتطاير القات من فمه وهو يقول: أنا حر، لا أريد أن أراك مرة أخرى، ثم استدار عائدًا من حيث أتى، أطلق الصغير ساقيه للرياح، بينما ظللت شاردًا لا أعرف كم من الوقت مضى حتى أبصرت الطريق التي جئت منها!

وصية

شعر عبدالناصر مغنم . الرياض

ولدي إليك وصيتي ... ونصيحتي وهديّتي

فاجعل أمامك يا بني ... كتاب رب العزةِ

ودَع الهوى دعْ أهله ... دع كل تلك الصحبةِ

كن يا بني على المدى ... متمسكًا بالسنة

والعلمَ كن خلاً له ... في العلم نيل الرفعةِ

إن قلت قل صدقًا وكن ... ورعًا نقي الذمة

في السر لا تأت الذي ... يزريك عند الأمة

كن مثل أسد الغاب في ... عزماتها ذا همّة

لا تركننّ لظالم ... لا ترض عيش الذلّة

لا تصحبنّ منافقًا ... تهوي إذًا في الحفرة

لا تذكرنّ لصاحب ... عيبًا له في الغيبة

لا تفشينْ سرًا وكن ... أهلاً لكل أمانة

لا تتركنّ فريضة ... في الصبح أو في العَتمة

للخير فادع له الألى ... كن فيه مثل الغيمة

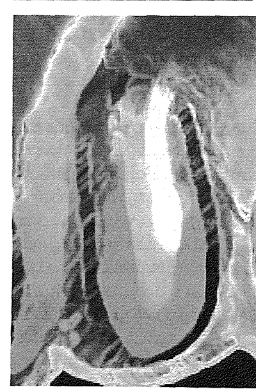
وتفانَ في عون الألى ... ذَب فيه مثلَ الشمعة

وتحلّ بالخلق القويم ... وكن تقي النظرة

ولدي تزود بالتقى ... واعمل بأخلص نيّة

ليس منّا

شعر : أحمد محمود مبارك . الإسكندرية



ليس منًا

ذلك الآثمُ..

مهما يزعم الإسلام قولاً وشعارْ

ليس منًا

ذلك القادمُ..

من كهف الدُّجى كي يطفئ البسمة..

في عينِ النّهارْ

ليس منًا

كارهُ الفرْحَةِ والأزهار..

والأنوار..

مِنْ يُؤذِيْه أن يسمعَ شدْوًا فوق غُصْنٍ

أن يرى في مَهمهِ الأرضِ...

تَباشير العَمار

ليس مِنًا

نحنُ مَنْ نؤمِنُ بالإسلام سَمْحا

نَقْتَفي الإسلام دربًا للهُدى والحبِّ..

والنورِ مرضاةِ الإله

نَرْتضي الإسلام دِيْنًا

يزرعُ الرحمةَ والحكمةَ في رَوْضِ الحياة

ليس مِنًا

مَنْ غدا للجبْتِ والشيطانِ عَوْنا

سبورة

أسبوع بلا تلفاز!

إيمان عبدالرحمن الكرود- الدمام

أكدت دراسة أعدها مدير الإعلام بالمجلس العربي للطفولة والتنمية عبدالمنعم الأشنيهي، أن البرامج التلفزيونية المخصصة للأطفال التي يصدرها الغرب للعالمين العربي والإسلامي تحمل في ثناياها كل ألوان التطرف والعدوانية، وأن ذلك من شأنه أن يعمل على تدمير قدرات أبنائنا وزيادة احتمال حدوث السلوك العدواني لديهم بنسبة أكثر من ٧٠٪ على الحد التربوي المتفق عليه. وقد قام الباحث بتحليل مضمون ما تبثه قناة عربية واحدة من بين القنوات العربية والفضائية تم اختيارها عشوائيًا فيما بثته خلال أسبوع من برامج أطفال مستوردة من الغرب. وقد أكد أنها عرضت أكثر من ٣٠٠ جريمة قتل!! وبتحليل ما بثته هذه القناة من أفلام خلال هذه الفترة وجد أن ٣٠٪ منها تناول موضوعات جنسية، و٢٧٪ منها تعالج الجريمة، و١٥٪ تدور حول الحب بمعناه الشهواني. وذكرت الدراسة أنه في الوقت الذي تمتلئ فيه قنواتنا التلفزيونية ببرامج الأطفال الأمريكية التي وصلت نسبة العنف فيها إلى ٩٩,٩٪ نجد أن نسبة هذه البرامج في القنوات التلفزيونية الأمريكية قد انخفضت استجابة للتحذيرات التي أطلقها المسؤولون هناك من خطورة هذه البرامج (انتهى). ناهيك من الأضرار الصحية والسلوكية مثل: ضعف التركيز وقتل الخيال والإبداع وتراخي العلاقات الأسرية وغيرها.

بينا أنا أتجول بين صفحات الشبكة العنكبوتية عثرت بالمصادفة على موقع بريطاني يندد بأخطار التلفاز ويروج لحملة تسمى **Turn it off and live** أي «أطفئ التلفاز وابدأ الحياة» وهي حملة تعم أرجاء بريطانيا ولمدة أسبوع من ٢١ وحتى ٢٨ من شهر أبريل من كل عام، وتشارك فيها العديد من المؤسسات التربوية والإعلامية والثقافية والدينية، بالإضافة إلى المكتبات العامة والمتاحف، وتساهم فيها آلاف المدارس والملايين من أولياء الأمور والطلاب. وبالاستقصاء أكثر عن هذه الحملة وجدت أنها بدأت منذ أكثر من عشر سنوات وأن جذورها تمتد أيضًا في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا وعدد من الدول الغربية. وهالني ما رأيت من المواقع العديدة على شبكة الإنترنت والتي تروج لهذه الحملة وتقدم شتى الوسائل والاقتراحات للراغبين في تطبيق هذه الحملة، ما جعلني أدرك أنني أمام عمل جماعي منظم يشترك فيه المجتمع وليس جهدًا فرديًا.

هل يمكن لنا أن نقوم هنا في المملكة العربية السعودية وفي الدول العربية والإسلامية بمثل هذه الحملة ونجند جميع الوسائل للترويج لها بحيث يتم الاتفاق على تخصيص أسبوع كامل من كل عام (كما هو الحال مع أسبوع الشجرة، المرور......) لإغلاق التلفاز، وتقام خلال هذا الأسبوع مسابقات على عرض البلاد يتبارى فيها المبدعون في كل مجال مثل مسابقات أفضل الابتكارات العلمية وأفضل الرسومات والقصص وعروض الكمبيوتر وغيرها. وتستعد فيه المرافق العامة كالمكتبات والمتاحف والحدائق لاستقبال الزوار، وتقام فيه مهرجانات للقراءة والقصة وغيرها.

لقد قامت مدرستنا الابتدائية بمدارس جامعة الملك فهد بالظهران بمثل هذا النشاط لمدة أسبوع كامل. وكانت النتائج مبهرة، أشارت هذه المجلة (المعرفة) إلى بعض منها في تقريرها الذي نشرته في عدد شهر رجب الماضي.



واو.. WOW!!

علي عبدالخالق القرني - الرياض



كنت (سأدعو) الجميع عبر هذه الكلمات القليلة للوقوف معي متأملين ظاهرة «فش الخلق» التي تحين فرصتها بوضوح بداية كل عام دراسي، فيتسابق من امتلأت صدورهم بالإحباطات الحقيقية والمصطنعة لاستغلال هذه الفرصة لـ«نضح» بعض مما «يعتمل» في صدورهم في هيئة إسقاطات على التعليم، مع أن كثيرًا مما أغاظهم لا يمت للتعليم بصلة!

كنت سأستعرض معكم مقالة ملتهبة اختزلت التعليم في المملكة في جلسة على «بساط» وأخرى حملت التاريخ أكثر مما يحتمل. لكنني وأنا أفكر في كيفية دعوتكم فوجئت بصيحات ناعمة صادرة عن مجموعة طلاب يرددون في بيئتهم الدراسية «واو».. «واو».. «واو»..، فاعترتني كآبة المشتغل بالتعليم، المعاني على الدوام من بلاهة بعض الممارسات التدريسية القائمة على التكرار النمطي البليد، لتعليم الطلاب حرفًا أو كلمة أو عبارة على طريقة «زرع.. حصد» فقررت من فوري فصل ذلك المعلم الذي يعلّم بعضًا من طلابه نطق الـ«واو» بهذه الطريقة «الكابوس»!

غير أن الله سبحانه وتعالى أراد لهذا المعلم النجاة، فقد كانت الـ «واو» الصادرة عن فصله إنجليزية وليست عربية WOW، وهي صيحة تصدر عند الدهشة أو التعجب، كان هؤلاء الطلاب يرددونها تعجبًا وإطراء لزميل لهم، استطاع إنجاز مشروع كلف به على شبكة الإنترنت في زمن قياسي! وهكذا عدت متحسرًا بعض الشيء لأنني لم أستطع ممارسة سلطة «الرئيس» الجالبة للمتعة لكثير من «الرؤساء».

نسيت بعدها التفكير في دعوتكم، خصوصًا بعد أن قرأت في «المعرفة» أنها - أي المعرفة - «تدعوا»* الجميع إلى المشاركة في صنع عام دراسي مليء بالطموح والتسامح والنجاح! وعجبت كيف أن الـ «واو» أو الـ WOW يمكن أن تتجاوز هي الأخرى قدرها، أو قدَرها!!

* إشارة إلى الخطأ الإملائي الذي ورد في صفحة (اقلام) المكتوبة بخط اليد، العدد ١١٣ .

عاجل إلى

الإخوة والأخوات الكرام:

- أسامة مهدي عبدالله - الرياض
- زينب عبدالتواب رياض - القاهرة
- عبدالستار خليف
- عبدالله سعيد القرني - جدة
- غانم محمد مانع - خميس مشيط
- وائل وجدي
- خليل محمود كركوكلي - سورية
- إبراهيم أبو صيام - الرياض
- محمد الفاتح محمد - الرياض
- هند عبدالرزاق المطيري - الطائف
- صلاح أحمد الجزيري - الأحساء
- عبدالله علي الخميس - الأحساء
- هند عبدالستار محمد - القاهرة
- محمد علي الغامدي - الباحة
- حسين هادي محمد - بغداد
- ناصر الشكري
- أمامة عبدالكريم السمك
- الجوهرة الشبانات - المجمعة
- سناء الهداب - المجمعة
- محمد مدن عمير
- علي محمد عارف - الباحة

رسائلكم وصلت ونحن بانتظار الجديد من مساهماتكم.

سبورة

مسابقة مجلة المعرفة

دعوة إلى التسامح

نتجول وإياكم في تراثنا العربي والإسلامي وفي التراث العالمي نتلمس من خلال التراث الإنساني مفاهيم ومعاني وفضائل التسامح.
من خلال أشهر المقولات والمواقف والتجارب الشخصية في هذا المجال.
سؤالنا موجز وصغير.. ولكن الإجابة حتماً ستكون كبيرة بحجم التسامح الذي ننشده أن يعم البشرية كلها.

جوائز المسابقة

- **الجائزة الأولى ٥٠،٠٠٠ ريال**
  ٣٠,٠٠٠ ريال نقداً وسهمين في إحدى المساهمات العقارية بقيمة ٢٠,٠٠٠ ريال.
- **الجائزة الثانية ٣٠،٠٠٠ ريال**
  ٢٠,٠٠٠ ريال نقداً وسهم في إحدى المساهمات العقارية بقيمة ١٠,٠٠٠ ريال.
- **الجائزة الثالثة ٢٥،٠٠٠ ريال**
  ١٥,٠٠٠ ريال نقداً وسهم في إحدى المساهمات العقارية بقيمة ١٠,٠٠٠ ريال.
- **الجائزة الرابعة ١٥،٠٠٠ ريال**
  ٥,٠٠٠ ريال نقداً وسهم في إحدى المساهمات العقارية بقيمة ١٠,٠٠٠ ريال.
- **الجائزة الخامسة ١٠،٠٠٠ ريال**
  سهم في إحدى المساهمات العقارية بقيمة ١٠,٠٠٠ ريال.
- **من الجائزة السادسة وحتى العاشرة قيمة الجائزة ٤٠٠٠ ريال نقداً.**

شروط المسابقة

- المسابقة تتكون من ثلاث مجموعات ترسل مجتمعة مرة واحدة مع الكوبون الخاص بها.
- الإجابة في ورقة خارجية مع ذكر المراجع المستخدمة في الإجابات - إن أمكن -.
- الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة لا يقبل إيرادها ضمن (مقولات من التراث العربي والإسلامي).
- آخر موعد لاستقبال الإجابات هو: ٢٠/١٢/١٤٢٥هـ.



مسابقة المعرفة السابعة (المجموعة الثانية)

السؤال الثاني:

اختر «٣» مواقف من التراث العربي والإسلامي و«٣» مواقف من التراث العالمي تبرز فضيلة (التسامح).

الاسم: ____________________

العنوان: ____________________

الهاتف: ____________________

ترسل الإجابات إلى مجلة المعرفة

ص.ب ٢٣٠٠٠٧ - الرياض ١١٣٢١


New
WS03150
SENATOR
SENATOR
سليمان العثيم®
للمجوهرات
SULIMAN AL-OTHAIM JEWELLERY
1-اسواق طيبة(1)4502116
2-سنتور اسواق طيبة(2)4508160
3-معرض طيبة(3)المروز4551794
4-مركز العقارية الاولى4191283
5-الماروز مركز المملكة2112655
6-العثيم مول4456480
7-شارع الستين4777540
8-خريص بلازا -جيان2650301
9-مركز صحارى4520403
10-جدة-معرض جدة الدولي
11-الطائف-سوق الطائف الدولي7429009(2)
12-الخرج -الحديثي مول
13-مركز ترصيع الالماس على الساعات العالمية 4738189
14-ادارة التسويق النسائي4777156
15- مركز صيانة العملاء 4738189
16- أبو ظبي - المارينا مول 0097126330033

أحيانًا . . يكون الفقر لائقًا بك!



الشمس تتزوج قردًا!!



الإدارة بالغضب!



حياة كل واحد منا جملة من النجاحات والإخفاقات . .
وأجمل شيء أن يترك الواحد منا الحديث عن نفسه، ويدع الآخرين يتحدثون عن إنجازاته ونجاحاته.
حسنًا . . وعماذا هو يتحدث إذًا، عن إخفاقاته؟ ربما!
الفشل ليس عيبًا، فهو وقود الانتصارات . .
«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول للشباب من الجيل الجديد إنه ليس هناك إنسان لم يذق طعم الفشل في حياته، نريد أن نقول لهم إن الجيل الذي سبقهم هو جيل إنساني يخطئ ويصيب . . ينجح ويفشل، ثم ينجح مع الإصرار.
ف: فرصة تمنحك إياها – المعرفة – لتسجيل اعترافاتك.
ش: شهادة.
ل: ليس عيباً أن تفشل . . ولكن العيب أن تزعم أنك لم تفشل في حياتك!
وضيف هذا العدد هو : د. حيدر عبد الشافي عضو المجلس التشريعي الفلسطيني سابقاً.



حيدر عبد الشافي :

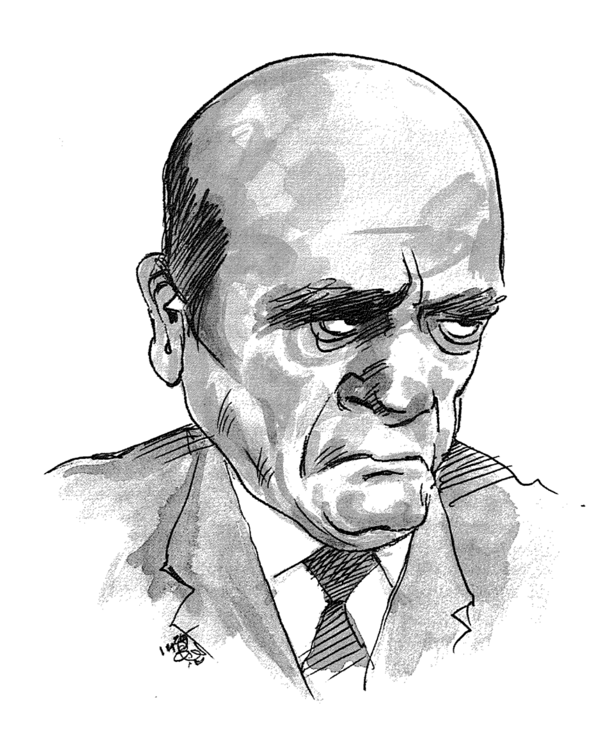
قضيتنا لم تسعد بأدنى مستوى من النظام!

ولدت في حزيران ١٩١٩م وتلقيت تعليمي الابتدائي وجزءًا من الثانوي في غزة، في الكلية العربية بالقدس تلقيت تعليمي الثانوي، أما تعليمي الجامعي فكان في الجامعة الأمريكية في بيروت.

تخرجت في عام ١٩٤٣م طبيبًا وأول ما عملت في المستشفى الحكومي في يافا، ثم خدمت مدة سنة ونصف السنة في سلاح المدرعات الأردنية ما بين ١٩٤٤–١٩٤٥م، وبعدها عدت إلى غزة ومارست الطب في عيادة خاصة لغاية عام ١٩٤٩م. وبعد ذلك ذهبت إلى أمريكا لإتمام دراستي العليا وعدت إلى غزة في عام ١٩٦٥م متخصصًا بالجراحة وعملت في المستشفى البلدي (مستشفى الحكومة) عينت فيه مديرًا عامًا للصحة العامة من ١٩٥٩م وحتى ١٩٦٢م وبقيت في غزه أمارس مهنة الطب.

* كان والدي الشيخ محيي الدين عبد الشافي شيخًا أزهريًا وقد عمل في فلسطين في عدة وظائف، وكان عضوًا في مجلس إسلامي أعلى فهو المثل الأعلى لي. كانت حساسيته بالنسبة للحق والباطل كبيرة، حيث كان يتدخل لرفع الظلم وإعطاء الحق لصاحبه.

وكان همه أن يعطي كل ما يستطيع لتعليم أبنائه على الرغم من أن إمكاناتنا كانت بسيطة، لكن والدي – رحمه الله – استطاع أن يعلمنا نحن أبناءه الستة تعليمًا جامعيًا، وربما حرم نفسه من أشياء كثيرة لأجل ذلك. كان الناس في السابق مغرمين بزيادة الأملاك



- شغلتني أحداث ١٩٤٨م عن الزواج!
- في أمريكا عرضوا عليَّ كثيرًا من الفتيات!
- أعيش على ما تركه لي والدي . . أما أنا فلم أحقق شيئًا!
- فشلت في أن يكون لي غرام بالمراكز والمناصب!

«ديمقراطيتي» فشلت في المجلس التشريعي الفلسطيني!

اتفاقية أوسلو أجبرنا عليها .. وأبو عمار كان على علم بها!


حيدر عبد الشافي

المادية وشراء البيارات (المزارع) والأراضي الزراعية حتى إنه في يوم جاء رجل من رجال غزة وسأل والدي لماذا لا تشتري بيارة؟ فكان جوابه أنه يبني عدة بيارات، وكان يقصد تعليم أولاده!!

والدي لم يتدخل في قضية اهتمامنا ولا في الخيارات. كان يهتم بأن يرانا متجهين اتجاهًا جديًا لخدمة المجتمع.

* شغلتني أحداث ١٩٤٨م عن الزواج والظروف لم تساعدني، حيث كان لي أمل أن أذهب للتخصص، فكل هذه الأمور تجمعت. وسافرت في الخمسينيات لأتخصص، وفي أمريكا عرضت عليّ الكثير من الفتيات الأمريكيات ولكنني رفضت أن أتزوج من أجنبية. وكل هذه العوامل أثرت في حياتي إلى أن عدت إلى البلاد من أمريكا. وشاءت الظروف أن أتزوج بالطريقة الاعتيادية التي تحدث في البلد. وحدثت طريقة الزواج عندما ذهبت لأستقبل أخي بعد عودته من الإسكندرية، قابلني أحد أصدقائي وقال ألا تريد الزواج؟ فقلت له إنني في سن احتاج معها إلى الزواج، قال لي: إن هناك عائلة مهاجرة من بيت الخالدي، وقد ساعدني وخطب لي زوجتي فجاءت حسب الظروف. لدي - ولله الحمد - ثلاثة أولاد وبنت، فعندي خالد وطارق و صلاح والبنت هند وهي أكبرهم.

* حقيقة أنني أعيش على ما تركه لي والدي، أما ما حققته أنا من ناحية اقتصادية بجهودي (بخلاف عملي كطبيب) فليس جديرًا أن يقال عنه ثروة، ولكني سعيد جدًا بذلك وراض عنه، ولم يكن لي في يوم من الأيام أي طموح بأن أكون ثريًا.

* فشلت في أن يكون لدي غرام شخصي بالمركز، وفشلت في احتمال الصراع من أجل السلطة، فسواء وصلت إلى الرئاسة أو لم أصل، فهذا لا يهمني كثيرًا، ولكن يهمني أن يكون الرئيس على المستوى المطلوب، وأن أساعده بكل إمكاناتي في مهمته كرئيس، وفي اتخاذ كل الإجراءات والمواقف التي تعينه على أداء دوره بشكل جيد، مع التزام المبدأ والوازع الخلقي.

صحيح أن الإنسان له تطلعات ذاتية لا يجوز له التفريط فيها ، ولكن المهم أن يكون الإنسان في موقع المسؤولية قادرًا على أن يقوم بدوره وهذا ليس واجبي الشخصي، بل واجب كل المجتمع أن يعين الرئيس ليقوم بدوره بالشكل الصحيح.

حينما رشحت نفسي لعضوية المجلس التشريعي الفلسطيني كنت أرى أننا أمام مسؤولية كبيرة تتصل بمستقبلنا لخدمة البلد رغم كل التحديات القائمة، فدخلت بعزيمة صادقة للمشاركة في هذا الواجب، كنت أعتبر أن العضو المنتخب يحمل أمانة الناس الذين انتخبوه، ولذلك يجب أن تكون عنده حساسية في أدائه، وأن يعرف ما هو الصحيح وما هو الخطأ، وللأسف، فشلت ولم تسر الأمور كما توقعت. كان هناك تقصير واضح، فمثلاً في أحد اجتماعات المجلس التشريعي رأى الأعضاء أنه من الضروري لتوعية الناس ولإطلاعهم على ما يجري تغيير مكان اجتماعات المجلس من مكان إلى آخر. فيوم كان الاجتماع في مدينة رفح ذهبنا نحن أعضاء المجلس كلنا إليها لنجتمع ولنشعر

الناس أننا قريبون منهم ، وأتذكر في هذا اليوم أن الرئيس «أبا عمار» كان يحرص على حضور المجلس وهو لم يكن عضوًا فيه، بينما هو رئيس السلطة. وكنت أقدر اهتمامه أن يكون موجودًا ليرى كيف يكون أداء المجلس، طبعًا كان أبو عمار عندما يحضر يجلس على المنصة بجانب رئيس المجلس التشريعي، وكانت في تلك الفترة تحضر إلى المجلس شخصيات أجنبية أيضًا تراقب العملية الديمقراطية. في ذلك الاجتماع طلب أحد الأعضاء (وأعتقد أنه الدكتور كمال الشرافي) من رئيس المجلس الكلام، فأعطاه الحق بالتحدث، فبدأ في الكلام. ولا أتذكر ما قاله، ولكن ما إن بدأ كلامه حتى فوجئنا بـ«أبي عمار» يقاطعه ويوبخه، فكانت فضيحة كبيرة أمام العالم والحاضرين. وبدلاً من أن يمنع رئيس المجلس «أبا عمار» من المقاطعة لأنه ليس عضوًا في المجلس جلس ساكتًا!! فرفعت يدي في هذه اللحظة، وأذن لي فقلت: كيف يمكن لـ«أبي عمار» أن يقاطع المتكلم؟! وكنت أريد من ذلك الظهور على الأقل أمام الأجانب الحاضرين بالصبغة الديمقراطية. وإذا مجموعة من الأعضاء يقولون: له الحق!! أنا لم أشعر بالخجل والإحباط أكثر من تلك اللحظة.

كنا حوالي عشرة أعضاء أو أحد عشر عضوًا عندما تدخل أبو عمار في أعمال المجلس بشكل فردي، فكرنا في أمور كثيرة للتعبير عن عدم رضانا، فكرنا أن نخرج من الاجتماع، لكن لم نفعل ذلك لأن «أبا عمار» يبقى قائدًا. وبقينا نناقش ماذا نفعل لمدة أسبوعين، ومن ثم تبادر إلى ذهني إلى أن أستقيل. وبذلك استقلت من المجلس لأنني قدرت أن إخواننا لا يوجد لديهم الإرادة ليفعلوا شيئًا. وحاول هؤلاء الأعضاء الذين كانوا معي إلقاء اللوم عليّ بسبب تقديم استقالتي، وإقناعي بأنهم واقفون إلى جانبي، تظاهرت لهم بأنني أخطأت بتقديم استقالي وطلبت منهم السماح، ولكنني لم أتراجع عن قراري بعدم العودة إلى المجلس التشريعي.

* في الدورة الحادية عشرة من مفاوضات (أوسلو) توقفت في لندن لأن ابني يدرس هناك، وإذا ممثليتنا في لندن تبلغني أن «أبا عمار» يريد أن يقول لك خبرًا (باعتباري رئيس الوفد المفاوض) وعليك أن تتجه إلى باريس. وفي باريس اتصلوا بي ليلاً وقالوا إن «أبا عمار» يريدك في تونس، وحجزوا لك على أول طيارة تطلع من باريس إلى تونس، فقلت في نفسي يمكن أن يكون هناك شيء، وذهبت في اليوم الثاني إلى تونس ومن المطار إلى مكتب «أبي عمار» وجدته فإذا هو يسلمني اتفاق أوسلو في الوقت الذي لم يكن اتفاق أوسلو قد أعلن!! قرأت الاتفاق وكنا وحدنا، وعندما انتهيت من قراءة الاتفاق، قلت له يا «أبو عمار» هذا الاتفاق سيئ جدًا سيضعنا في مأزق لا نهاية لها، فشلت في استثارة اهتمام «أبي عمار»، كان سارحًا ولم يسمعني. وفجأة قال لي: طبعًا أنت ستحضر حفل التوقيع.

* فشلت أنا وأعضاء الوفد في الخروج من مأزق تفاوضي، حيث كان لنا مطلب واضح وبسيط وهو أن تتوقف إسرائيل عن

حيدر عبد الشافي

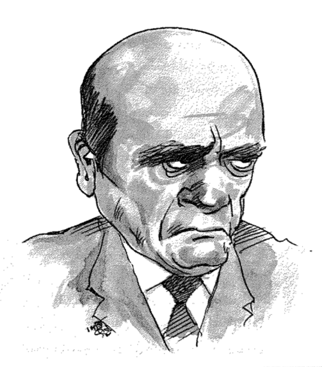
النظام وحسن القيادة هما ما ينقص قضيتنا! .. ولا توجد لدينا أولويات!

حتى يومنا هذا عدم تحديد للأولويات في مواجهة التحديات .

الفصائل الفلسطينية محبطة من الجميع!

عملية الاستيطان الجارية. فعندما ذهبنا إلى مدريد وبعدها إلى واشنطن كان الشيء البارز هو الاستيطان، وعملية الاستيطان تتناقض وتنتهك عملية السلام، فكان شيء طبيعي أن مطلبنا الأول من اليهود وقف الاستيطان. كان اليهود يماطلون لكي نترك القضية ونتكلم في شيء آخر، ولكننا أصررنا على ألا نتكلم في أي شيء قبل أن تتوقف إسرائيل عن الاستيطان. وأمام هذا الإصرار قالها لنا اليهود: «بصراحة نحن نستوطن في أرضنا». وأعادوا الادعاء الصهيوني وقتها من جديد!! فقلت له: يا سيد بيكر هذا يفقد عملية السلام.

* فشلت في تكوين وجهة اتفاق مع الرئيس الفلسطيني. فمثلاً مع بداية الانتفاضة



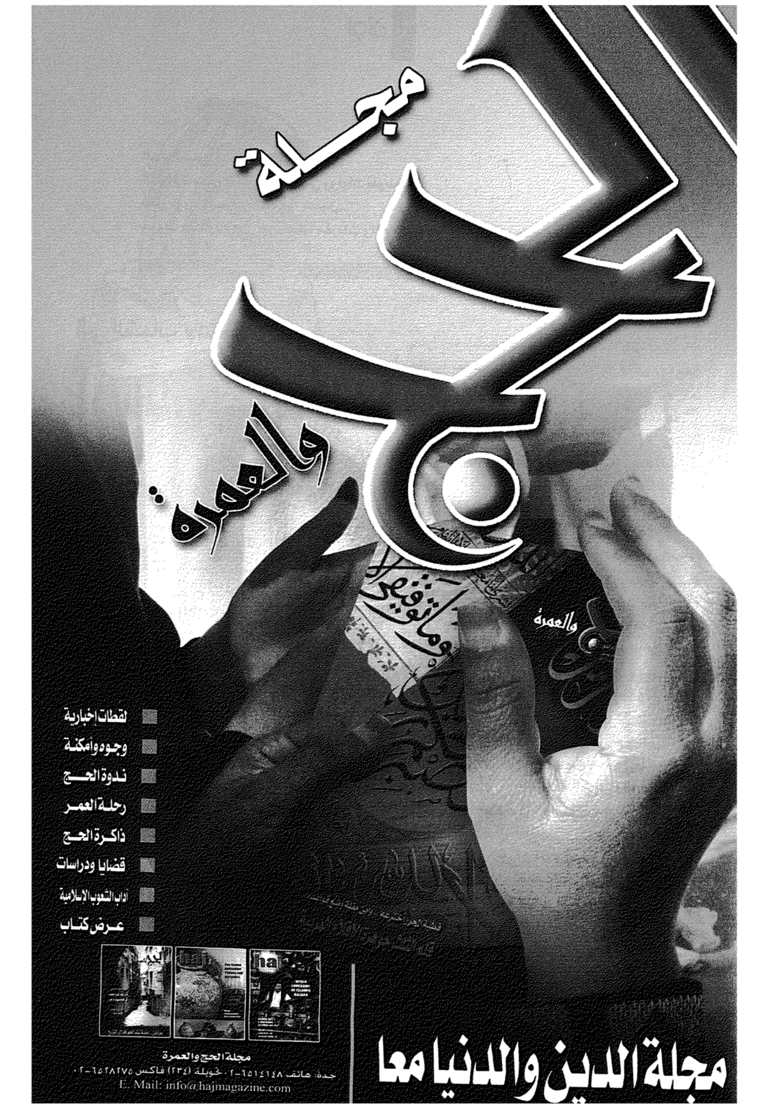
قلت له إن الانتفاضة جاءت بعد صبر طويل، وإنها جاءت لتأكد فشل مفاوضات ١٢ عامًا، قلت إنه لا يوجد طريق يستجيب لرسالة الانتفاضة إلا أن تلتئم كل هذه الفرق الموجودة على الساحة بدون استثناء، وربما بمشاركة عدد محدود من المستقلين تحت مسمى «قيادة الوحدة الوطنية» لتدارس الوضع كله، ولتتاح الفرصة لكل الفصائل أن تبدي رأيها، ويتم عن طريق ذلك اتخاذ قرارات بشكل ديمقراطي، ويصبح الجميع ملتزمين بهذه القرارات. وهذا هو السبيل الوحيد لنستطيع أن نستثمر قدراتنا في خدمة حقنا الوطني. هذا الكلام قلته لـ«أبو عمار» في بداية الانتفاضة في جلسة خاصة لا يوجد فيها غيري وغيره، وكان رده: «حاضر بس مسافر لأوروبا، وعندما أعود بوعدك أنني أجلس مع الفصائل لنتحدث». وجلست مع الفصائل بعد ذلك عن طريق لجنة المتابعة الوطنية والإسلامية، وقلت لهم إن «أبا عمار» عندما يعود سوف يجتمع بكم.

لم تسمع الفصائل لحديثي وكانت محبطة من الجميع. وانتظرنا عودة «أبا عمار» إلى غزة ولكنه عاد إلى الضفة الغربية ومنها إلى رام الله وهناك تم حصاره.!

* حتى يومنا هذا يوجد عدم تحديد للأولويات. إذا أردنا مواجهة التحديات القائمة فيجب أن نقوم بتحديد الأولويات.

فالأولوية للنظام في أن نخضع أداءنا لقوانينه.

وأنا أعي ما يجري على مستوى القضية السياسية منذ منتصف الثلاثينيات، وأقصد أعمال القيادة الأولى وحتى الآن، وأقول بشكل واضح وصريح: إن قضيتنا لم تسعد بأدنى مستوى من النظام. وفي اعتقادي أن سبب الواقع السيئ الذي نحن فيه هو أن قيادتنا أهملت مبدأ النظام منذ البداية وحتى الآن.


مجلة
الحج
والعمرة
والعمرة
لقطات إخبارية
وجوه وأمكنة
ندوة الحج
رحلة العمر
ذاكرة الحج
قضايا ودراسات
آداب الشعوب الإسلامية
عرض كتاب
مجلة الحج والعمرة
جدة: هاتف ٦٥١٤١٤٨-٠٢ تحويلة (٢٣٤) فاكس ٦٥٢٨٢٧٥-٠٢
E. Mail: info@hajmagazine.com
مجلة الدين والدنيا معا

الحياة صور وشخصيات و.. أحداث..
الحياة قصص صغيرة تصب في روايات طويلة..
نحن نرى.. نسمع.. نتكلم و.. نسجل..
حروف مبعثرة تكوّن فيما بينها مفردات واقع يصافحنا كل يوم.. ونحياه.



إلى الشباب «العاطل»

أحيانًا.. يكون الفقر لائقًا بك!

فاطمة السهيمي - القنفذة

ذكر بعض الباحثين أنه بحث كثيرًا في المصحف الشريف ليجد وصفًا سيئًا للمال فلم يجد، رغم أن الزاهدين وغيرهم من الناس يصفون المال بأنه وسخ الدنيا كما يقال، أو أنه قذر أو حقير...إلخ. ولكنهم - رغم ذلك - يبحثون عنه، ويحبونه، ويحتاجون إليه.

والمال - كما يصفه الاقتصاديون - عصب الحياة. والسعادة لكي تكتمل ينقصها جرعة من المال. والمجربون قالوا: إذا دخل الفقر من الباب هرب الحب من الشباك.

فحتى الحب الذي هو التجرد من قضبان الماديات كما يفترض تتقوض أركانه حينما يغيب المال ويحل الفقر.

ورغم كل ما يفعله الفقر من تنقية لأجواء الروح من شوائب الطمع والجشع، والتكبر - كما يفترض أيضًا - فإن فقيرًا واحدًا لم يكن ليتمنى الفقر لولا أنه فرض عليه فرضًا. وفي الإسلام «نعم المال الصالح في يد العبد الصالح».

وفي زمننا هذا.. لم يعد مقبولاً أن يرضى الإنسان بالفقر، ويخنع للفاقة، بل ينبغي عليه السعي لتحسين أموره المادية حتى يتساوى - على الأقل - مع الطبقة المتوسطة في المجتمع.

وليس عيبًا أن يطالب المواطن بحقه في الحياة الكريمة لا الباذخة، لكن الاعتراض يكمن في رداءة الموقف حينما تطالب بمالك ناسيًا أو متجاهلاً تمامًا ما عليك.

عندها فقط.. يكون الفقر حلالاً عليك ولائقًا بك. وتفتقد مطالبك صفة المشروعية.

حقًا.. إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الناس سواسية في قدراتهم المالية وتلك حكمة.. ولكن الحق أيضًا أن الله أمرنا بضرورة الكسب والعمل وعدم انتظار المال حتى يطرق الباب الموصد طاردًا أشباح الفقر، وقاتلاً أسراب الفاقة.

وليس من اللائق أن تجد أسرة فقيرة، تحتاج الصدقة والإحسان، ثم تجد بين أفرادها رجلاً سويًا فوق الخامسة عشرة وتحت الستين، فذلك عيب يقدح في رجولته وسمعته كإنسان مسلم، ومواطن متحضر.

إن العجز والكسل ليسا من صفات المسلم.. والإسلام يحب العمل.. فلماذا لا نحبه نحن.. والمجتمع ينشد التنوع في المهن. وهذه إحدى طرائق التخلص من الفقر:



أن تطرق الأبواب التي قلما طرقها غيرك، فذلك قمين بأن تفتح لك على مصراعيها، وتمد لك يديها بالخيرات.

ولا تطرق الأبواب التي كلت، وملت من إيدي الطارقين وكثرة الداخلين. وفي الأمثال «صنعة في اليد أمان من الفقر».

فلماذا يستبد اليأس بشباب لفظته الجامعة أو الثانوية إلى سرادب الانتظار والقلق مادامت الحياة مليئة بالمباهج التي تفتح للنفس سبل الأمل.

وطالما هناك عقل يفكر، ويد تعمل، وقلب ينبض، فلن تجد شابًا يموت في صمت، أو مجتمع يتفكك بطريقة تجلب الرعب والهلع.

أقول هذا، والشباب الذين لم يجدوا وظائف ـ تسد رمقهم وحاجتهم الملحة إلى وظيفة يأتي معها الستر والزواج والبيت والسيارة واحترام الناس ـ يملؤون الطرقات زارعين في جنباتها بأسًا وبؤسًا وحسرة.

ولقد حدث كل هذا لأننا أمة ينقصها التخطيط والوضوح. ولكن ذلك ليس مبررًا كافيًا ليضع الشاب يده على خده ينتظر فرجًا ربما يتأخر. وإذا اعترفنا بخطأ الأجهزة المسؤولة وسوء تخطيطها. فإن ذلك كله لا يعفي الشاب من النظر في حاله، وتعديل وضعه، واستعمال ما آتاه الله من مواهب متعددة، وعقل متوقد، وشباب متوثب.

يا شباب.. ليس الحل لهذا القهر والملل الذي تقاسونه معاقرة الفضائيات وتعاطي النوم.

انظر حولك وفتش عن نور ينبثق من هنا.. أو إضاءة تنبعث من هناك.

فلقد تواترت الأخبار ألا مشكلة بلا حل وإن خفي وإن صعب، وإن توارى خلف كثبان من يأس. أو أرتال من عجز، فهو موجود.. موجود. وذلك أحد أسرار بهجة الحياة وجمالها، وكينونتها واستمرارها.

فيا للشباب الذي كتب للصحافة ألف معروض، ألف رسالة، ألف شكوى، يتذمر فيها من وضعه البائس كشاب أمضى زهرة شبابه في الدراسة والتحصيل في تخصص مرهق وصعب ونادر، ثم يكتشف بعد ذلك أن شهادته غير مرغوب فيها، وتخصصه غير مطلوب!!

فأفنى حبره وورقه يصف معاناته المادية، وصدمته النفسية، وعذاباته الفكرية للصحف، بأسلوب بديع رشيق. ينم عن موهبة أدبية متوثبة.

يا لذلك الشاب لو جعل تلك الصفحات الألف العامرة بالشكوى المذلة، والاستعطافات المملة، ألف صفحة من عمل بديع يضاف إلى خزانة الأدب والفكر والخيال الجميل، ويجلب له قوتًا وصيتًا. ويفتح له ـ وربما لغيره ـ بابًا من أبواب الرزق التي كانت موصدة ■

أحياناً المشاعر الكبيرة لا تحتاج إلا إلى عبارات صغيرة، كما أن بعض الأفكار الكثيرة تحتاج إلى كلمات قليلة للتعبير عنها.
هذه هي لغة السر في سر اللغة!
«ثرثرة» ..لا يقصد بها دوماً كثرة الكلام، بل قد تعني الكلام الذي يُلقى على عواهنه.. بكل بساطة.
هكذا «ثرثرة» هنا، كلام يلقى على عواهنه.. فخذوه أنتم أيضًا على عواهنه.. بكل رحابة صدر.



الشمس تتزوج قردًا!!

عبدالغني رجب ـ القاهرة

* لقب «أفندي» من الألقاب القديمة في مصر وتركيا، وهذا اللقب يميز بين فئتين من المتعلمين وهما: الأفندية الذين تلقوا تعليمًا مدنيًا، والشيوخ الذين تلقوا تعليمًا دينيًا. وكانت النسوة في الماضي يبجّلن أزواجهن ولا ينطقن بأسمائهم احترامًا لهم، وكانت المرأة تقول: «الأفندي» كناية عن زوجها؛ فتقول لجارتها مثلاً: إن الأفندي يحب محشي الباذنجان بلحم الضأن، أو إنه يشرب الشاي عصرًا قبل خروجه إلى المقهى، حيث يلعب بالنرد فيوفر ثمن الشاي الذي كان سيدفعه في المقهى، أو إنه يعمل في وزارة الأوقاف. فنعلم من كلمة «الأفندي» أنه الزوج الموقر. أما الزوج فكان يكني زوجته بـ«الجماعة» فيقول: إن الجماعة ذهبت لتزور بيت أبيها، أو إن الجماعة مريضة، أو إنها غضبى، أو هي طالق. فنعلم أن المقصود بالجماعة هي الزوجة المصونة والجوهرة المكنونة. وكنت في طفولتي أعتقد أن لفظ الجماعة يطلق على الزوجة لسمنتها الزائدة وبدانتها الشديدة حتى فوجئت بجاري يتكلم عن زوجته النحيفة ويقول: «الجماعة» فعرفت أنه حتى الزوجة النحيفة لها السيطرة الكاملة على الزوج، وأنها ليست فردًا بل جماعة!! وعندما بدأت في دراسة حياة ومأساة الأديبة الكبيرة «مي زيادة» التي أحبها كل أدباء وعباقرة عصرها تأكدت فعلاً أنها لم تحب سوى جبران خليل جبران؛ فقد قرأت لها مقالة أدبية عنه نعتته بلفظ «الأفندي» وكأنه زوجها المرتقب. لم أقرأ جبران كاملاً لكنني أعتقد أن كلمة الجماعة في شعره ونثره تعني «مي»!!

* عندما أراد الكاتب «توفيق الحكيم» أن يحقق الشهرة في بداية حياته الأدبية ادعى عداوة المرأة واقتفى (أنيس منصور) نهجه وخطواته، لكي يحقق لنفسه بعض الشهرة، لكنني وأنا عدو المرأة الحقيقي لم أحظ بذّرة من شهرة الكاتبين الكاذبين في عدواتهما للمرأة، ولدي مئات الأسباب التي تبرر عداوتي للمرأة: فمعلمة الحساب ظلت تضربني يوميًا ولمدة ست سنوات لرسوبي في مادتها وعدم إجادتي العمليات الحسابية، وكذلك عدم حفظي جدول الضرب. وكان الضرب على جدول الضرب يتم بالطرف المدبب للعصا على ظاهر اليد. وكانت معلمة العربي تضربني على باطن قدمي بعد أن أخلع الحذاء والجورب حتى لا يمتصان بعضًا من ألم الضرب المبرح، وذلك لعدم حفظي الأخبار السياسية التي تعطيها لنا لنحفظها يومًا بعد يوم ثم نتلوها غيبًا في اليوم التالي!! المشكلة ما زالت قائمة فكل من أعمل تحت رئاسته منذ تخرجي وحتى الآن سيدات يضطهدنني دائمًا، أليس لي الحق في بعض الشهرة، وأن أحظى بلقب عدو المرأة الأول؟

* كان زميلي الفيلسوف من أشد المدافعين عن حقوق المرأة، وكانت القيادات النسائية يقمن بدعوته في كل المؤتمرات الداعية لتحرير المرأة وخلاصها من ربقة الرجل، وقد علمت السر في دفاعه الشديد عن المرأة ـ رغم أنه غير متزوج ـ ففي تلك المؤتمرات تقدم الهرائس

والعجائن والمحاشي والعصائر بكثرة؛ فالمرأة بطبيعتها طاهية.

* كانت الأكاديمية العلمية في إحدى دول أوروبا قد أقرّت تعريفًا للمرأة «أنها أنثى الرجل» فثارت ثورة النساء على هذا التعريف المجحف بهن، والذي يطعن في المساواة بين الرجل والمرأة. وتم تغيير التعريف إلى أن المرأة هي رجل من الجنس الأنثوي، فهدأت النساء!

* خضوع الذكر للأنثى يبدأ من مرحلة الدراسة الأولية فإن سيطرة معلمة المرحلة الابتدائية على تلاميذها الذكور تظل قائمة حتى عندما يبلغ التلاميذ أرذل العمر.

كانت الطبيبة تعمل في عيادة طبية حكومية في حي شعبي مكتظ باللصوص والمجرمين الذين يعتدون على العيادة بمجرد أن يدلف الليل بغلائله السود. وكان الرعب يصيبها من أن يقتلها أو يسرق حليها مجرم. وعندما أتت إليّ تستشيرني نصحتها أن تتقمص شخصية مدرسة المرحلة الابتدائية فتقول عندما يدخل عليها مجرم: «قف عندك يا جحش، واستدر للوراء وامسح أنفك القذر ثم تعال وحل المسألة الحسابية التي على السبورة». لم أعرف نتيجة مشورتي فقد قتلت الطبيبة وسرقت حليها!!

* انتشرت الجمعيات الأهلية واستشرت وتنوعت أهدافها تنوعًا شديدًا وتباينت، فهناك جمعيات تهدف إلى الموت في سبيل الوطن، وهناك جمعيات تهدف إلى أن يموت الوطن في سبيلها!! لكن هناك جمعيات تهدف إلى غايات أقل تطرفًا مثل: جمعية أهلية تضم رجالاً ماتت زوجاتهم وهدفهم الوحيد الاحتفال السنوي بهذه المناسبة السعيدة في أحد الفنادق الفاخرة.

* كان الرجل الفرنسي يحب فتاة يابانية. وكان يعتقد أنه كرجل غربي أفضل منها لأنها فتاة شرقية، وأن أهلها سيطيرون فرحًا بهذا اللقاء الشرق غربي الذي سيؤدي إلى تحسين النسل في اليابان، واستشار أحد زملائه فأشار عليه ألا يفعل فهم لن يوافقوا عليه لأنهم يعتقدون في دينهم أنهم أبناء الشمس، وأن الغربيين (بحسب نظرية داروين) أبناء القرود، فكيف تتزوج الشمس بالقرد؟! وكيف سيكون نسلهما؟!

* كانت زوجتي تؤمن إيمانًا قاطعًا أن الزواج معناه أن يصير الاثنان واحدًا وأنها ذلك الواحد.

* تشترط الفتيات أن يكون زوج المستقبل بخيلاً حتى يستكملن إنقاص أوزانهن ويفقدن كل شهر ثلاثة كيلوجرامات. والرجل من جانبه يشجع زوجته على إنقاص وزنها حتى تختفي تمامًا، وهذا هو الزواج



السعيد فهما على قلب واحد.

* كان الزوج يتوهم أمراضًا جسمية كثيرة ولا يفعل شيئًا إلا الشكوى من تلك الأمراض!! ومحاولة من الزوجة لعلاجه استقبلته ذات مساء وسردت عليه مجموعة أمراض تشعر بها وتؤلمها. جلس الزوج هادئًا خلال العشاء بصورة غير عادية حتى ظنت الزوجة أن علاجها نجح لكن سرعان ما خاب أملها فقد زمجر زوجها بعد قليل وقال: لست أدري ماذا دهاني أعتقد أنني أصبت بالأمراض التي أصابتك.

* زارني شاب مريض يعاني قرحة بالمعدة ومرضًا بالقلب وإدمان أقراص من نوع معين يبلغ عددها مئة قرص يوميًا حتى تحدث النشوة!! ولا أدري كيف يتحمل جسده كل هذا العدد من الأقراص، بالإضافة إلى عقاقير أخرى مخدرة، وعندما كان المريض يحكي بداية المشكلة: «إنه كان يحب فتاة، وكان بينهما شبه خطوبة، وسافر لمدة سنة لدولة عربية لتكوين نفسه وتوفير المهر والشبكة ليتم عقد القران فور عودته، وعندما عاد وجدها تزوجت وأنجبت ابنًا، فهي تؤمن «أن الوقت من ذهب...» ووصل إلى حديث زواجها وابنها اختنق صوته بالبكاء وانهمرت دموعه، بينما كنت أجاهد لإخفاء ضحكة استغراب!! فهذا الشاب يتناسى قرحة المعدة، ويتناسى مرض القلب، وينسى الإدمان الذي أضاع مستقبله وهد كيانه، فقد كان يحكي هذه الأشياء كأمور عادية، لكنه عندما يتذكر الخائنة يذكرها بكل الحب والحنين ويجهش بالبكاء رغم مرور عشر سنوات على الحدث!!

في ضبط الصف المدرسي

الإدارة بالغضب!

مصطفى محمد ياسين - الأردن

توجهت المعلمة الهندية، إلى عملها في الصباح، كما يفعل عشرات الملايين من المعلمين في أرجاء الدنيا، لكن أحدًا لم يستطع أن يعرف ما في داخلها من قسوة أو غضب كامن انفلت من عقاله. عندما دخلت تلك المعلمة (سوخ ديفي) إلى الصف الثالث الابتدائي وبدأت عملها، كما يفعل كل معلم «أين واجباتكم؟».

وكان من سوء حظ الطالب: «أجاي يا داف» ابن التاسعة أنه لم يحل واجبه المنزلي.

وثارت المعلمة وتشبعت بالغضب. والغضب نوبة من الجنون!! وبالعصا التي معها ضربت الطالب ضربًا شديدًا. ولم يسعفها رشدها أن تمسك لجام نفسها وتترك الطالب حتى تذهب عن يده وجسمه آلام الضرب، ويمسح دموعه ويعود إلى نفسه مطمئنًا قادرًا على الانتفاع بدرسه ذاك، لكن نفسها المضطربة بالغضب والانفعال شحنت يدها بحركة مجنونة إلى عين الطفل ففقأتها وفقد الطالب بصره!!

وتأمر المحكمة تعويضًا للطفل عما أصابه من أذى بـ«خمسين ألف روبية».. وهو مبلغ باهظ في الهند!

كثير من المعلمين، يستولي عليهم الغضب، لأسباب أخرى، غير ذلك. فالطالب «المشاغب» كثير الحركة الذي لا يهدأ ولا ينتبه، ويعتدي على زملائه ويشتت انتباههم، إنما يصرف المعلم عن أداء عمله، ويثير كوامن غضبه، ويُفشل جهده في إنجاز مهمته - وقد يصبر المعلم ويصابر الموقف بالعين - أو إشارة من يده أو ينهره بالاسم ليعيد انضباطه وانتباهه إليه. وفي الغالب فإن التلميذ يستجيب إذا كان المعلم ذا شخصية قوية وفاعلة.

وهناك من المعلمين، من يترك للغضب والانفعال به، سيطرة على نفسه، فيندفع إلى الطالب يشتمه أو يجعله هزوا أو يضربه كما فعلت تلك المعلمة.

فيصيب التلميذ من جراء ذلك شر مستطير.

ولقد جاءت الأحداث - بأكثر من ذلك - عندما نشرت الصحف أن معلمًا ضرب صغيرًا في صفه الأول، فأحدث له إعاقة دائمة - وأن آخر قد ضرب تلميذه حتى فارق الحياة!

والمدرسة صانعة الحياة والأمل وليست مجزرة - أو وكرًا للحيوانات المفترسة!!

ولذلك كان أهم ما يميز المعلم أو ما يجب أن يكون فيه طبع لازم هو الصبر الصبر.

ومن هنا كانت العصا أداة ممنوعة في المدرسة، وتركز التعليمات في كل البلاد على منعها.

ولا يقول أحد بترك الطفل أو الطالب بصفة عامة دون رادع يردعه حتى ينصاع للنظام والتقاليد وقيم المدرسة ومجتمعها، وإنما القول باستخدام وسائل أخرى نجحت في تعديل السلوك الإنساني ووجهته إلى وجهة أخرى مغايرة نفعت صاحبها، وجعلت منه طالب علم سويّ السلوك والتفكير يساهم في بناء مجتمعه ولا يكون عالة عليه!

من مبادئ إدارة الصف أن على المعلم أن يكون يقظًا في صفه فيجعل تلاميذه كلهم في بؤرة إبصاره وملاحظته.



فيضبط سلوك الطالب.. في بدايته قبل تطوره.. فإذا عرف المعلم بذلك.. أوجد في نفوس تلاميذه هيبة من الاجتراء على مخالفة النظام وإثارة المتاعب في الصف.

ومما خبرته من تجربتي بينما كنت أكتب على السبورة وظهري للتلاميذ... جاء صوت واضح النبرات من أحدهم... وما كان مني إلا أن رفعت صوتي: اسكت يا...!

وأجابني صاحب الصوت: أتعرفني يا أستاذ وأنت لا تراني؟!!!

لا تكلمت أبدًا.

ومن مبادئ الإدارة أيضًا: أن يقبل المعلم اعتذار تلميذه وأن يكافئه على ذلك، ويشعره بأنه يقدر له هذا الأمر ويمجد فيه نوازع النضج والرجولة..

وقد نفع مثل هذا السلوك من المعلم في تحويل كثير من «المشاغبين» إلى حافظين للنظام، وائدين للمشكلات في الصف!

وعلى المعلم أن يعي أن في التلاميذ (صغروا أم كبروا) ميلاً إلى النظام وتحصيل العلم واحترام المعلم إذا لمسوا منه جدًا في أداء الدرس، ورغبة صادقة في نفعهم والحرص على حاضرهم ومستقبلهم.

وفي كل صف لا بد للمعلم أن يجد اثنين أو ثلاثة من تلاميذه لديهم رغبة في التمرد وإثارة الشغب وقياس مدى استجابة المعلم لكل ذلك!!

وإذا استطاع المعلم ضبط هذه الفئة ولجم رغبتها تلك، وتحويلها إلى راغبين في التعلم، وسيطر على سلوكهم فقد استقامت له الأمور، وشعر بالرضا، وأبعد عن نفسه دواعي الغضب والانفعال.

أما صغار الأطفال فهم بحاجة إلى المعلم الأب!

وما لم يكن معلمهم كالأب: يحنو على هذا، ويحتمل ذاك، ويشجعه ويهدده بتؤدة أن يخاصمه فلا يُصلح له دفترًا أو لا يسأله أو لا يخرجه إلى السبورة. ومثل هذه التهديدات يمكنها فعل الكثير في ضبط السلوك وتحويله وتعزيزه.

إذا كان الغضب لوثه من الجنون تضيع عقل الإنسان وتجره إلى سلوك لا يريده لنفسه ولا للآخرين. فإن إبعاد المعلم عنه أو إبعاده عن المعلم هو أمر منوط بالمعلم أولاً، ثم بإدارة المدرسة ثانيًا، وبالتعليمات ثالثًا. ■



زياد الدريس
ziadd101@almarefah.com

«المكذابية»!

تتنطع الصحافة دومًا بأن نجاحها مرهون بمبدأ «المصداقية»، الذي تعتمد الصحافة الناجحة في قيامها عليه.

وهذه المقولة - لمن لا يعلم - هي من الاستهلاك الصحفي المزيف، إذ تعلم الصحافة نفسها أن أكبر نجاحاتها وخبطاتها الصحفية تقوم دومًا - أو غالبًا على الأقل - على مبدأ «المكذابية»!

فإذا كانت الصحافة تحقق نجاحًا واحدًا في مسار المصداقية، فهي تحقق عشرة نجاحات في مسار المكذابية.

و«المكذابية» في الصحف ليست هي بالضرورة الكذب ذا الطعم والرائحة واللون الذي نعرفه، بل إن المفارقة أن المكذابية في الصحافة غالبًا ما تكون في سياق تقديم الحقيقة، إنها بإيجاز: تقديم الحقيقة بصورة غير صادقة!

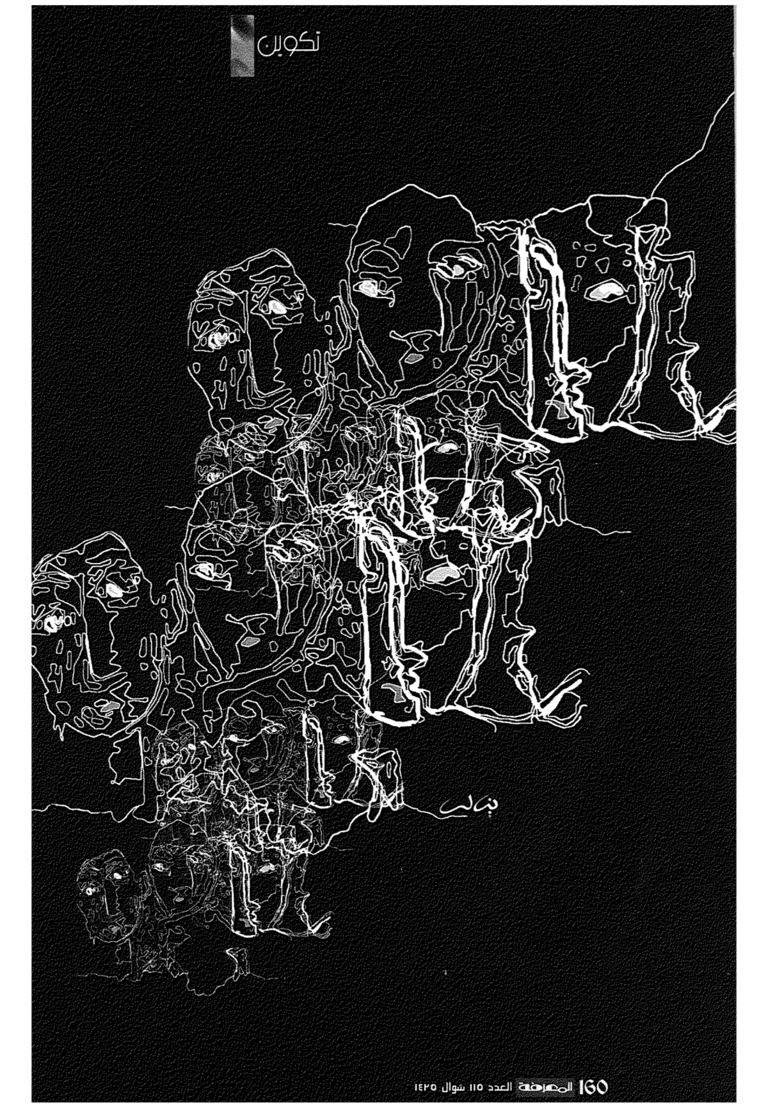
المكذابية لا تتحقق عن طريق إضافة «كذبة» إلى الخبر أو التحقيق الصحفي، إنها يمكن أن تتحقق فقط عن طريق إظهار نصف الحقيقة وإخفاء النصف الآخر. وهذا النصف المخفي يجب أن يكون متممًا لمعنى النصف الظاهر، وإلا لما كان لإخفائه أهمية!

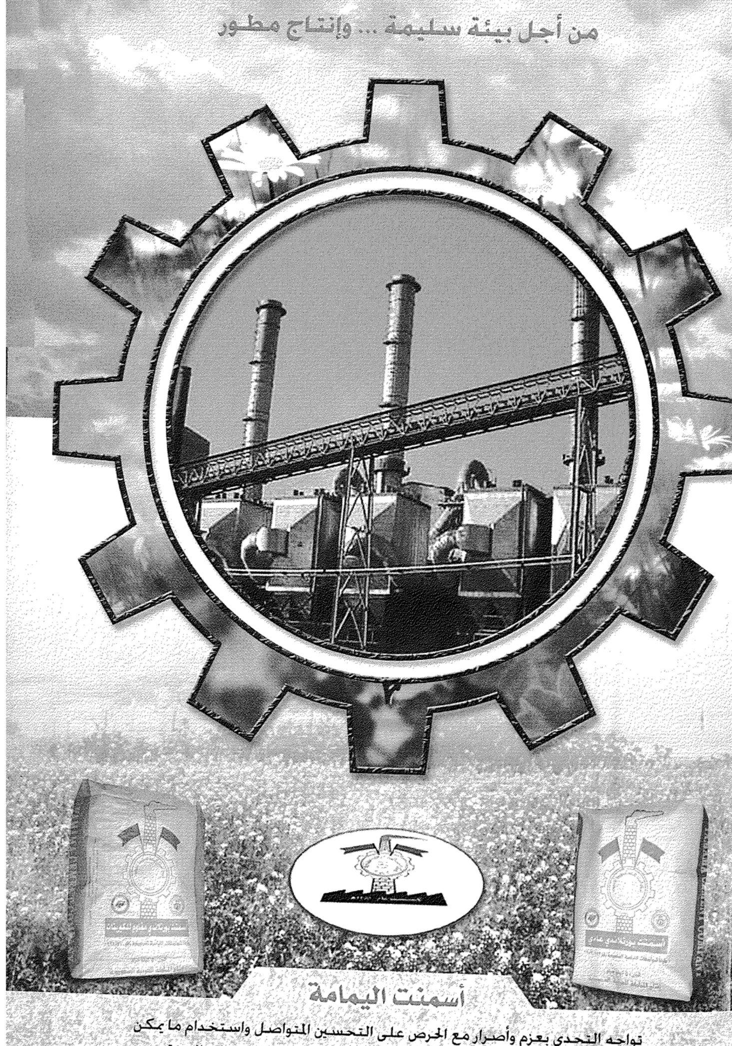
وإن أصدق مثال شائع للتشبيه على ذلك، هو إيراد قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الصلاة...﴾، وإخفاء النصف الثاني المتمم للحقيقة وهو قوله تعالى: ﴿...وأنتم سكارى﴾. فالذي يورد النصف الأول من الآية هو لم يقل كذبة.. لكنه لم يقل الحقيقة!

أسوق هذا الكلام عن المكذابية الآن إبان كثرة تداول وانتشار مصطلح «المصداقية» في صحافتنا، التي لم تجد أحدًا أصلاً يسألها أو يحاسبها عن مكذابيتها فيما مضى، حتى تجد أحدًا يسألها الآن عن مصداقيتها!

يا صحافتنا ويا صحفيينا الأعزاء:

أن تكونوا صادقين فيما تكذبون فيه، خير من أن تكونوا كاذبين فيما تصدقون فيه!


نداء


من أجل بيئة سليمة ... وإنتاج مطور
أسمنت اليمامة
تواجه التحدي بعزم وأصرار مع الحرص على التحسين المتواصل واستخدام ما يمكن
الحصول عليه من تقنيات التحكم في الانبعاثات للمحافظة على البيئة.


جديد
لذيذة ومغذية
للأطفال
المراعي
Almarai
وجبة ألبان
لنمو الأطفال
٢٥٪ كالسيوم أكثر من الحليب.